

علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

العدد (١) - السنة الأولى - ٢٠٢٠م

عدد مجاني - غير مخصص للبيع

الندوة العلمية الدولية الأولي
لمركز التاريخ العربي

علم التاريخ في ظل التقنية الحديثة

علم التاريخ الديناميكي
Cliodynamics
تضافر التاريخ وبرمجيات الحاسوب

د.شاشة فارس

العلاقة بين الدرس التاريخي والتقنية

د.لعباسي محمد

التقنيات الحديثة فرصة لدراسة التاريخ ومعايشته والتعرف عليه بشكل أفضل
(نماذج وتطبيقات)

أ.د /جمال الدين إبراهيم العمرجي

النقوش الكتابية الإسلامية ودورها في إعادة كتابة التاريخ عبر التقنية الحديثة

أ.م.د/ راوية عبد المنعم محمد خليل





شروط وأحكام النشر

١- تنشر المجلّة العربية للدراسات التاريخية الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرّصينة والتي تلتزم بالموضوعيّة، وتتوافر فيها الدّقة والجديّة. في التاريخ ، وكافة العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة ذات الصلة بالتاريخ .

٢- كلّ بحث لا يحترم شروط النّشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

٣- تخضع كلّ الأبحاث إلى التّحكيم من قبل هيئة مختصّة، ويلقى البحث القبول النّهائي بعد أن يقوم الباحث بالتّعديلات المقترحة.

٤- للمجلّة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلّة.

٥- لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.

٦- يتعهّد الباحث بعدم تقديم البحث للنشّر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، إلاّ بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلّة.

٧- لا تتجاوز صفحات البحث المقدّم ٢٥ صفحة.

٨- على الباحث احترام شروط الكتابة التّالية:

- تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة، البريد الالكتروني للباحث، ملخّص للدّراسة في حدود ١٥٠ كلمة حجم ١٢ بلغة المقال وبلغة أجنبيّة (الإنجليزية)، الكلمات المفتاحيّة بعد الملخّص.

- تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم ١٤، تكتب العناوين الرئيسيّة والفرعيّة للفقرات بحجم ١٤ مثلها مثل النصّ الرئيسيّ لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللّغة اللاتينيّة فتكتب بخط Time new Roman، بحجم ١٢ وتكون الحواشي ٤ سم على جوانب الصّفحة الأربعة، كما تدرج الرّسوم البيانيّة والأشكال التوضيحيّة في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها.
- يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة APA American Psychological Association
- بالنّسبة لعلامات الترقيم، توضع النّقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النّقطة وبداية الجملة التّالية. كما لا توضع النّقطة (.) أبدا في العناوين، أمّا إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعيّ والآخر رئيسيّ فيفصل بينهما بنقطتين.
- يجب إدراك الفرق بين الفاصلة بالعربية (،) والفاصلة بالأجنبية (,) واستغلالهما في الكتابة المناسبة، كما تكتب الفاصلة بعد الكلمة مباشرة ولا يوجد فراغ بينهما.
- تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.
- عدم تزيين النصّ بالألوان والخطوط العريضة وتكبير الحجم، يجب احترام الشروط المعروضة سابقا.
- ضبط اتّجاه النصّ بالعربيّة من اليمين الى اليسار، والنصّ بالأجنبيّة من اليسار الى اليمين، وضبط اتجاه الجمل في النّصوص إذا كانت باللّغة العربيّة او بالأجنبيّة.
- عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللّجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

٩- الأفكار والآراء التي يتضمّنها البحث لا تعبّر عن رأي المجلّة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ هيئة تحرير المجلّة غير مسؤولة عن أيّ سرقة علميّة تتم في البحوث المقدّمة لها.

١٠- يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلميّ والثقافيّ.

١١- ترسل الأبحاث الى إيميل المجلة

c.a.h.p.e.j@gmail.com

• • •

الكلمة الافتتاحية

بسم الله نبدأ ، وعلى بركته سبحانه ننطلق

العدد التجريبي من المجلة العربية للدراسات التاريخية ، مولود جديد في دنيا الإعلام الأكاديمي والنشر العلمي ، يهدف إلى توفير المزيد من المنصات العلمية لنشر جهود الباحثين في مجال التاريخ ، وكافة مجالات العلوم الإنسانية التي لها صلة بالتاريخ .

المجلة أكاديمية علمية محكمة نصف سنوية ، وتصدر أعدادا خاصة (مثل عددها هذا التجريبي) لنشر أعمال مؤتمر أو ندوة أو حدث ما ، أو لمعاونة الباحثين في سرعة نشر بحوثهم التي تنتظر دورها كثيرا ؛ فتقدم لهم الفرصة لإدراك وقت التقدم بأوراقهم للهيئات العلمية المختصة . كما هي نافذة لكل الباحثين الراغبين في عرض إنتاجهم العلمي الرصين على جمهور المتخصصين والقراء ، وهي أيضا محضن علمي يمد يد العون من خلال لجان التحكيم التي تساعد الباحثين الشباب في نقد بحوثهم وتوجيههم للأخطاء لتصحيحها ، ثم عرض إنتاجهم على جمهور السوشيال ميديا وتلقي آراءه ونقده البناء .

حرصنا أن تكون الهيئة الاستشارية للمجلة تمثل معظم بلدان العالم العربي، كنوع من التقارب والتآلف والوحدة والتبادل العلمي وإذابة الفوارق وتبادل الخبرات ، وذلك كله رصيد حضارتنا الإسلامية الباهرة وتراثنا الرائع ، وخطوة نحو نهضة تقوم على التعاون العلمي والتقارب الوجداني والتبادل المعرفي ؛ لمواجهة معوقات التقدم وكسر الحدود المصطنعة وفتح آفاق أرحب لدورنا الإنساني .

تبدأ مجلتنا بهذا العدد الخاص بندوة علمية ، وتتبعها أعداد تنشر بحوثكم ودراساتكم ، ونبدأ نشرنا بشكل إلكتروني ، ربما يتطور بعد ذلك إلى النشر الورقي ، وطموحنا كبير في أن تكون هذه المجلة نبتة تكبر بسقياكم فتصبح مؤسسة علمية أكاديمية دولية .

• • •

استخدامُ التّقنيات الحديثةِ، وإعادةُ قراءة الآثار

أستاذ مساعد دكتور



راوية عبد المنعم محمد خليل

عضو الاتّحاد الدولي للجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية

عضو الاتّحاد الدولي للآثاريّين العرب- رئيس قسم الإرشاد السياحي

مقدّمة:

تعدّ عملياتُ الترميم والصّيانة للآثار مِن العملياتِ العلمية والفنيّة الدقيقة، والتي لا بدّ أن تخضعَ للعديدِ من الدراسات العلمية، التي يتمّ استنباطُها من استخدام التقنياتِ الحديثة التي يمكنُ توظيفُها وتطبيقُها من خلال إجراءِ العديد من الفحوصِ والتّحاليل العلمية للتعرف على مكوّنات الأثر المُراد ترميمُه[١]، والمشاكل التي تواجِه الأثرَ المراد ترميمُه من مظاهرَ ونواتجِ تلفٍ مختلفة، مصحوبًا بالتّحليل والتّفسير العلمي لمُسبّبات هذه المظاهر، ومدى ارتباطها ببعضها البعض، والعوامل المُختلفة التي ساعدتْ على انْتشارها للتمكّن من الحَدّ منها، وإزالتها مِن خلال وضْع خطّة أو إستراتيجية العلاجِ والترميم والصّيانة، باستخدامِ الموادّ والطّرق المناسبة لحالةِ الأثر، وظروفِه العامة.[٢]

بالتّزامن معَ بزوغ شمسِ عصر التكنولوجيا المعاصرة في مجال المعلومات والاتصالات، شهدت التربيةُ والمؤسسات التّعليمية تطوّرًا ملحوظًا تبلورَ في تركيزها الحالي على الطّالب، ودعمِها للبيئاتِ التّعليمية التفاعلية، بعدما كانت عليه في الماضي من تركيزٍ تامّ على المدرّس، وما يُلقيه من دروسٍ ومحاضرات؛ لذلك فإنّ تصميمَ وتنفيذ برامج تدريسية ناجحةٍ وهادفة تستفيدُ من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ قدْ أضحى مطلبًا أساسيًّا في عملياتِ الإصلاح التعليمي، واسعِ النطاق.[٣]

ويرى إغناثيو[٤] أنّ علمَ الآثار الحديث اليومَ غالبًا في غنًى عن المعرفة، باعتماده على أحدثِ التّقنيات، وهذا يشكّل فائدةً علمية. ويعود الفضلُ إلى الأساليب الجيوفيزيائية التي تشكّل إضافةً هائلة للمعرفةِ العلمية، ومكّنت علماء الآثار من اكتشاف آلاف المواقع الجديدة من دونِ حفْر. يرافقُ هذا الوثائقي علماء الآثار في رحلتهم إلى الماضي الافتراضي.[٥]

دراسةُ النّقوش، وتطوّر الكتابة:

يطلَقُ على علم النّقائش دراسة المادةِ الأثرية المنقولة على مَحْملٍ لا يبيده عاملُ الزمن مثل الصّخر أو الطين، أو شتّى أنواع المعادن. ويهدفُ هذا العلمُ إلى تأريخ الكتابة المُكتشفة بعدَ نقلها وفَكّ شفرتها، ثمّ الخروج باستنتاجاتٍ عن الفترة التي كُتبت فيها، وذلك على جميع المستويات: اقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا.[٦]

تُشكّل الكتابةُ أهميةً خاصّة في تاريخ المنطقة؛ فقد بدأتْ مع استقرار الإنسان؛ حيث الشّروطُ المناسبة لنشوءِ الحضارة، مثل توفّر الأرض الخصبة والمياه والمناخ الملائم للزّراعة، وغيرها،[٧] ويمكنُ القولُ إنّ

(١) - أحمد إبراهيم عطيه ، دراسة المونات القديمة والحديثة لتوظيفها في أعمال الترميم المعماري للمباني الأثرية في مصر، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في ترميم الآثار ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠، صـ ٦.

(٢) - هالة عفيفي محمود ، دور التقنيات الحديثة في الاكتشافات الاثرية ، كلية الآثار ، جامعة حلب ، سوريا ، بدون سنة نشر ، صـ ٣.

(٣) - قبوب لخضر سليم – صيانة وترميم الآثار الحجرية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، ٢٠١٧ ، صـ ١٨.

(٤) - مترجم مختص، وأستاذ الأدب العربي في جامعة مدريد، ومنسق الورشة الخاصة بالترجمة الاقتصادية من العربية إلى الإسبانية في مدرسة المترجمين في طليلطة، صدرت له مقالات في قضايا الترجمة والثقافة الإسلامية والعربية، منها : الترجمة الصحافية من الإسبانية إلى العربية، واللغة والثقافة في الأندلس وتجلياتهما المعاصرة، ترجم العديد من الأعمال إلى الإسبانية من بينها أشعار أدونيس.

إغناثيو غوتيريث دي تيران ، النقوش الكتابية في إسبانيا وصناعة الأحرف على المواد الصلبة «اللغة العربية والنقوش والآثار المكتوبة في إسبانيا»، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، العدد الثالث ، صـ ٥٦

(٥) - إغناثيو غوتيريث دي تيران ، المرجع السابق، صـ ٥٧.

(٦) - إبراهيم ، محمد حمدي ، علم النقوش، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ٢٠١٢، صـ ٣٨.

(٧)- مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثارالإسلامية، القاهرة، مكتبة

المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط، وبلاد ما بيْن النهرين وبلاد النيل وجنوب شبه الجزيرة العربية؛ كانت الساحة المناسبة لتطوراتٍ مِن هذا النوع، ومِن هنا يمكن أنْ نعرّف الكتابة، فيُمكننا القول بأنّها «الأثرُ الذي يتركه الخطُّ على المادة، وهي نوعان: الكتابة المنقوشة، والخطّ؛ حيث يحدّد ذلك الأداة المستخدَمَة في التّدوين، والمادةُ التي نفّذت عليها الكتابة لما لهُمَا من تأثيرٍ واضح في شكل الحرف وتطوّره، فإمّا أنْ تكسبه الشكل القاسي أو اللّين، ولعلّ مادّة الكتابة تفرضها البيئة المُحيطة «فقط استخدم الحجر أوّلًا في كلّ مكان، ثمّ أخذ الانسانُ يستخدم موادّ أخرى، ففي مصرَ مثلًا كتبوا على البرْدي، وفي بلاد ما بيْن النهرين استعملوا ألواحَ الطين، وكان الجلدُ من أوائلِ الموادّ التي دوّن عليها العرب»[٨].

الخطُّ العربي في النّقوش الجاهلية:

وصلتْنا من العصر الجاهلي ستّةُ نقوش يمكن قسمتُها إلى مجموعتين: الأولى، نقوش فترة الحول من الخطّ النبطي. والثانية، النقوش العربية. فالأولى عدّها كثيرٌ من الباحثين أنها كُتبت بالخطّ النبطيّ المتأخّر، ذي السّماتِ الصلبة في خطوطِه وزواياه ويشبه في ذلك ما عُرف بالخطّ الكوفي، والحروف فيها مرتبطٌ بعضُها ببعض، وذلك أمرٌ غير معروف في الخطّ النّبطي القديم، ولذلك يرى بعضُ الباحثين في هذه النقوش- من الناحية الشكلية- أنّها حلقةُ اتّصال بين الخطّ النّبطي، والخطّ العربي في أوّلِ عهدِ الإسلام[٩].

في مجالِ العمارة الإسلامية:

اهتمّ المسلمون بالنقوشِ الكتابية، وتنفيذُها على الآثار الإسلامية اهتمامًا واضحًا منذ بداية العصرِ الإسلامي، وليس هذا بمُستَغْرَب، وبخاصّة وأنّ أوّل آيةٍ نزلت من القرآن الكريم كانتْ تتحدّث عن القراءة، وما يقرأ إلّا ما كتب، واستمرّ هذا الاهتمامُ طوال العصور الإسْلامية في إطارِ هذا البُعد الدّيني والعلمي.

والكتاباتُ في الأصل تؤدّي أغراضًا وظيفيّة، وبعدَ تطوّر الخطّ العربي الإسلامي وتجويدِه أصبحَ للنقوش الإسلامية دورٌ جماليّ أيضًا، وتضافرَ الغرضُ الوظيفي مع الدّور الجمالي، فأصبحت الكتابةُ بالخط العربي المجودِ مادّةً أساسية على الآثارِ الإسلامية ثابتة؛ كالعمائر، ومنقولة؛ كالتحف التي تزخرُ بها المتاحف. واختلفتْ وتنوّعت طرقُ تنفيذ النّقوش الكتابي وأساليب تشكيلها، وتطوّرتْ هذه الطرقُ والأساليبُ بتطوّر الحضارة الإسلامية، وتجسّدها الآثارُ الإسلامية الباقية، وما جاء في بطونِ كتب التراث العربي والإسلامي من معارفَ تكمل الصورة إلى حدٍّ بعيد، كما ارتبطَ هذا التطورُ بإبداعاتٍ أخرى في مجالاتٍ أخرى أبدعتْ فيها الحضارة الإسلاميةُ إبداعًا كبيرًا، وبخاصّة في مجالي الهندسةِ والكيمياء. وتكاملت إسهاماتُ الخطّاطين والحرفيّين والمُزَخرِفين والدّهّانين والنّقاشين والمصوّرين والمرخّمين، وغيرهم، تكاملًا واضحًا، تجسّدت ملامحُه فيما وصلَ إلى المتاحف من آثار منقولة، وما بقيَ من آثارٍ معمارية ثابتة تنتشرُ على المساحةِ الجغرافية للعالم الإسلامي الوسيط في إطارِ المكان، وتمتدّ لأكثرَ من أربعة عشر قرنًا في إطار الزمن[١٠].

ولعلّ مِن بين ما تميّزتْ به الكتاباتُ في العمارة الإسلامية بشكلٍ عام، توظيف عنصر النّقوشِ الكتابية في جوانبَ عديدةٍ من المبنى كالأجزاءِ الخارجية (الواجهات، المداخل، المنائر، أعناق القباب)، فضلًا عنِ الأجزاء الدّاخلية للمبنى (كالمحراب، المنبر، الأعمدة، الجدران، والسقوف، والأركان الداخلية للمبنى).[١١]

وقد تميّز هذا التوظيفُ للنّقوش الكتابية بخصائصَ عديدةٍ؛ قسمٌ منها متعلّق بالجوانب المعماريةِ كمواقع الاستخدام ضمنَ المبنى، وطريقة التنفيذ للنقوش الكتابية، وكذلك نوعُ الموادّ البنائية المنفّذة بها؛ وقسمٌ متعلّق بالجوانب الفنية التشكيلية للخطّ، كحجمِ الخط المستخْدَم ونوعِه، والتي عملتْ على تعزيز الوظائفِ المختلفة التي قدّمتها هذه الكتابات كالتّعريف عن المبنى ومنشئه، أو التّدليل الرمزي عن معانٍ معيّنة

النهضة العربية، ١٩٩١، ص ١٦.

(٨) - المؤذن ، منى ، النقائش والرسوم الصخرية في الآثار العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة برنامج الثقافة والإتصال، المؤتمر الثالث عشر للآثار، الجماهيرية العظمة ، طرابلس ، ١٩٩٧، ص ١٨.

(٩) - رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، بدون سنة نشر، ص ٥٤ .

(١٠) - محمد عبد الستار عثمان ، مقاليد أدوات الكتابة بين النشأة والتطور ، الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا، العدد ٦ ، ٢٠١٣، ص ١٩٧.

(١١) - كاظم شمهود طاهر ، العمائر الإسلامية في إسبانيا : مجريد، (الكتاب الأول)، القاهرة ، العربي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥، ص١٥.

بحسب نوع المبنى، وموضع الاستخدام للنقوش الكتابية، وموضوع الكتابة.[١٢]

واتّسع المفهومُ لدى بعضِ الباحثين عنْ ما تميّز به الفنُّ الإسلامي Islamic Art من أشكالِ الإبداع اللّغوية والأدبية والفنية وغيرها، ممّا لا تمييز معرفيًّا فيها بين العلم والأدب والفنّ. ويتوسّط بعضُهم الآخرَ في سعةِ هذا المفهوم على كلّ ما له علاقة مباشرة بالشعور والإحساس والتذوّقِ الجمالي، عبْرَ الأذن والسّماع كالموسيقى والنّغم، وعبْرَ العين والإبصار كالعمارةِ والرسم. ولكنّ مفهومَ الفن الإسلامي يقتصر- عند أغلب مؤرخي هذا الفنّ ونقّاده المعاصرين[١٣]- على كلّ ما له علاقةٌ بصرية مباشرة بصناعة الجمال الإنسانيّ في الإبداع الإسلامي، وبكلّ ما له علاقةٌ معرفية بمُنجزات هذا الإبداع المتحققة في مجالاتِ فنونِ العمارة، وفنونِ الكتاب، وما يتّصل بهما من الفنون التطبيقية، أو الصّنائع الفنيّة الإسلامية، القائمة على التّوفيق المُبْدع بين جَمالية هذه الفنون واستعمالاتها الوظيفيّة في البناءِ المعماري، وفي صناعة الكتبِ والمخطوطات، وفي إنتاج الأدواتِ والأثاث، وغير ذلك مِن المصنوعات الوظيفية المختلفة.[١٤]

وهكذا ساهمتِ التّقنياتُ الحديثة في إعادةِ قراءة الكثير من الكتابات والنقوش على الآثار، ممّا أثّر بشكلِ كبيرِ وإيجابيّ على استبيان الكثيرِ من معالم التاريخ، ومعرفة الكثير من الأشياءِ التي لم تكنْ معلومة من قبْل، أو كانت مغلوطةً في بعض الأحيان، ولكنْ مع استخدامِ التقنيات الحديثة أصبحَ الكثيرُ من التّفسيرات أسهل وأقلّ جهدًا من السابق.

ولعلّ من الأمثلةِ على النقوش الكتابية الإسلامية لوحة جامع الخطبا بدسوق، والتي ترجع إلى عام ١٢٢٢هـ، وهي عبارة عن لوحةٍ رُخامية كُتب عليها نصّ التّجديد بالحفْر البارز الحادّ بالخطّ الثّلثِ الجَلِي[١٥] تركيب من ثلاثة سطورٍ يفصلُ بين كلّ سطر بروازٌ أفقي يعادلُ إطارَ اللوحة، والكلماتُ باللوحة مشكّلة.

وأيضًا لوحةُ المدخل الرئيسي الجنوبي الغربي بجامع وضريح سيدي غازي، بقرية سيدي غازي، والتي ترجعُ إلى عام ١٢٨٤هـ، وهي عبارة عن لوحةٍ رُخامية مستطيلة، نقّذت عليها الكتابةُ بالخطّ الثُّلُث بالحفْر البارزِ الحادّ، من سطريْن يفصلُ بين السطرين بروازٌ أفقيّ، يقطعه بروازٌ رأسي، عندَ تقاطع البروازيْن توجد وردةٌ بارزة من أربعة بتْلات، فيصبح السطران أربعةَ سطور مكمّلة لبعضها، ويظهر في هذا النصّ التشكيلُ للحروف.[١٦]

دورُ التّقنيات الحديثة في تطويرِ علم الآثار:

شهدَ أوائلُ القرن التاسع عشر اتّجاهَ علم الآثار الحديث إلى شكلٍ مُختلف، ممّا أحدث تغيّرًا كبيرًا في معرفة الإنسان بتاريخه، وتطوّره في اكتشاف حضاراتِ ومدنيات قديمة سبقتْ حضارةَ اليونان والرّومان بعشراتِ القرون، وغيّرت آراء مؤرّخي الحضارات عن أصولِ التمدّنِ البشري وجذوره؛ إذْ كان الباحثون يحْصرونها تقريبًا في تراث الحضارة اليونانية.[١٧]

وهذه المرحلةُ من العملِ الأثري، ورغمَ أنّها البداية الحقيقية لعلمِ الآثار الحديث؛ لكنّها في الواقع كانت المرحلة الأسوأ بالنّسبة لبلاد الشرق الأدنى القديم؛ لأنّه تمّ فيها نهبُ آثار وكنوز كلّ مِن العراق ومصر، ودونَ ترخيص من أهلها، وقد دمّر من الآثار أثناء عملياتِ النّهب والسرقة خلالها أكثرُ ممّا عُثر عليه من آثار.[١٨]

إذْ كانت عملياتُ التّنقيب عن الآثار عبارة عن عمليةِ نبشٍ وحفر، كيفما اتّفق لجمع اللقى والكنوز المطْمورة

(١٢) - د. أحمد عبد الواحد ذنون ، حسان محمود الحاج قاسم ، الخصائص التصميمية للنقوش الكتابية في العمارة الإسلامية ، قسم الهندسة المعمارية ، جامعة الموصل ، ٢٠١٣، صـ ٥٤.

(١٣) - جمعة أحمد قاجة، موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، ٢٠٠٠، صـ ٤٠٢.

(١٤) - د. إدهام محمد حنش ، نظرية الفن الإسلامي، المفهوم الجمالي والبنية المعرفية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣، صـ ١١.

(١٥) - خط الثلث : هو نوع من الخطوط العربي التي ظهرت لأول مرة في القرن الرابع الهجري، وهو من أشهر أنواع الخطوط المتأصلة من الخط النسخي، وسمي بهذا الإسم لأنه يكتب بقلم يُقط محرفاً بسمك ثلث قطر القلم، لأنه يحتاج إلى كتابة بحرف القلم وسمكه. وهو من أصعب الخطوط العربية من حيث القواعد والموازيين، وهو يمتاز بالمرونة ومتانة التركيب وبراعة التأليف.

أنظر : عبد الرضا بهية داود ، كتاب خط الثلث الجلي ، ٢٠١٨، صـ ٨.

(١٦) - عزة علي عبد الحميد شحاته ، النقوش الكتابية بالعمائر الدينية والمدنية في العصرين المملوكي والعثماني ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨، صـ ١٩٤.

(١٧) - حسن، علي ، الموجز في علم الآثار ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، صـ ١٩.

(١٨) - حسن، علي ، المرجع السابق، صـ ٢١.

فـي باطـنِ الأرض، وغيرها مـن الرّمـوز التأريخيـة والفنيّـة لحضـارات الماضـي، دون الالتفـات إلـى الدلائـلِ الأثريـة، ومـا تنطـوي عليـه مـن تفسـيراتٍ علميـة عـن الماضـي وأحوالـه[19].

لكـنْ مـع مطلـع القـرنِ العشـرين ظهـرت أسـاليبُ علميـة فـي العمـل الأثـري، منهـا الاهتمـام بالتّعاقـب الطبقـي (Stratigraphy)، وطـرق تقديـر عُمـر الآثـار، ومنهـا طريقـة كاربـون ١٤،[20] وقـد ابتكـرت أجهـزةٌ آليـة عديـدة علـى مـرّ السـنين صـارت ذاتَ نفـعٍ كبيـر للعمـل الأثـريّ الميْدانـي، وسـاعدتْ فـي تقليـل النّفقـات والجهـد، كمـا أنّهـا اختصـرتِ الزمـن. إلّا أن هـذه الأجهـزة، ومهْما بلغت درجـةُ دقّتها فإنّها لا تقوم وحدَها بالحفر الواسـع، بـل تسـتخدم- فقـط- لإجـراءِ تنقيـبٍ اختبـاريّ سـريع، أو فحـص كهربائـي أو مغناطيسـي لبقـعٍ معينـة مـن الأرض، أو الموقـع الأثـري المزْمَـع فحصُـه، أو إجـراء دراسـاتٍ اسـتطلاعية فيـه، أو تحـرّ آثـاري أولـى قبْـلَ البـدء بأعمـالِ التّنقيـب المنظّـم الواسـع، وذلـك للتعـرّف علـى مـا تبطنـه تلـك الأماكـنُ مـن بقايـا بنائيـة، ولقـى أثريـة، والتأكّـد مـن كلّ ذلـك قبـلَ القيـام بوضْـع برنامـجٍ واسـعٍ للتنقيـب فـي ذلـك الموقـع[21].

عمومـاً، لجـأ علمـاء الآثـار، ومنـذُ نشـأة هـذا العلـم وانتشـاره، إلـى الكثيـرِ مـن العلـوم الأخـرى لتقـدّم لهـم العـون فـي فحْـص ودراسـة مـا خلّفـه الإنسـانُ مـن حضـارةٍ ماديـة، أو مـا تركـه مـن كتابـاتٍ ونقـوش، وصـولاً إلـى كثيرٍ مـن الأهـداف التـي يسْـعى للوصـول إليهـا.

التّقنيـاتُ والوسـائلُ والأدوات العمليـةُ والعلميـة فـي الكشـفِ عـن الحقـل الأثـري:

التّصويرُ الجوي (Aerial Photography):

يعـدّ التصويـرُ الجـويّ مـن أقـدمِ وسـائل الكشـفِ عـن المواقـع الأثريـة، وربمـا يبقـى الأكثـرَ أهميـةً مـن بيْنها فـي مجـالِ البحث الأثـري للكشـف عـن المواقـع الجديـدة. وقـد أدّى التصويـرُ الجـوي فـي مجـالِ التنقيـب عـن الآثـار إلـى نتائـجَ مُذهلـة، وكان أوائـلُ مَـن نـادوا بذلـك هـو العالـم الآثـاري (فلنـدرز بتـري)، الـذي حـاول التغلـبَ علـى عـدم توفّـر طائـرةٍ بالنسـبة لـه فـي ذلـك الوقـت، إلـى تثبيـتِ آلـةِ تصويـرٍ فـي طائـرةٍ ورقيـة تقـوم بتصويـرِ الموقـع بلقطـات عشـوائية يقـومُ بدراسـتها، وعندمـا أصبحـتِ الطائـرات أكثـرَ انتشـارًا عـدّتْ مـن الوسـائل الأساسـية لمحاولـةِ الكشـفِ عـن الآثـار[22].

التّصويرُ الجويّ بواسطة الأشعة تحت الحمراء:

للأشـعةِ تحـتَ الحمـراء القـدرةُ علـى النّفـاذ فـي الأجسـام، وقـوّة هـذا النفـاذ تتوقّـفُ علـى كثافـة الجسـمِ المُـراد بحثُـه وإظهـارُ مـا بداخلـه، لـذا يسـتخدَم التصويـر بواسـطةِ الأشـعة تحـت الحمـراء للكشـفِ عـنْ كلّ شـيء مطمـورٍ تحـت الأرض، أو مطمـوس؛ بحيث لا يمكـن رؤيتُـه بواسـطة العيْـن المجـرّدة، ولا تصويره بالوسـائلِ والكاميـرات العاديـة. وبذلـك تعطـي الأشـعة تحـت الحمـراء تسـجيلًا دقيقًـا لحالـةِ الأثـر بـكلّ تفاصيلهـا. لهـذا اسـتخدمت هـذه الأشـعةُ فـي مجـال العمـلِ الأثـري للكشـفِ عـن بعـض الطّبقـات المحتمَـل وجودُهـا تحـت الطبقـة السـطحية لأثرٍ مـن الآثـار، والتـي بهـا بقايـا أثريـة[23].

المَسْحُ بالرّادار الجوي:

يعمـلُ الـرادارُ الجـوي فـي الحقـلِ الأثـري بنفْـس الطريقـة التـي تعمـلُ بهـا رادارات علمـاء الأرْصـاد والسّـفن والطائـرات، فهـو يرسـلُ موجـاتٍ قصيـرةً إلـى الأرض، ويسـجل المعلومـاتِ المنعكسـة عنهـا. وهـو يعمـل بشـكلٍ أكثـر جـودة فـي الأراضـي الصّلبـة منهـا فـي الأراضـي الرّخْـوة؛ لـذا فإنّـه يكـون أكثـرَ فائـدة حيـن اسـتخدامُه فـي مواقـع شـمال العـراق منهـا فـي جنوبـه، فمثـلًا يمكـن اسـتخدامُه فـي فهْـم نُظـم قنـواتِ الـرّي فـي العواصـم الآشـورية. كمـا أنّـه يعكـس المعلومـاتِ عبْـر الميـاه والأشـياء الرّطْبـة.[24]

الطّرائقُ الجيوفيزيائية (Geophysical Methods):

بشـكلِ عـام، لـم يتـمّ الحصـولُ علـى تعريـفِ مباشـر للجيوفيزيـاء الأثريـة، ولكـن يمكـن القـولُ إنّهـا: (فحـصُ الخـواصّ الماديـة للأرض باسـتعمال تقنيـاتِ المسْـح الأرضـي غيـر التدميـري لكشـفِ المَعالـم الآثاريـة المدفونـة

(١٩) - أبو الصوف، بهنام ، التأريخ من باطن الأرض، عمان ، ٢٠٠٩، ص ٥٦.

(20) - Drewett، P.L (2003 – 2004). Field Archaeology، An Introduction. London، P.21.

(٢١) - أبو الصوف، بهنام ، المرجع السابق ، ص ٥٨.

(٢٢) - الشوكي ، أحمد ، علم الحفائر الأثرية ، القاهرة ، ٢٠١٣، ص ٣٥.

(23) - Kenneth، K.L (2003). Geophysical Surveys as landscape Archaeology. American Antiquity، Vol 68، No.3. P. P. 441-443.

(24) - Drewett، P.L (2003 – 2004). OP.cit.P.50.

فـي المواقـع، والمنطقـة، بشـكل عـام[٢٥]. وتعتمـد الطـرقُ الجيوفيزيائيـة، التـي يمكـنُ لهـا مسـاعدةُ علمـاء الآثارِ علـى استخدام نظرياتِ علم الفيزياء فـي الكشـفِ عـن التركيباتِ الجيولوجية للقشرةِ الأرضية، والتعرّف مِن ثـمّ علـى مـا فـي باطـن هـذه الأرض مـن كنـوز، سـواء كانـت أثريـةً أو غيـر أثريـة[٢٦].

التّقنياتُ المستخدَمَة في التنقيب والتأريخ:

تختلـفُ طـرقُ تأريـخ الآثـار باختـلافِ طبيعـة المواقـع الاثريـة، واختـلاف أنـواع المـوادّ المستخرَجَة منهـا، وعلـى الرّغـم مـن كثرتهـا يمكـن تصنيفُهـا فـي مجموعتيـن؛ تشـمل الأولـى طـرق التأريـخ المُطلـق مثـل طريقـةِ اختبارِ كربـون ١٤ الإشـعاعي، وطريقـة بوتاسـيوم اركـون، وطريقـة حلقـات الأشـجار، وطريقـة التاريـخ بالوثائـق المدوّنـة، وغيرهـا. وهـذه الطـرقُ تسـتخدَم لتاريـخ المـادّة الأثرية أو الأدوار الحضارية بالسّنوات أو القرون، وإذا تعذّر اسـتخدامُ وسـائل التاريـخ المُطلـق، آنـفِ الذّكـر؛ فعَلَـى المنقّـب أنْ يـؤرّخ مكتشـفاته تأريخـا نسـبيًّا بإحـدى طـرق الصّنـف الثانـي مثـل الطريقـة الجيولوجيـة أو الكيمياويـة، أو النباتيـة أو طريقـة المقارنـة بالأنـواع، أو طريقـة تعاقـب الطبقـات، أو غيرهـا، وهـذا يسـتطيع المنقّـب أن يعطـي فكـرةً عامّـة عـنْ تاريـخ الموقـع ومحتوياتـه دونَ أنْ يحـدّد ذلـك التاريـخ تحديـدًا دقيقًـا بالسّـنوات. [٢٧]

والتّواريـخُ الأثريـة- مطلقـة كانـت أو نسـبية- وثيقـةُ الصّلـة بالعلـوم الطبيعيـة، وتسـتلزم تعـاونَ علمـاء الآثـار والجيولوجـي والنبـات والحيـوان والكيميـاء والفيزيـاء.

طريقةُ كربون ١٤ الإشعاعي:

هـي أكثرُ طرقِ التاريخ المُطلق شيوعًا في الاستعمال، ولكنهـا غاليـة التكاليـف، تسـتلزم الطريقـةُ تحليـلَ مـادّة عضويـة اكتشـفتْ فـي الموقـع الأثـري لمعرفـة كميـة الإشـعاع الكربونـي فيهـا. يدخـلُ هـذا النـوع مـن الكربـون فـي النّباتـات مـن غـاز ثانـي أوكسـيد الكربـون، ثـمّ يدخـل فـي جسـمِ الحيـوان والإنسـان عـنْ طريـق المـوادّ الغذائيـة النباتيـة والحيوانيـة، ويبقـى محافظًـا علـى كمّيتـه مـادام الكائـنُ العضـوي حيًّـا، فـإذا مـات تبـدأ ذراتُ الكربـون ١٤ بالتناقـص بمعـدل نصـف كمّيتهـا بعـدَ مُضـيّ ٥٥٦٨ ± ٣٠ سـنة مضـت[٢٨] وبعـدَ مضـيّ نفـس المقـدار مـن السّـنوات يفقـد النصـفُ الباقـي نصفَـه، وهكـذا يبقـى الربـعُ مـن الـذرّات بعـد مضـي ١١١٣٦ سـنة مضـت، وبمـا أنّ الأشـعة الكربونيـة التـي تحويهـا المادةُ العضويـة أثنـاء حياتهـا معلومـةٌ، وأنّ التناقـص يحـدُث فـي نسـبة زمنيـة معلومـة أيضًـا؛ لـذا سـهلت معرفـة تاريـخ المـادة العضويـة منـذُ موتهـا باحتسـابِ الكميـة الباقيـة مـن الأشـعة، وعلـى هـذا الأسـاس يتبيـن مـن فحْـص مـادة أثريـة خشـبية صنعـتْ مـن شـجرةِ قطعـتْ قبـل ٥٥٦٨ سـنة، أنّهـا تحـوي نصـف مقـدارِ الأشـعة الكربونيـة التـي تحويهـا مـادةٌ خشـبية صُنعـت مـن شـجرةِ قُطعـت فـي هـذا العـام، ولكـي يتـمّ حسـابُ التاريـخ يسـتخلص الكربـون، أو تسـتخلص مركباتُـه مـن المـادة العضويـة بطريقـةِ كيمياويـة، ثـمّ توضَـع علـى آلـة إشـعاعية- كيمياويـة، فتسـجّل هـذه الالـة بمقـدار الكميـات المفقـودة مـن الأشـعة الكربونيـة، ثـمّ يحسـب تاريـخ المـادة الأثريـة فـي حـدود ٨٠،٠٠٠ سـنة مضـت، وكانـت قبـلَ ذلـك لا تتعـدّى الأربعيـن ألـف سـنة مضـت. [٢٩]

وتشـمل المـوادّ الصالحـة للتأريـخ بطريقـةِ كربـون ١٤ الإشـعاعي الخشـب القديـم والمتفحـم والحبـوب الغذائيـة والخبـز والجلـود والقـرون والأصـداف والعظـام إذا كانـت غيـرَ متعرّضـة لتغيّـرات كيمياويـة أثنـاء التحجّـر لأنّ الكربـون الـذي فيهـا يتغيّـر أيضًـا، ولكـنّ العظـام المحروقـة، والتـي بقيـتْ فـي حالـةِ جافّـة فـي الكهـوف والملاجـئ الصّخريـة يمكـن الاسـتفادة منهـا، فـإذا عثـرَ المنقّبـون علـى هـذه المـوادّ أثنـاء الحفـر فـي المواقـع الأثريـة فينبغـي حفْظُهـا فـي قنانـي زجاجيـة، ويجـب سـدُّ تلـك القنانـي سـدًّا محكمًـا، مـع الإشـارة إلـى محتواهـا، والطبقـة التـي وجـدتْ فيهـا، وتاريـخِ الحصـول عليهـا، والمرحلـةِ الأثريـة التـي تمثّلهـا. وعنـد ذلـك تكـون جاهـزةً لإرسـالها إلـى مُختبـر التحليـل. واسـتخدمت هـذه الطريقـة لتاريـخ آثـار كثيـرة مـن المواقـع فـي العالـم القديـم[٣٠] والجديـد، منهـا

(٢٥) - غـالان ، رودريغيز مالاتين ، مناهج البحث الأثري ومشكلاته ، ترجمة خالد غنيم ، دمشق ، ١٩٩٨م، صـ ١٤٦.

(٢٦) - رزق عصام محمد ، علم الآثار بين النظرية والتطبيق ، مطبعة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦م، صـ ٤٣.

(٢٧) - د. عبد المنعم أبو بكر ، البحوث الاثرية واثرها في كتابة التاريخ القديم ، المجلة التاريخية المصرية الصادرة من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مجلد ٥، ١٩٥٦م، صـ ٤٦.

(28) - Libby، W.، Radiocarbon Dating، 1952، P.5 ; Wise، E.، The C-14 Age Determination Method، P.170-175.

(29) - Kulp and Tryon، Exemption of the Carbon 14 Age Method Review of Scientific Instruments، Vol. 23، 1952، P296 – 297; Decvy، E.، Radiocarbon Dating، Scientific American، Vol.، 186، 1952، P. 24 – 28.

(30) - Braidwood، R.، Near Eastern Prehistory، Reprinted from

آثارُ قلعة جرمو التي تبيّن أنّها تعود إلى سنة ٩٠٤٠ ± ٢٥٠ قبل الحاضر، وآثار تلّ حسونة إلى سنة ٧٠٥٠ ± ٢٠٠ قبل الحاضر، وكشف شانيدر إلى سنة ١٢٠٠٠ ± ٤٠٠ قبل الحاضر، والقيوم إلى سنة ٦٣٩١ ± ١٨٠ قبل الحاضر، وغيرها.

الطّرقُ التقنية المستخدَمَة في الكشف عن الآثار:

طرقُ التّقنيات الأثرية هي الوسيلةُ التي يستخرجُ بها الأثريون مخلّفاتِ الإنسان القديم، وبواسطتها يفسّرون ويحلّلون نتائجَ حفرياتهم، ويؤرّخون زمنها، ويقدّرون أدوارها الحضارية، ويضْبطون طبقاتِ المواقع القديمة، ويعرفون علاقات مَن سكنها بمَن جاورهم، ويستنبطون أحوالَهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعمرانية والفنية والعسكرية، وغيرها.

وكانت التّقنياتُ الأثرية إلى وقتٍ قريب تجري على يدِ هُواةٍ لم يكن لديهم علمٌ بطرق الحفْر المنظّمة، ولا بضبْط طبقات الآثار، وتسلسل أدوارها الزّمنية، ومع مطلع القرن العشرين بدأتِ التّقنيات الأثرية المنظّمة، وبمرور الزمن توفّرت لديها طرقٌ خاصّة بكلّ ما يتعلّق بالتقنيات، فأصبح عالمُ الآثار اليوم يهتدي بها ويعملُ بموجبها.[٣١]

الأساليبُ العلمية الأولى في التنقيب:

لقد تميّز النصفُ الأخير من القرن التاسع عشر بالميْل العام نحوَ اتّباع أساليب علمية ثابتة في التّنقيب، ويعتبر ميدوس تايلر- وهو ضابطٌ بريطاني شابّ- من أوائل المنقّبين الذين نقلوا بوضوحٍ صورةً صادقة عن المواقع الأثرية التي نقّب فيها. وذلك في تحديد الأماكن التي وجدتْ فيها اللّقى الأثرية، وغيرها، كما كشفتْ عنها الحفر، على الرّغم من أنّ حفائرَه كانت قليلة ومحْدودة. ففي ثلاثةِ بحوثٍ له نُشرَت بين عامي ١٨٥١ و ١٨٦٢، والتي تعرّض فيها لبعض المدافنِ القديمة التي نقّب فيها في مقاطعةِ حيدر آباد في الهند، والتي تعودُ لعصورِ ما قبل التاريخ؛ بيّن لنا بشكلٍ واضح الطريقة التي كانت متّبعة عند الدّفنِ في الهند في العصور الحجرية، واصفًا لنا جميعَ اللّقى الأثرية بما فيها موقعها من التلّ بدقّةٍ متناهية، إضافةً إلى الرسومات والمساقط الأفقية والمقاطع التي زوّدتنا بها تلك الأماكن التي حفرَها تايلر؛ مدفن دائري منخفض تحيطُ به حلقتان من الأحجار، ولم يكن لتلك الأحجار من فائدةٍ ظاهرةٍ إلّا في تحديد المدفن، إذْ باستثناء الكتلة الترابية المرتفعة قليلًا من مستوى الأرض المحيطة؛ ليست هناك أيّة علامةٍ فارقة أخرى.[٣٢]

...

Science، Vol. 127، No. 3312، 1958، P.8.

(٣١) - رياض كاظم عزوز الكريطي، التقنيات المعاصرة في تدريس التاريخ بين الحاجة إليها ومتطلبات نجاحها، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٥، ص٦٩.

(٣٢) - أتى عبر هذه الرحلة رحلة راودولفا اللماني الذي نقل بعض الخطوط المسمارية على اساس انها صور او رموز لاشكال محورة من الطبيعة(Rauwolt).

ومهما يكن من أمرٍ فقد رفعَ تايلر تلك الكتلةَ الترابية، وكشف لنا تحتها عنْ مقبرةٍ جماعية تضمّ العديد من الهياكلِ العظمية البشرية [٣٣]. الكشف عن المقابر الجماعية في الهند، أو في غيرها من بقاع العالم؛ لم يكنْ بالأمر الجديد، وليست فيه أيّة إثارة، ولكنّ المهمّ- والمثيرَ هنا- هو الصورةُ الصادقة التي نقلَها لنا تايلر عنِ المدفن، فقد استبان في ذلك بالأرقام والحروف في توضيح الصورة لنا، فقد استخدمَ الأرقامَ في توضيح الآثار الظّاهرة في المقطع فقط، بينما استخدم الحروفَ في المخلفات الظّاهرة في المقطع والمسقط الأفقي، فقد رمز بالرقم (٤) إلى الأحجار الكبيرة نسبيًا، والتي كانت تحيطُ بالمدفن، وأشار بالرقم (٣) للمدفن، أمّا الرقم (٥) فقد خصّص للأنقاضِ الفوقانية للمدفن، أمّا الرقم (٢) فهو إلى الهياكلِ العظمية العديدة، والمخلوطة بالأتربة، والتي تشكّل الغالبية العظمى.[٣٤]

لقدْ أوضح لنا تايلر بهذيْن المخطّطين- بشكلٍ مُنتهٍ في الدقّة- الطريقةَ الآثارية والجماجم والهياكل العظمية التي ظهرتْ في الحفر في أماكنها الأصلية، وهي توحي لنا- بشكلٍ صادق- الكيفية التي تمّت فيها مراسيمُ الدفن في الهند في العصور السابقة للمسلمين.

(33) - Belzonal، Narrative of the Operations and Recent Discoveries. Within the Pyramids، Temples، Tombs and Excavaions in Egypt and Nubia.

(٣٤) - د. تقى الدباغ ، طرق التنقيبات الاثرية ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، بدون سنة نشر ، ص ٢٥.

المراجع:

أوّلًا: المراجعُ العربية:

١. إبراهيم، محمد حمدي، علم النقوش، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ٢٠١٢.
٢. أبو الصوف، بهنام، الأريخ من باطن الأرض، عمان، ٢٠٠٩.
٣. أحمد إبراهيم عطيه، دراسة المونات القديمة والحديثة لتوظيفها في أعمال الترميم المعماري للمباني الأثرية في مصر، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في ترميم الآثار، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠.
٤. أحمد عبد الواحد ذنون، حسان محمود الحاج قاسم، الخصائص التصميمية للنقوش الكتابية في العمارة الإسلامية، قسم الهندسة المعمارية، جامعة الموصل، ٢٠١٣.
٥. إدهام محمد حنش، نظرية الفن الإسلامي، المفهوم الجمالي والبنية المعرفية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
٦. إغناثيو غوتيريث دي تيران، النقوش الكتابية في إسبانيا وصناعة الأحرف على المواد الصلبة «اللغة العربية والنقوش والآثار المكتوبة في إسبانيا»، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، العدد الثالث.
٧. تقى الدباغ، طرق التنقيبات الأثرية، كلية الآداب، جامعة بغداد، بدون سنة نشر.
٨. جمعة أحمد قاجة، موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
٩. حسن، علي، الموجز في علم الآثار، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.
١٠. رزق عصام محمد، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مطبعة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦.
١١. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، بدون سنة نشر.
١٢. رياض كاظم عزوز الكريطي، التقنيات المعاصرة في تدريس التاريخ بين الحاجة إليها ومتطلبات نجاحها، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٥.
١٣. الشوكي، أحمد، علم الحفائر الأثرية، القاهرة، ٢٠١٣.
١٤. عبد الرضا بهية داود، كتاب خط الثلث الجلي، ٢٠١٨.
١٥. عبد المنعم أبو بكر، البحوث الأثرية وأثرها في

كتابة التاريخ القديم، المجلة التاريخية المصرية الصادرة من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد ٥، ١٩٥٦.

١٦. عزة علي عبد الحميد شحاته، النقوش الكتابية بالعمائر الدينية والمدنية في العصرين المملوكي والعثماني، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

١٧. غالان، رودريغيز مالاتين، مناهج البحث الأثري ومشكلاته، ترجمة خالد غنيم، دمشق، ١٩٩٨.

١٨. قبوب لخضر سليم، صيانة وترميم الآثار الحجرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠١٧.

١٩. محمد عبد الستار عثمان، مقاليد أدوات الكتابة بين النشأة والتطور، الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا، العدد ٦ ، ٢٠١٣.

٢٠. المؤذن، منى، النقائش والرسوم الصخرية في الآثار العربية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة برنامج الثقافة والاتّصال، المؤتمر الثالث عشر للآثار، الجماهيرية العظمى، طرابلس، ١٩٩٧.

٢١. هالة عفيفي محمود، دور التقنيات الحديثة في الاكتشافات الأثرية، كلية الآثار، جامعة حلب، سوريا، بدون سنة نشر.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1. Belzonal, Narrative of the Operations and Recent Discoveries. Within the Pyramids, Temples, Tombs and Excavations in Egypt and Nubia.
2. Braidwood, R., Near Eastern Prehistory, Reprinted from Science, Vol. 127, No. 3312, 1958.
3. Drewett, P.L (2003 – 2004). Field Archaeology, An Introduction. London.
4. Kenneth, K.L (2003). Geophysical Surveys as landscape Archaeology. American Antiquity, Vol. 68, No.3.
5. Kulp and Tryon, Exemption of the Carbon 14 Age Method Review of Scientific Instruments, Vol. 23, 1952, ; Decvy, E., Radiocarbon Dating, Scientific American, Vol., 186, 1952.
6. Libby, W., Radiocarbon Dating, 1952, P.5 ; Wise, E., The C-14 Age Determination Method.

• • •

علمُ التاريخ الديناميكي Cliodynamics
تضافرُ التاريخ وبرمجيّات الحاسوب

الدكتور
شاشة فارس
جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢
fareschacha@yahoo.fr

مقدّمة:

يعرف التاريخُ بأنّه حكايةُ الماضي الإنساني، وتسجيلٌ مباشر له، ويشمل كلّ المصادر المتنوّعة من الكتب، والصحف، والأوراق الشخصية، والتحف، والمستندات المطبوعة، وسجلّات الأرشيفِ الأخرى، وكتب التاريخ، بحيث يستخدم المؤرّخون كلّ هذه المصادر والموارد من أجل تشكيل أنماطٍ مترابطة من القصصِ المتسلسلة للأحداث الماضية، وقد استخدمَ علماءُ التّاريخ العديدَ من المناهج لدراسة الظواهر التاريخية، وتحليلها، والربط بينها للوصول إلى نتائج دقيقة.

لكنْ بمرور الوقت، وللبحث عن فلسفةٍ عامّة للظواهر التاريخية قام الباحثون باستثمار التّقنيات الرياضية والإحصائية، وتحليل الأرقام، لدراسة هذه الظواهر والربط بينها والبحث عن تكميمها؛ أي تحويل الدّراسات التاريخية من المنهج الكيفي إلى المنهج الكمّي، وهو ما نتجَ عنه ظهورُ فروع جديدة في التاريخ؛ مثل التاريخ الكمّي، والقياس التّاريخي cliometrie والتاريخ الديناميكي cliodynamique والتي تأثرت كثيرًا بعلوم الحاسوب، وتكنولوجيا المعلومات.

١- الظاهرةُ التاريخية.. من الكيف إلى الكم:

تمتاز الظاهرةُ التّاريخية بارتباطِها بزمان معيّن، ومكان محدد، ورؤية ناقلها ومسجّلها؛ لذا عملُ المؤرخ الباحث لا يتوقّف على تسجيل المُعطيات الخام؛ بل يستوجب عملًا منهجيًّا لبناءِ موقفٍ موضوعي، فتتمّ مساءلة الوثائق واستنطاق الآثار التاريخية لتُفصح عنْ غير ما تصرّح به ظاهريًّا؛ أي أنّ المؤرخ يعيدُ تكوين الواقعةِ التاريخية انطلاقًا من فرضية عملٍ تضفي معنى عليها. فالواقعةُ التاريخية كأيّة واقعة علمية، عبارة عن بناءٍ يشيّده العالم ويبنيه، فالتاريخ ليس مجرّد سردٍ لأحداث الماضي من حكاياتٍ وقصص تبنَى على تقاليد شعبية وأسطورية، وليس عملًا أدبيًّا يهدفُ إلى إعادة صياغةِ تلك الأحداث بأسلوبٍ مؤثّر بليغ، بل هو حقائق تاريخية حدثتْ لمجتمعات لا تختلفُ عن مجتمعاتنا، من هنا فالوقائعُ والمعرفة التاريخية لتلك الأحداث التي حدثتْ في الماضي يتمّ بناؤها من طرف المؤرخِ وفق منهج دقيق يقوم على الملاحظة واستنطاق وتحليل ونقد الوثائق والمصادر التاريخية[١].

بعدَ الحرب العالمية الثّانية، اتّجه بعضُ الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى استثمار قوّةِ ومنطق العلومِ الرياضية والإحصائية في دراسة ظواهر تاريخية واجتماعية، ويتجلّى ذلك في مدرسةِ الحوليّات، فيما سمّته بالتاريخ الكمي.

حيث يبدأ التاريخُ الكمّي معَ مدرسة الحوليات، وزعيمها فرناند بردويل، حيث جلب هذا المؤرّخ العديدَ من الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية إلى علم التاريخ، مُستخدمًا الأدوات الرياضية والإحصاء، وخصّص جزءا من مجلة الحوليات لقبول مواضيع حول التّاريخ الكمي، وخاصّة مع أبحاث المؤرخين،Pierre Chaunu، Pierre Vilar، Ernest Labrousse et Jean Marczewski..[٢].

وقد كان المؤرخون الغربيّون في فرنسا أوّل مَن أفاد مِن هذه الإمكانات، فاستخدموا- منذ النّصف الأول من القرن الماضي سنة ١٩٥٠م- البرامجَ الإحصائية في دراساتهم، ثمّ ظلّوا يتابعون ما استجدّ من تقدّمٍ مُطرد في هذا المجال، وتمكّنوا من إحداث تحول نوعي في دراساتِ تاريخية قدّموها عن صورة السكان في الماضي من حيث المواليد والوفيات والهجرة وحجم السكان وتركيبهم وتركيب الأسرة، ومن ثمّ فقد عرف نهجهم هذا على أنّه ولادةٌ لمدرسة جديدة في الديموغرافية

(١)- أسمهان الجرو. الواقعة التاريخية وكيفية بنائها. مقال متوفر في https://www.researchgate.net.تمت الزيارة يوم ٢٠٢٠/٠٤/٢٤

(2)- Wilson، D. S. 2013. Human Cultures are Primarily Adaptive at the Group Level (with comment). Cliodynamics 4.

التاريخية (Historical Demography) .

وقد تعمّق هذا النهجُ في السنوات التالية، وبخاصّة بعد أنْ تأسّست في إنجلترا سنة ١٩٦٤ جماعةُ كامبريدج لتاريخ السكان والبناء الاجتماعي، التي اعتمدت على استخراج البيانات عن كلّ فردٍ من أفراد الأسرة، في مجتمع معيّن، بدءا من ولادته، زواجه، أولاده، وفاته، ثمّ إجراء عمليةِ ترتيبٍ وفق تسلسلٍ زمني، وبصورةٍ محدّدة لكلّ نوعٍ من أنواع الأحداث: الزّواج، الإنجاب، الوفاة، حيث يتمّ فرزُ ذلك حسبَ الحروف الأبجدية، ومن ثمّ يتمّ تجميعُها حسبَ لقب العائلة، ثمّ تكوين فروع وعناقيد بأسماءِ الأسر، ووضع الأحداث المتعلّقة بكلّ أسرةٍ وفق تسلسلٍ زمني، ثمّ يصار إلى تحويل هذه المعلومات إلى صور أخرى، تسمّى صور إعادة تشكل الأسرة.(٣)

ثمّ اكتسب هذا الفرعُ من علم التاريخ أهميةً متزايدة في الستينيّات بفضل دراسات الباحث Emmanuel Le Roy Ladurie في عمله حولَ تاريخ المناخ، إذِ استثمرَ التطوّرات الكثيرة في علوم الديموغرافيا، وعلوم الكومبيوتر، وعلم الاجتماع والجغرافيا؛ لدراسة مواضيعَ تاريخية واقتصادية.

كما زادَ الاهتمامُ في الدّول الأنجلوساكسون بالتاريخ الكمّي، خاصّة في الستينيّات، وظهور العديد من المجلات التي تتناوله، مثل: Historical Methods en 1973، Journal of Interdisciplinary History en 1984، et Social Science History en 1965

٢- أسبابُ ظهور التاريخ الكمي:

يرى الأستاذ سيار الجميل أنّ أسباب ظهور التاريخي الكمي يعود إلى الموضوعات والحقول: نتيجة إتاحة ملفّات ووثائق اقتصادية واجتماعية فيها الكثير من البيانات والأرقام والإحصائيات حولَ مختلف نشاطات الإنسان، مثل تواريخ المدن الصّناعية، وتواريخ الطبقة العاملة، والتاريخ الزراعي، وتاريخ التجارة؛ فإنّ المؤرخين اضطرّوا إلى الاستفادة من تقنيات الإحصاء والرياضيات لنمذجة هذه الإحصائيات وتحليلها.٤

- الثورةُ المعرفية: حيث ظهرت حركةٌ طالبتْ بإنشاء علم التاريخ كعلمٍ اجتماعي دقيق مكرّس للبحثِ في حقائق الماضي، في تطبيقاته الصارمة، حتى ينتقل من العلوم الرخوة إلى العلوم الصلبة؛ لذا اقترضوا مفاهيمَ وتقنياتٍ كثيرة من مختلف العلوم الأخرى، وخاصّة في مجال علم التاريخ الاقتصادي، وهو ما تمثّله دراسة الباحث روبرت فوغل في دراسة تاريخ اقتصاد أمريكا، لو لم تعتمد على السكك الحديدية، حيث اعتمادًا على مجموعةٍ من البيانات، ومجموعة من الافتراضات النظرية؛ قامَ بحساب معدّل النمو الاقتصادي الأمريكي دون سككٍ حديدية.

- ثورةُ المعلومات من خلال الكومبيوتر: بدأ المؤرّخون في وقت متأخّر نوعًا ما في تحقيق الانتقال من بطاقات الملاحظة (أو: الجذاذات) إلى ملفّات الكومبيوتر، فكان ذلك مدخلًا أساسيًّا من أزمنة التقاليد إلى عصر المركزية المعلوماتية. وخصوصًا في وقت متأخّر من عام 7691، وشارك فقط بضع عشرات من المؤرخين في مشاريع البحوث المحوسبة على الأصعدة الوطنية. ولكنْ بحلول أوائل عقد السبعينيّات، انطلقت ثورة الحاسوب، والوصول إلى برامج الدراسات العليا في دراسات التاريخ، وبدأت أعدادٌ متزايدة من الباحثين الشباب يتعلّمون في دورات خاصّة الإجراءات الأساسية لإدخال البيانات والمعلومات، وتحليلها باستخدام برنامج مثلSPSS. ، خاصّة لدراسة عددٍ كبير من السّكان معَ مئات من «عناصر البيانات»، لقد أثبتتْ أجهزة الكمبيوتر المركزية أنّها بمثابة هبة من السماء.

٣- مِن التاريخ الكمّي إلى التاريخ الديناميكي cliodynamique:

ابتداء من بدايةِ القرن العشرون اهتمّ بعضُ الباحثين في التخصصات العلمية على نقل مهاراتهم وتقنياتهم لدراسةِ التاريخ، واهتمّوا بالتاريخ طويلِ المدى؛ أي النظر إلى ديناميكية تطوّر المجتمعات على فتراتٍ زمنية طويلة، حتى يتمكّنوا من استخراج قوانين عامّة لتطور المجتمعات.

وقد قام الباحثُ بيتر تورشين petre turchin باقتراح تخصّص علمٍ جديد في التاريخ سنة ٢٠٠٣ عُرف بالتاريخ الديناميكيcliodynamique حيث إنّ كلمة clio كلمة يونانية تعني متحف التاريخ، وهذا الفرعُ هو عبارة عنْ مزيجٍ من التخصصات يهدف إلى توحيدِ مناهج النّمذجة الرياضية للعمليات الاجتماعية والتاريخية طويلة المدى، والتاريخ، وعلم الاجتماع الكلي التاريخي، والدستور، وتحليل قواعد البيانات التاريخية، ودراسات التطور

(٣)- باركلو، جفري، الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية، ترجمة المرحوم الدكتور صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤، ص ١٣٣، مصطفى زايد، مرجع سابق ص ٥٣

(٤) -سيار الجميل. التاريخ الكمي. موقع مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية (نشر في ٢٤ سبتمبر / ايلول ٢٠١٦).

الاجتماعي والديموغرافيا التاريخية، وما إلى ذلك.[5]

ويرى بيتر تورشين أنّ التاريخ يخضع لدوراتِ دورية متغيّرة، لكن متكرّرة في هياكلها، وهي تتأثّر بالموقع الجغرافي والشعبوبة.

وقد تبنّى تخصص التاريخ الدينامكيي الكثيرَ من التقنيات والمناهج من مختلف العلوم والتخصّصات، وخاصّة العلوم الحاسوبية والإحصاء، وهو ما أدّى بأصحابه إلى إنشاء قواعد بياناتِ كبيرة للأحداث التاريخية، مثل قاعدة بيانات: Seshat وقاعدة بيانات غوغل n-grame.

كما أنّ نهجَ المتخصّصين في التاريخ الديناميكي لمعرفة دورات الظواهر التاريخية أدّى بهم إلى التأثّر بعلم الاقتصاد، وخاصّة دورات كوندراتيف، وعلوم البيئة والمناخ، الذين يعملون على إنشاء نماذجَ حاسوبية للعوامل التي تؤثّر في المناخ، والمراحل التي يمرّ بها.

٤- أهمّ عوامل ظهور التاريخ الديناميكي:

لقد عمل مختلفُ المؤرخين والفلاسفة على البحث عنْ كنْه الأحداث التاريخية، ومحاولة معرفةِ وتحديد الاتّجاهات العامة للتاريخ، وهو ما عُرف بفلسفة التاريخ، ويظهر ذلك في أعمال ابن خلدون وهيغل واشبنجلر وجيبون، وكانت لديهم آراء سديدة لمعرفة أهمّ تطوّرات الحضارات، ومسار ظهورها، وانحلالها، لكنّ أعمالهم كانت تعتمدُ على التحليل والتأمّل، وتحديد الأسباب فقط.

ومعَ ظهور الحاسوب، وزيادة قوة الحوسبة، تمّ إنشاء برمجيات عديدة لنمذجة مختلف الظّواهر العلمية، بدءا من العلوم الطبيعية، ثمّ علوم الحياة، وأخيرًا علوم الاقتصاد والاجتماع والإنسان.

لكنْ واجهوا صعوباتِ كثيرة في نمذجة الظواهر الاجتماعية والإنسانية؛ لأنّهم يتعاملون مع موضوعاتِ متغيّرة، وذات عوامل معقّدة، تتأثّر مع بعضها، وهنا لجأ الباحثون إلى استخدام ما يُعرف ببرمجية الوكيل لنمذجة كلّ ظاهرة على حدة، وبعد ذلك يجرى تفاعل مجموع الوكلاء حتّى يتمّ نمذجة الظاهرة الإنسانية والاجتماعية ككل.

وبعدَ ذلك، تمّ الاستفادة من الحواسيب العملاقة في إنشاء قواعد بياناتِ للأحداث التاريخية والعوامل المؤثّرة فيها من مختلف النواحي/ بيولوجيًا، اقتصاديًا، اجتماعيًا، تكنولوجيًا في مدّةِ زمنية طويلة لمعرفة دورات الأحداث التاريخية، سواء كانت طويلة المدى أو قصيرة المدى، وهو ما عبّر عنه المنظّر للتّاريخ الديناميكي بيتر تورشين، ليس لديّ سوى احترام عميق لعمالقة الفكر التاريخي من بوليبيوس وابن خلدون إلى فرناند بروديل ووِيليام ماكنيل، لكنّي أزعم أنّ هذا لا يكفي، بالإضافة إلى البحثِ المثير للإعجاب الذي قامَ به المؤرّخون بالفعل، نحتاج إلى جهدِ منهجي يتمّ تناوله في ترجمة النظريات اللفظية إلى نماذجَ رياضية، وجمع مجموعاتِ كبيرة من البيانات التاريخية، واختبار تنبؤات النّموذج على هذه المواد التجريبية. تسمح لنا التنبؤاتُ المتناقضة للنظريات المتنافسة بالبيانات برفض بعضِ النظريات لصالح البعض الآخر، يعدّ هذا أحدَ أفضل مقاييس التقدم العلمي، ولكنْ نادرًا ما يحدث في التاريخ.[٦]

خاتمة:

تأثّر التاريخُ كما تأثّرت مختلفُ العلوم الإنسانية والاجتماعية بالتكنولوجيا، وخاصّة البرمجيات، ومناهج الرياضيات والإحصاء، وهو ما عمل على تطوير هذه العلوم، ونقلها من الحالةِ الوصفية فقط إلى حالةِ تحليلية تفسيرية، ونتج عن تفاعل التاريخ والبرمجيات الحاسوبية، وبمساعدةِ علوم عديدة أهمّها علوم البيولوجيا والاقتصاد والبيئة والرياضيات؛ بروز فرعٍ جديد في التّاريخ عرف التاريخ الديناميكي، والذي يعمل على محاولة معرفة كيفيّة تطور الأحداث التاريخية، وما هي اتّجاهاتها الكبرى، وما هي المؤشرات التي تحدّد هذه الدورات التاريخية.

• • •

(5)- Cliodynamics: History as Science.http://peterturchin.com/cliodynamics/. Visited le 24/04/2020

(6)-.ibid

العلاقةُ بينَ الدّرس التاريخي والتّقنية



د.لعباسي محمد

جامعة وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر

تمهيد:

الإنسانُ هو مصدرُ كلّ الأفعال على الأرض، فاستخدَم عقلَه الذي وهبَه إيّاه الله- سبحانه وتعالى- في إسعادِ نفسِه وتلبية حاجياته، ففي كلّ عصرٍ من حياته نجده يتأقلمُ مع البيئة التي هو فيها، حتّى قيل إنّه ابنُ بيئته، فكان يخترعُ الآلاتِ والوسائلَ التي تزيحُ الحواجز، والتي تعرقل نشاطَه في هذه الحياة، وتسعده فيها.

والإنسانُ في صراعه معَ محيطه وبيئته، واستخدام العقل للتغلّب عليها، اكتشفَ العديد من النّظرياتِ والقوانين التي تسيرُ بها الطبيعة، منها اكتشافُه عناصر الذّرة والإلكترونات، وقانون الجاذبية، وغيرها كثير، ومعَ مطلع القرنِ العشرين بدأت حياتُه في استخدام الوسائل الإلكترونية حتّى تكاد تتملكه، إذْ أصبح لا يتحرّك إلاّ بالآلات الإلكترونية المختلفة.

كما ولجتْ هذه الوسائلُ في ميدان العلمِ والمعرفة، حتّى أصبحت كلّ المخابر، والمدارس والجامعات لا يمكن تسْييرها بدون هذه الآلات، فلا يمكننا أنْ نجد الآن في عصرنا هذا إدارةً بدون حاسوب مثلًا، وبالقلم أيضًا ، أصبح الباحثون في الرياضيات يفكّون بعضَ العلميات الحسابية باستعمال وسائل إلكترونية، التي تعطي لهم النتائجَ مباشرة؛ ربحًا للوقت، وتفاديًا لأيّ خطإٍ بشريّ في حلّ المعادلات الرياضية، كما استفاد الطبُّ من أجهزة التقنية الحديثة في الكشفِ عن الأمراض، وحتى التّداوي بها، والحال عند إجراءِ العمليات الجراحية بالمنظار، كما يمكنُ للطبيب المختصّ اليوم في عصر التقنية الحديثة أنْ يجري عملية جراحية على مريضٍ بعيد عنه كلّ البعد، وهذا بواسطةِ التقنية الحديثة باستعمال الإنترنت، وغيرها.

وعلمُ التاريخ على غرارِ باقي العلوم والفنون الأخرى، أيضًا له علاقةٌ بهذه الوسائل والتقنيات الحديثة، وهذا ما تبيّنه مداخلتي حولَ بيان العلاقة بين التّقنية والدّرس التاريخي، متسائلًا عن ما هي المظاهر التي تدخّلت فيها التّقنية لبناء الدّرس التاريخي، وعرضه؟ وهل للتّاريخ أو الدرس التاريخي دورٌ في تطور التّقنية؟ وهل العلاقةُ بين التقنية والدرس التاريخي علاقةٌ متكافئة؟ أي أنّ كلّ طرف يساعد الآخر فيما تمكن المساعدة.

مفهومُ الدرس التاريخي:

التاريخُ في اللغة: التأريخ والتوريخ، ويعني الإعلام بالوقت، فهو يدلّ على وقت الشيء، أي زمانه إلى الوقتِ الذي ينتهي إليه[1]، هو سجلّ لنشاطات إنسان الماضي، أمّا علمُ التّاريخ هو ذلك العلم الذي يدرس لنا تلك النشاطاتِ المختلفة مِن وقائع الزّمان من ناحيةِ التّعيين والتوقيت، وموضوعُه الإنسان والزّمان[2]، حتّى يمكن أنْ يستفيد منها الدارسُ لهذه الأحداث والوقائع لبناء المستقبل.

كلّ ما يقوم به المؤرخُ حتّى الوصول إلى نتائجه، هو البحثُ التاريخي، أمّا ما يُلقيه على غيره، سواء مِن المختصّين من طلبة علم، أو المهتمّين بالتاريخ عمومًا يسمّى الدّرس التاريخي، أو محاضرة في التّاريخ. وهو ما نصْبو إليه في مداخلتِنا هذه. وهناك تداخلٌ كبير بينهما، فالفرقُ بينهما أنّ البحث التاريخي قدْ لا نذيعه، أو لا نخرجُه إلى النور، ويظلّ في رفوف الخزانات، بعيدًا عن النّشر، بينما الدرس التاريخي بحثٌ تاريخي يدرس للنّاس، ويُذاع به بالوسائل المختلفة.

مفهوم التقنية:

مأخوذٌ من كلمة تقنولوجيا Technology))، وهي مركبة من لفظتين: تقني (techne) وتعني الفنّ والصنعة، أمّا لفظة (logy) فمعناها الكلام، أو المعرفة،

أمّا تقنولوجيا فمعناها عند الإغريق هي البحثُ في الفنون الجميلة أو التطبيقية، وقد ظهرَ هذا المصطلح في الأدب الإنجليزي خلال القرن السابع عشر الميلادي، للدّلالة على الفنون التطبيقية، ثمّ شاع هذا المصطلحُ شيوعًا كبيرًا خلال القرن العشرين، ليأخذَ دلالاتٍ تشمل مجموعةً عريضةً من الوسائل والعمليات، فضلًا عن الأدوات والماكينات[٣].

وأبسطُ تعريف للتقنية، أو التكنولوجيا، وأشمل، هي: «أنّها تطبيقُ المهارات والمعرفة؛ لتجهيز وإنتاج البضائع والسلع، أو تقديم الخدمات المختلفة؛ حيث تشمل كافّة الآلات، والأدوات، والطرق، أو الأساليب التي يتمّ استخدامُها لتحويل المواردِ إلى عناصرَ يحتاجها الناس، وبالتّالي تعدّ التكنولوجيا واحدةً من أقوى عواملِ التغيير في المجتمع»[٤].

ومما سبق نجد أنّ التقنية تُطلَق على كلّ عملٍ أو صناعة، يتفنّن فيها صاحبُها باستخدام معارفه العقلية ليزيحَ الحواجز التي تعرقلُ مسيرةَ حياته، وتقلّل من جهده العضلي، وتقتصده في المال، فظهرت العديدُ من الوسائل والآلات المتطورة خفّفت من مشقةِ الإنسان في نشاطه، ليعيش سعيدًا في دنياه.

لقد ساهمتِ الاختراعاتُ المذهلة في تطوّر نمط حياته، خاصّة بعد النهضة الأوروبية التي عمدت إلى استخدامِ العقل في كلّ شيء، مُرتكزين على ما أوصلتْه الحضارة الإسلامية إلى أوروبا من نصوص في الرّياضيات والحساب، والطب وغيرها.

ووصلَ الأمرُ إلى ظهور الميكانيك، وصناعة الآلات التي يستخدمها الإنسان في حياته، ثمّ الآلات الإلكترونية مثل: الحاسوب والهاتف النّقال، وغيرهما، ووصل الأمرُ إلى الإنترنت التي جعلت العالم حجرةً واحدة، وقرّبت كلّ بعيد، فكان لها الأثرُ الكبير في انتشار المعارف بسرعةٍ كبيرة في العالم. إنّ هذه التقنيات التي توصّل الإنسانُ إليها جعلتْه يفكر في استبدال كلّ الوسائل القديمة التقليدية إلى وسائل تقنية حديثة.

لقد قامت ثورةُ الاتصالات وتطبيقاتها في مختلف المجالات، حيث أصبحنا اليومَ نسمع بالحكومةِ الإلكترونية، والتجارة الإلكترونية[٥]، والتعليم عنْ بُعد، والتحاضر عن بعد، والملتقيات الافتراضية وغيرها، كما امتدّت الرقمنة إلى مكانٍ مهمّ يقصده كلّ الباحثين، ألا وهو المكتبات، وحتّى هذه الأخيرة أصبحت رقمية، ولم يعدِ الباحثُ يطرق بابها، فبإمكانه الولوجُ إلى قاعاتها، وتصفّح كتبها وهو في بيته.

التقنياتُ سندُ للدرس التاريخي:

أمّا عن دورِ التقنية في بناء الدرس التاريخي، فقد ساعدت المؤرخَ في جمع أفكاره، ومادته العلمية لإنجازِ بحثه التاريخي، كما استعملَها في كتابة بحثِه وعرضِه على غيره بواسطة أجهزة إلكترونية، ومن أجل حفظِ هذا البحث ترك الأمر للتقنية لكي تحفظَه له، كما تساعده على بثّه عبرَ مختلف المواقع الإلكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي بتدخّل الإنترنت. ومن هذا نجدُ أنّ التقنية ترافق المؤرخَ في إعداد درسه من بدايةِ التحضير حتّى بعد إلقائه، وهذا ما سنبيّنه في هذا العنصر.

أ. التّحضيرُ للدرس التاريخي:

تساهم التقنيةُ في التحضير لإنجاز الدرس التاريخي من خلال الاعتمادِ عليها في البحث عن المصادر والمراجع التي لها علاقةٌ بالبحث التاريخي، قصد جمع المادة العلمية، فأحيانًا يصعب على الباحث الخروج من بيتِه للحصول على ما يُساعده في إنجاز مشروعه البحثي، كما هو الشأن في هذه الأيام التي فرض وباء الكورونا الحجرَ المنزلي على الجميع، أو لم يجدِ المادة العلمية الكافية لبحثه في مكتبته الخاصة، فيلجأ مضطرًّا للاعتمادِ على الشبكة العنكبوتية، والاطّلاع على المكتبات الإلكترونية لتوثيق معلوماته، من خلال ما يمكنه من تحميلِ الدّراسات السابقة في موضوعه، والكتب التي لها علاقة به.

والبحثُ عن المصادر والمراجع لا يتأتّى للباحث إلاّ بتوفير وسائل تقنية مثل جهاز الحاسوب على اختلاف أنماطه أو أشكاله، كالهاتف النّقال مثلًا، وآيباد، وغيرها، وأنظمة إلكترونية، كوجود شبكة الإنترنت بتدفّق معين، ووجود- أيضًا- المواقع الإلكترونية المخصّصة لتحميل الكتب، والدراسات العلمية، كمواقع المجلات الأكاديمية مثل: موقع المجلات الأكاديمية الجزائرية[٦]، والذي يمكن قراءة أيّ مقال يجد فيه الباحثُ مادته العلمية، كما تُتاح له فرصةُ التحميل أيضًا، وكذا موقع مكتبة المدينة المنورة، وهو موقعٌ علمي ينطلقُ من المدينة المنورة، ويعنى بالرّصيد العلمي المكتوب، من كتب ومخطوطات ودوريات، وموسوعات مختلفة، تعرضها شبكة الإنترنت بأسلوبٍ يحقّق الفائدة المرجوّة للباحثين والدارسين[٧]، دون بذل الجهودِ المختلفة، وهناك العديدُ من المواقع الخاصّة لتحميل الكتب، وتصفحها، والتي تفيد الباحث في التاريخ، أو غيره.

وإضافةً إلى ما سبق، لا بدّ من وجود ثقافةِ التعامل

مع هذه التقنيات، حتّى يتمكن الباحثُ من الولوج إلى المواقع الإلكترونية، التي يجد فيها المادة العلمية المبحوث عنها بكلّ سهولة، فالجاهلُ في استعمال هذه الوسائط الإلكترونية لا يمكن له أبدًا العملُ بها في تحضير الدرس التاريخي، أو إنجاز موضوعه اعتمادًا على التقنية.

وإضافةً إلى الإنترنت، التصوير، الذي يساهمُ بدوره في تحضير الدرس التاريخي، فالكتب والوثائق المختلفة التي يتحصّل عليها الباحث بواسطة الإنترنت، هي في الأصل مصوّرة قبلَ إيداعها في الموقع الإلكتروني، وإتاحتها للناس للاطّلاع عليها.

والتّصوير أنواع: إمّا حبسُ الظلّ في لحظة زمنية معينة، منتجًا لنا صورةً ثابتة غير متحركة، بواسطة عدسة آلة التصوير، وتتدخل فيها وسائط كيماوية أخرى في إخراجها على شكلها المتعارف عليها؛ حيث لا صوت فيها ولا حركة، يطلق عليها الصور الشمسية.

فالباحث- أحيانًا- يستعمل مثلَ هذه الصور لتأكيد معلوماتِه التاريخية، فتصبح وثيقةً تاريخية يستخلص منها المؤشراتِ التاريخية التي تهمّ موضوعه، ويمكن أن يوردَها في قائمة الملاحق لبحثه، أو تكون شرحًا وداعمة لدرسه التاريخي، بحيث يعرضُها على المتلقّين أثناء العرض بالطرق المختلفة؛ إمّا عرض الصورة كما هي مباشرة على الحضور، أو عنْ طريق نسخ الصّور إلكترونيًّا بواسطة الماسح الضوئي، ثمّ عرضها بواسطة العاكس الضوئي.

ويمكن للباحث- أيضًا- استعمالُ عدسته الشخصية في تصوير ما يجدُه من صفحات من كتب، أو وثائقَ لها علاقةٌ بموضوع البحث، فيقوم بتصويرها ربحًا للوقت، حين لا تسمح له ظروفُه المكوثَ طويلًا في مكان هذه الوثائق والكتب، ثمّ يصطحبُ معه هذه الصورة التي في جهازه، سواء آلة تصوير محترفة، أو هاتفه؛ إلى مكتبه ليقوم بتمحيصها، والتّدقيق فيها، ويستخلص منها ما أمكنه ذلك لتوظيفها في موضوع درسه.

وللعلم أنّ التصوير له دورٌ في رقمنة الوثائق والكتب المطبوعة والمخطوطات، وهي تحويل بيانات الكتب المطبوعة أو المخطوطة، والوثائق والصّور؛ من شكلها التقليدي الأصلي إلى شكل رقمي[٨] لمعالجتها بواسطةِ الحاسوب[٩]. يعني أنّ الرقمنة هي عمليةُ تصوير الكتب والوثائق بواسطة أجهزة إلكترونية، مثل: آلة التّصوير الرقمية، أو الماسح الضوئي، الذي تعدّدت أشكاله بتعدد وظائفه، لغاية تصويرها بدقة متناهية، والحفاظ عليها دون إلحاق الأضرار بها، ونقل معلوماتها كما هي إلى شرائح إلكترونية، بحيث يمكن تخزينُ هذه الصور في جهاز الحاسوب، أو في أقراص مضغوطة، وتطوّر أجهزة الماسح الضوئي كان بهدف عدم الإضرارِ بالموادّ التي نريدُ تصويرها، خاصّة المخطوطات[١٠].

وقد اهتمّت العديدُ من مراكز الأرشيف والمكتبات وخزائن المخطوطات باقتناءِ الأجهزة الحديثة بغية رقمنةِ الكتب والوثائق المختلفة، ومن ثمّ إتاحتُها على الباحثين والدارسين، ومن المراكز التي تبنّت مشروع الرقمنة، على سبيل المثال لا الحصر، نجد مركزَ الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الذي قام برقمنة أكثرَ من ثمانية آلاف مخطوط، وتخزين معلوماتها التّفصيلية عنها في جهاز الحاسب الآلي، وأتاح فهارسَها على شبكة الإنترنت ليطّلع الباحثون عليها. ولكون المخطوطات رافدًا مهمًّا للمعلومة، ومصدرًا ثمينًا للمؤرخ، قام- أيضًا- مركز جمعة ماجد باستخدام التقنية الرقمية في تصوير المخطوطات، باستخدام وسائلَ تقنية حديثة مثل الكاميرات الرقمنية وغيرها[١١].

ومن المكتبات التي قامت برقمنة الكتب: مكتبة الإسكندرية، التي رقمنت المخطوطات ونشر الأصول النّادرة على أقراص مليزرة، وأتاحتها للتصفّح الداخلي باستخدام المتصفّح التخيلي الداخلي للمخطوطات، حيث تضمّ هذه المكتبة العريقة عشراتِ الآلاف من المخطوطات والكتب النادرة[١٢].

بهذا العمل يكون التصويرُ قد ساهم في الحفاظ على العديد من المصادر التي يحتاجها المؤرخ من الانْدثار، فعوَضًا أن يكون عرضةً للمس من طرف الباحثين الكثيرين، الذين يتردّدون للعمل عليه في إطار بحوثهم المختلفة، فيصبح الآن الاشتغال فقط على الصورة الإلكترونية؛ وذلك حتّى لا تضيع النّسخة الورقية للمخطوطة أو الوثيقة.

كما ساهمتِ الرقمنةُ والإنترنت- أيضًا- في إمكانية الحصول على أيّ كتاب من أية نقطة من العالم، دونَ التنقل إليه عبر الوسائط الإلكترونية، مما ساهمَ في اقتصاد الجهد للحصول على المادة العلمية، ناهيك عن أنّ كلّ المكتبات الآن تعملُ بأنظمة تقنية متطوّرة جدًّا[١٣]، حيث تريح الباحثَ في بحثه، وتيسر له الوصولَ إلى المصادر التي يريدها، وتوفّر له الجوَّ الملائمَ للبحث، فهذه المكتباتُ تعتمد في حفظ الكتب والوثائق التي تملكها على هذه الأنظمةِ التقنية الحديثة.

والباحثُ عند ولوجِه أيّ مكتبةٍ سيجد أمامها دليلًا إلكترونيًّا، أو فهرسًا إلكترونيًّا؛ للبحث عن المصادر التي يريدها. فالتقنية تلقى الباحثَ عند أوّلِ خطوة في المكتبة، فهي التي تستقبله، وتقوم بدور المساعدِ المعاون له في حصْر المصادر التي يمكن أن تخدمَ بحثه، وأحيانًا نجد بعضَ المراكز- خاصّة تلك التي تهتمّ بالوثائق الأرشيفية- يعملون على تصوير هذه الوثائق على أنماطٍ مختلفة، مثل: ميركوفيش، أو ميكرو فيلم، وأحدث نظام هو رقمنتها[41]، مما يسهّل على الباحث الحصولَ عليها، كما تسهل قراءتها، وفكّ رموزها.

وهناك نوعٌ آخر من التصوير، وهو التّصوير السينمائي، أو التصوير بتقنية الفيديو، هناك الكثير من الشّهادات الحيّة سجّلت عبرَ أشرطة الفيديو، سواء عُرضت على شاشات تلفزيونية، مثل حصة «شاهد على العصر» التليفزيونية التي تبثّها قناةُ الجزيرة، أو المواقع الإلكترونية مثل: اليوتوب، أو لدى عائلات مَن أجْرِي معهم الحوار، فهذه الفيديوهات مهمّةٌ جدًّا في البحث التاريخي، فالشّهادات الحيّة هي مصدرٌ مهمّ في كتابة التاريخ، كتسجيلِ صوتي لمجاهدٍ كبير وهو يتحدّث عن ما وقعَ له خلال الحرب في بلده، أو حوار مع مؤرّخٍ حول فترةٍ زمنية معينة ولذا فاللّجوء إلى هذه الوسائط في البحث يزيدُ من قيمته العلمية، ودقة نتائجِه. وهي مصادرُ مهمّة في كتابة التاريخي، وبالتّالي يستعين بها المدرس للتاريخي في إنجاز درسه.

كما نجد- أيضًا- للصّورتين معًا، سواء الثابتة أو المتحركة، أن تساهم في دراسة المواقع الأثرية، عبر مختلفِ مراحله، من المسح الأثري إلى الحفريات، فتحليل النتائج، فالتصوير وسيلة من الوسائل التي تساعد الأثريّ على دراسته، كما تساعد- أيضًا- الباحثَ من نقل مشاهد تاريخية من مكان إلى مكان، حيث يقوم الباحثُ بتصوير- مثلًا- موقعٍ أثريّ في منطقة ما، ونلاحظه في مكانٍ آخر، أو نقل صورة عن جدارية قديمة فيها رسم أو كتابة قديمة، قد نستعملها كشاهدٍ تاريخي مهمّ في البحث أو الدرس التاريخي.

وبعدَما تتوفّر للباحث المادةُ العلمية، وعند كتابته يعتمدُ على تقنيات الخاصة لذلك، منها جهاز الحاسوب، أو ما يماثله، حتّى يكون بحثُه منظّمًا بشكل لائق يمكن قراءته.

ومما سبق نجدُ للتقنية أثرًا طيّبًا على البحث التاريخي، وتحضير الدرس، فهي ضروريةٌ لكلّ باحث، فتقتصد الوقت والجهد والمال.

ب. أثناء إلقاء الدرس التاريخي:

قبل إلقاء المحاضرة أو الدرس التاريخي، يجب أن نكون على علمٍ بالظروف التي يتمّ فيها هذا الإلقاء، هل هو في مدرّج به جمهور، سواء من طلبة العلم، أو عامّة الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية، والدرجات العلمية؛ أو قاعة صغيرة بها عددٌ قليل من المهتمّين بهذه المحاضرة، كطلبة الدراسات العليا مثلًا في الكليات، يكون عددُهم قليلًا مقارنة بغيرهم.

فمِن أجل إلقاء الدرس أو المحاضرة، وحتى يلتقطها المستمعُ على أحسن وجْه، نستعمل العديد من الأجهزة الإلكترونية، وتقنيات، كمكبّر الصوت المناسب لمساحة القاعة، وعدد الحضور، كما نستعمل أيضًا أجهزة إلكترونية أخرى مثل الحاسوب، والعاكس الضوئي، وممكن نحتاج إلى مُعدل الحرارة في القاعة، أو غير ذلك، كما يمكننا أنْ نستخدم- أيضًا- الكاميرات أو آلات التصوير لتسجيل الدرس التاريخي، وتوثيقه.

كما للمحاضر أنْ يستعمل وسائطَ أخرى، سواء لنقل المشاهد التاريخية مباشرة للمستمع من خلال عرضِه لشريط فيديو خاصّ بموضوعه، مثل أنْ يستشهد بقوْل صانع الملحمة التاريخية، كمجاهد كان قد شاركَ في المعركة التي كانت موضوعَ المحاضرة، من خلال مقطع فيديو، أو عرض صور مختلفة لتوضيح درسه، حتّى يستوعبه الحضور، كاستعمال برنامج البوربوينت، وغيرها من البرماجيات الأخرى.

هذا إذا كان العرضُ في قاعةٍ يحضرها العديدُ من المهتمين، ولكن التقنية الحديثة أعطت للمحاضر والمتلقّي حرية التباعد والإنصات في آنٍ واحد، يمكن لنا الاستماع إلى المحاضرة والتفاعل معها مباشرة، دون أنْ نكون في مكانٍ واحد، مثلما يصطلحُ عليه الآن المحاضرة الافتراضية، أو الملتقيات الافتراضية.

هنا تتدخّل تقنياتُ التواصل المختلفة في تقريب المحاضر والمتلقّي في زمن واحد، رغم بعد المسافات، فهي تساعد على التقاربِ والتواصل بين الناس، وبأقلّ الأثمان والجهد. وهنا يحتاج الطرفان إلى تقنيات معينة لبلوغِ المرام، يستخدمها المحاضر والمتلقي للإفادة والاستفادة من الدرس التاريخي، من هذه التقنيات: وجود شبكة الإنترنت ذات تدفّقٍ ممتاز، وجود البرنامج الذي يمكن التواصل به، والاشتراك فيه من طرف الجميع؛ المحاضر والمتلقين، إضافةً إلى وجود آلة التخاطب إمّا هاتف أو جهاز الحاسوب، أو ما يماثلهما.

ج- بعدَ الدرس التاريخي:

بعدَ إلقاء الدرس التاريخي يستفيد هذا الأخيرُ من التقنيات في حفظه في أقراص صلبة أو مضغوطة، أو نشْره، عبرَ الوسائط الإلكترونية حتّى يستفيد منه الذي سمع المحاضرة، ومَن لم يحضر. نسخه للذين يطلبونه كمرجعٍ في بحوثهم، وبالتالي تساهم التقنيةُ في رقيّ البحث العلمي وتطويره.كما يمكن نشره. فالتقنية وسيلة تسجيل الدرس وتوثيقه وحفظه.

بهذا نجد أنّ التقنية رافقت الباحثَ من أوّل خطواته في البحث إلى بعدَ إلقاء درسه، وعرضه على غيره، حيث أراحته كثيرًا في جمع المادة العلمية، واقتصدت له عناء السفر، وما له من تكاليف مختلفة، كما أن بحثه ظهرَ بشكل منظّم ومُرتّب، وساعدته في تبسيط الرؤية للغير، وفهمه للدرس التاريخي، كما كان لها الدور الكبيرُ في توصيل المعلومةِ التاريخية إلى كلّ جميع الناس، المختصّين وغيرهم، فكلّ مَن يريدها يجدها عبر منصّات التواصل الاجتماعي، والمواقع الإلكترونية، كما تشهر بالباحث المؤرخ، في الساحة الثقافية والأكاديمية العالمية وبإنجازاته العلمية.

حاجةُ التقنيات إلى الدرس التاريخي:

بعد أن غزت التّقنياتُ مجالَ الحياة ككل، واستفادتِ العلوم المختلفة منها كثيرًا في ضبط دقة نتائجها، وفي ربْح الوقت والجهد المالي والفكري وحتّى العضلي، ومِن هذه العلوم التي كانت لها علاقةٌ بالتقنيات علمُ التاريخ، وقد لاحظنا كيف استخدمَ المؤرخُ والباحث في التاريخ التقنياتِ المختلفة في عمله البحثي العلمي، وبالمقابل للتاريخ- أيضًا- دورٌ كبير في تطوير هذه التقنيات المختلفة، فإذا كان التاريخ هو سجلًّا لنشاط الإنسان في الماضي، واكتشافه للتقنيات المختلفة؛ هو أيضًا ميدانٌ يبحث فيه المؤرخ، فالتاريخ يسجل كلّ مراحل تطوّرِ هذه التقنيات، ويبيّن كيف وصلتْ إلى الشكل الذي هي عليه الآن من التطور.

ومِن أجل الرقي بالتقنيات أكثر لا بدّ لنا الرجوع إلى واقع هذه التقنيات، وتحليل طريقة عملها، ومِن ثمّ العمل على تطويرها أكثر، وجعلها تمتاز بالسّرعةِ والدقة. فالرجوعُ إلى الوراء ودراسة الدراسات السّابقة في مجال التقنيات هو نوعٌ من قراءة تاريخِ التقنيات، وكيف استطاع الإنسانُ أن يخترع التقنيات، ويطوّرها وفقَ نظرته، وطموحاته.

التّاريخُ مهمّ جدًّا لتطور أيّ فن، أو علمٍ باعتبار الفاعل هو الإنسان، وعلى سبيل المثال ما تطرقنا إليه مثلًا، لو نتتبّع خطواتِ تطوّر جهاز الكمبيوتر، فنجد أصله أنّه كان آلة حاسبة، وفكّر العديدُ من العلماء من ترقيةِ عمله إلى أنشطةٍ أخرى، وقد مرّ الحاسوبُ في تطوره بمراحل عرفت بالأجيال، منها: الجيل الأوّل: (١٩٤٣ - ١٩٥٨م)، الجيل الثاني: (١٩٦٠ - ١٩٦٤م)، الجيل الثالث: (١٩٦٥- ١٩٧٠)، الجيل الرابع: (١٩٨٠ - ١٩٨٩)، الجيل الخامس: (أواخر التستعينيّات)[51]، ففي كلّ مرحلة من هذه المراحل يعمل التّقنيون المختصّون على إزالة الشوائب والعيوبِ التي ظهرت في الحاسوب، حتّى وصلوا به إلى ما عليه الآن، ولا يزالون يعملون على تطويره إلى يومنا هذا.

خاتمة:

مما سبق نجد أنّ التقنية غزت كلّ مناحي الحياة، واستفادتِ العلوم كلها من هذه التقنيات الحديثة لكي تضبط نتائجها، وتدققها، وتقتصر الوقتَ للوصول إلى النتائج التي يريدها الباحثون، ومنها علم التاريخ، وقد رأينا على سبيل الإيجاز كيف يمكنُ للباحث في التاريخ أو مدرسه أنْ يستخدم التقنيات المختلفة في عمله.

إنّ التطوّر التقنولوجي الحديث ساهمَ بدوره في ضبط نتائج العلوم الأخرى، وبيان دقتها، كما ساهمتِ التقنية في انتشار كمٍّ هائل من المعارف والعلوم التاريخية، وغيرها في العالم، وقرّبت بين المختصين في التّاريخ فيما بينهم، فنجدُ الآن الملتقياتِ التي تنشر بسرعةٍ حتّى يكاد كلّ المختصّين يعلمون بها، وهذا مهمٌّ جدًّا في تواصلِ المختصّين، ومناقشتهم حول قضايا بحثية معينة.

إنّ التقنية قد سهّلت المهمةَ للباحث في التاريخ، ورافقته حتّى إنجاز عمله، وسجلت هذا البحث ووثّقته، وعملت- أيضًا- على إذاعته، ونشره عبر شبكة مواقع الإنترنت المختلفة.

ورغمَ التّطور الحاصلِ اليوم في العالم الافتراضي نجد- وللأسف- أنّ مجتمعاتنا مازالت بعيدة عن استخدامه فيما ينفعها، ويبعدها عن تأخّرها عن الركب الحضاري، فلا حكومات إلكترونية، وبعض المكتبات وحتى الجامعات بقيت حبيسة الأوراق، لم تتخلّ عن سيرتها الأولى، وقطف ثمار التطور الحاصل.

(Endnotes)

١- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ص:١٢.

٢- حسن عثمان، المرجع نفسه، ص:١٧.

٣- أبا لحبيب حمزة، إشكاليات رقمنة المخطوطات بالجزائر: زاوية الشيخ محمد باي بلعالم والمركز الوطني للمخطوطات بأدرار نموذجين، إشراف: أد. صاحبي محمد،ماجستير، جامعة وهران١، ٢٠١٥/٢٠١٤م، ص: ٤٥.

4- https://mawdoo3.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%86%D9%8A%D8%A9

يوم ٢٠٢/٠٥/١٩ ، الساعة ١٨:٣٠

٥- نصيرة لمين وعبد الحق بحاش، واقع تكنولوجيا المعلومات والاتصال ودورها في رقمنة وحفظ الموروث العربي، ص: ١١. ينظر:

http://dspace.univmsila.dz:8080/xmlui/bitstream/handle/123456789/9408/%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86%20%D9%86%D8%B5%D9%8A%D8%B1%D8%A9.pdf?sequence=1&isAllowed=y

6- https://www.asjp.cerist.dz/

٧- مولاي امحمد، رقمنة المخطوطات بمخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا: الواقع والصعوبات والآفاق/ المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد:١١، ٢٠١٤م، ص: ٢٤٢.

٨- عبير عتاد العساف، رقمنة المخطوطات في المكتبات: إرشادات عامة للحفاظ على التراث الوطني في زمن المخاطر، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد:٩٠، الجزء: ٠٣، ص: ٦٩٤.

٩- مولاي امحمد، المرجع المسابق، ص: ٢٣٢

١٠- مولاي امحمد، المرجع نفسه، صص: ٢٣٦-٢٣٧

١١- مولاي امحمد، المرجع نفسه، ص: ٢٤٠.

١٢- مولاي امحمد، المرجع نفسه، ص: ٢٤١.

١٣- عادل غزال، رقمنة المخطوطات العربية: الطرق والوسائل، مجلة التراث، المجلد:٠١، العدد: ٠٢، ٢٠١١، ص: ٢٠٠.

١٤- نعاس رابح ورابح نعاس، واقع الخدمة المكتبية بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة): دراسة وصفية تحليلية، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية، جامعة الجلفة، العدد:٠٤، ديسمبر ٢٠١٨، ص:٦٠.

15- https://mawdoo3.com

يوم ٢٠٢٠/٠٥/٢٠ – الساعة ١١,٢٠م.

• • •

التّقنياتُ الحديثة فرصةٌ لدراسةِ التاريخ ومعايشتِه والتعرّف عليه بشكلٍ أفضل .. نَماذجُ وتطبيقات

أ. د/ جمال الدين إبراهيم العمرجي

جامعةأستاذ المناهج وطرق تدريس التاريخ
كلية التربية- جامعة السويس، بمصر
والمُعار لكلية التربية- جامعة شقراء، بالمملكة العربية السعودية

gebrahem@su.edu.sa
gamal.elden@yahoo.com

شهدتْ ثورةُ المعلومات وتقنيةُ الاتصالات العديدَ من التطورات خلالَ العقد الماضي؛ إذ غدتْ من أهمّ الموضوعات التي تحظى باهتمامٍ متزايد على كافّة الأصعدةِ؛ المحلية والقومية والدولية، حتّى أنها صارت المحركَ الأساس الذي يقود عملية التنمية، وصار التقدّمُ في أيّ مجتمع يُقاس بمدى قدرته على تنمية العنصر البشريّ القادرِ على استخدام التقنياتِ الحديثة في كافّة مناحي الحياة.

إنّ استخدامَ التقنيات الحديثة تعدّ من سماتِ العصر الحديث، واهتمامات الجيل المعاصر، الذي يكاد لا يستغني عنها في كافّة أوقاته، ولكنّ التطورَ المعرفي الهائل الذي شهدتْه الألفية الثالثة ساهم بشكلٍ واضح في إحداثِ تطوّرات هائلة على المجتمعاتِ في مُختلف الميادين. وتعدّ دراسة التاريخ من أهمّ الميادين التي تأثرت بهذا التّغيير، لا سيّما في المؤسّسات التعليمية بمُختلف درجاتها، فالتّقنياتُ الحديثة هي وسيلةٌ ناقلة للعلم والمعرفة، وهي- أيضًا- وسيلةٌ من وسائل تطوير منهج البحث العلمي.

وتعتمد التقنياتُ الحديثة على عناصرَ جوهرية حقّقها عصرُ العولمة والمعلوماتية، فهي تهدف إلى الحصول على المعلومات والمعارفِ عنِ الأحداث والأزمنة من خلالِ وسائل متطوّرة، لا سيّما شبكة الإنترنت التي أصبحت تستخدَم بشكلٍ واسع في كافّة مجالات الدراسة والبحث العلمي، لا سيّما في إعداد المشروعات العلمية الأكاديمية، وأصبح جمعُ البيانات والمعلومات أسرعَ ممّا كان عليه في السابق، حيث يستطيع الباحثُ أو الدارس الوصول إلى ما يريده في فترةٍ زمنية قصيرة، ممّا يؤدّي إلى الاقتصاد في الجهد والمال.

وتعتبر التقنياتُ الحديثة بمثابة سلاحٍ ذي حدّين، ويتوقف ذلك على مدى استخدام الفرد لها؛ لأن كيفية الاستخدام هي التي تحدّد ذلك، فإذا استخدمَها الفردُ بأسلوبٍ سليم من خلال التحكم والتأكد من مصادر المعلومات المعروضة له، والتأكّد من صحّتها؛ فإنّ هذا بلا شكّ يحقّق له جوانب إيجابية من خلال المعلومات والمعارف التي حصل عليها، عكس ما إذا كان هذا الاستخدامُ دون مراعاة الضوابط والقيود والأخلاقيات التي تجعلُ من التقنية الحديثة مصدرًا مشكوكًا فيه للمعلومات والمعارف التي تمّ الحصول عليها.

ويهتمّ التاريخ بالقيمِ والأنشطة الاقتصادية والسياسية في الماضي والحاضر، وتفاعل الإنسان مع بيئته الاجتماعية والطبيعيّة ومشكلاتها، وتوقّعات المستقبل والتّراث الثقافي وخصائصه الحيوية، لأنّه يعنَى بد راسة كلّ شيء عن البشر وبيئاتهم. وللتّاريخ عملية تنمية أخلاقية (وليست ذهنية عقلية فقط من خلال ربط أحداث الأمم السّابقة بالحياة المعاصرة لكلّ زمان، كوْنه يهتمّ بتجارب الشعوب ومساهمتها في تقدّم البشرية والربط بين الماضي والحاضر، وبعبارة أكثر شمولًا يساعدُنا في معرفة أنفسنا والجنس البشري. وتيسّر التقنيات الحديثة للدّارس أو الباحث ذلك بسهولةٍ ويُسر.

وترى (وزارةُ التربية الوطنية بالجمهورية العربية الجزائرية،٢٠١٥، ١٥) أنّ دراسة التاريخ تجعل العالم الخارجي مرآةً لعالم الفردِ الداخلي، ويعتمد في ذلك على

التكامل والتفاعل الحيوي بين أربعةِ أبعاد، هي:
- البُعد الزّمني: تأثيرُ الماضي على الحاضر والتخطيط للمستقبل.
- البُعد المكاني: العلاقاتُ المتبادلة في العالم بين الدول والشعوب.
- بُعد القضايا: ترابط القضايا والمسائل الهامّة وتشابكها.
- البُعد الذاتي: تأثيرُ الأبعاد الثلاثة على الإنسان وتفاعله معها.

وعلي عاتق دارسي وباحثي التاريخ تقعُ مسئوليةُ تطوير دراسة التاريخ، فلو عشقوا التاريخ لعرفوا كيف يتحدّثون ويدافعونَ عنه، ولو ابتكروا كلّ ما يرقى بأساليبه ومهاراته لأحبّه الآخرون، فالطاقة السلبية أو الإيجابية تنتقلُ إلى الآخرين من ردودِ أفعالهم، فماضي الشعوب والإنسان حافلٌ بشتّى الصور، وهو عزيز عليه في كلّ أدواره، سواء أكانت عهود المجد والقوّة والرفاهية أم عهود الكوارث والآلام والمحن، والشعوب التي لا تعرف لها ماضيًا محدّدًا مدْروسًا بقدر المستطاع لا يعدّون من شعوب الأرض المتحضرة، وعلى ذلك نجد أنّه لا غنى للإنسان عن دراسةِ ماضيه باعتباره كائنًا اجتماعيًّا، فينبغي عليه أن يعرفَ تاريخ تطوره، وتاريخ أعماله وآثاره؛ ليدرك مَن هو حقًّا، وإلى مَن ينتمي، ويطوّر من أساليب وأدوات دراسته.

إنّ استخدامَ التقنيات الحديثة متمثّلة في نظم المعلومات التاريخية وتطبيقات الهواتف الذكية وتطوير الخرائط التفاعلية، للتعريف بالمواقعِ التاريخية والآثار الموجودة، ويعزّز من فرص الاقتصاد المعرفي والاجتماعي والمالي، وضرورة تحقيق الاستفادةِ المُثلى من هذه التقنيات في مساعدة المتخصّصين على ربط الآثار بالتّاريخ والحضارة، والتوعية، والتّعريف بالموروث التاريخي الحضاري .

كما يرى (علي، ٣٦ :٢٠٠٥) أنّ الوسائط المتعددة إحدى مستحدثات هذه التكنولوجيا، وقد ارتبطت الوسائط المتعدّدة بتكنولوجيا الكمبيوتر، وتكنولوجيا الاتصال عن بُعد، حيث أصبحت تشيرُ إلى صنف من برمجيات الكمبيوتر التي توفّر المعلومات بأشكالٍ مختلفة، كالصوت والصورة والرسوم المتحركة، إضافة إلى النصوص المكتوبة والمنطوقة.

مشكلةُ البحث:

وبناء على ما سبق ذكرُه، يرى الباحث أنّ توظيف التقنيات الحديثة في علم التاريخ يعدّ أحدَ الأركان الأساسية في العملية التعليمية، والبحثية المستقبلية التي ينبغي الاهتمام بها، والعمل على تفعيلها قولًا وفعلًا، هذا لن يأخذَ موضع التنفيذ دونَ تحديد جوانبِ الحاجة الفعلية لها، ومن ثمّ الانطلاق إلى متطلبات نجاحها نظرًا للعلاقة الوثيقة بين الهدفين، بحيث يكمل أحدُهما الآخر؛ إذ يمكن القول إنّ البحث الحالي يمثل رؤية حقيقيةً لتحديد هذه الجوانب التي يمكنُ لكلّ الدارسين، والباحثين في مجال التاريخ، الإفادة منها كوْنها تمثل لهم دليلًا يستطيعون الاعتمادَ عليه لتحقيق غايتهم في البحث والدراسة التاريخية. ويمكن صياغة مشكلة الدّراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

كيف يمكن استخدامُ التقنيات الحديثة في دراسة علم التاريخ بشكلٍ أفضل من خلال بعض النماذج والتّطبيقات؟ وينبثقُ من هذا السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

١) ما المقصودُ باستخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية؟
٢) ما أهمّ خصائص استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية؟
٣) ما أهمّ الضوابط العلمية والأخلاقية في استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية؟
٤) كيف يمكن استخدامُ التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية من خلال بعض النماذج والتطبيقات؟

أهدافُ الدراسة:

تتمثّل أهداف الدراسة الحالية في التعرف على:

١) استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية وأهمّ خصائصها، وأهمّ الضوابط العلمية والأخلاقية لاستخدامها.
٢) كيفية استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية من خلال بعض النماذج والتطبيقات.

أهميةُ الدراسة:

تتمثّل أهدافُ الدراسة الحالية على المستوى النظري في التعرف على:

١) تحديد خصائص استخدام التقنيات المعاصرة في الدراسات التاريخية.
٢) تحديد الضوابط العلمية والأخلاقية في استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية.
٣) تقديم تصوّرٍ لاستخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية من خلال بعض النماذج والتطبيقات.

وتتمثل أهميةُ الدراسة الحالية على المستوى التطبيقي حيث يمكن أنْ يستفيد من الدراسة الفئات الآتية:

أوّلًا: مصمّمو مناهج التاريخ في التعليم العام:
الاستفادة من نتائج الدراسة في تضمين موضوعاتِ في المقررات الدراسية عن كيفية الاستفادة من التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية من خلال بعض النماذج والتطبيقات.

ثانيًا: المعلمون:
١) الاستفادة من الدراسة في كيفية استخدام النماذج والتطبيقات للاستفادة من التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية.
٢) الاستفادة من الدراسة باستخدام أنشطة تعليمية تسهم في استخدام الطلاب التقنيات الحديثة بشكل مناسب وآمن.

ثالثًا: موجّهو التّاريخ بالتعليم العام :
عقد دورات تدريبية لمعلّمي التاريخ؛ لتنمية مهاراتهم في استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية من خلال بعض النماذج والتطبيقات من خلال القواعد والضوابط والمعايير المتبعة في الاستخدام الأمثل والقويم للتكنولوجيا.

رابعًا: الباحثون:
فتح آفاق جديدةِ للباحثين لإجراء أبحاث ودراسات مماثلة عن كيفية استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية.

منهجُ الدراسة:
استخدام الباحث المنهجَ الوصفي التحليلي، الذي يعتمد على بيانِ جوانب الموضوع من خلال جمع البيانات، وتحليلها، وتصنيفها من خلال ما وردَ بالدراسات والمراجع العلمية التي سبق أنْ تناولت هذه الجوانب؛ ممّا يساعد على الوصول إلى استنتاجات عامّة تسهم في تحسين الواقع وتطويره.

حدودُ الدراسة:
اقتصرتْ هذه الدراسة- في حدّها الموضوعي- على تحديدِ كيفية استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية، وخصائصها والضوابط العلمية والأخلاقية في استخدامها، وبعض النماذج والتطبيقات لكيفية استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية.

إجراءاتُ الدراسة:
اتساقًا مع منهجية الدراسة، يقوم الباحثُ بمراجعة الأدبيات الخاصة بموضوع الدراسة، ووضع إطارِ بحثي يشتمل على:
- مفهوم التقنيات الحديثة.
- أهمّ خصائص استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية.
- أهمّ الضوابط العلمية والأخلاقية في استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية.
- أهمّ النماذج والتطبيقات لاستخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية.
- الخروج باستنتاجات وتوصيات وتقديم المقترحات.

مصطلحاتُ الدراسة:
التقنياتُ الحديثة:
طريقةٌ نظامية للبحث والدراسة تستخدِم جميعَ الإمكانات المتاحة، المادية وغير المادية، بأسلوب فعّال لإنْجاز العمل المرغوب فيه، والمساعدة في العملية البحثية والدراسية لبلوغ الأهدافِ بدرجةِ عالية الإتقان . وتعتمد على الاكتشافات والاختراعات الإلكترونية التي يأتي في مقدّمتها الحاسوب والإنترنت، والتي يتمّ استخدامها وتوظيفُها بهدف زيادة فاعلية العملية البحثية والدراسية.
علمُ التاريخ:
تعرفُه ويكيبيديا الموسوعة الحرة «بأنه تحليلٌ وفهمٌ للأحداث التاريخية عن طريق منهج يصفُ ويسجّل ما مضى مِن وقائع وأحداث، ويحلّلها ويفسّرها على أسسِ علمية صارمة بقصدِ الوصول إلى حقائق تساعد على فهْم الماضي والحاضر، والتنبؤ بالمستقبل». ويعرف في الدراسةِ الحالية أنه علمٌ يهتمّ بد راسة الأحداث التاريخية، وتحليلها، واكتشاف العلاقات القائمة منها؛ بغية استخلاص الدروس والعبر منها بما يفيدنا في المستقبل.

مباحثُ الدراسة:
إنّ استخدام التقنيات الحديثة في الدراسة والبحثِ التاريخي له علاقةٌ قوية بمنظومة التعليم، فهي

تساعد الدّارسين والباحثين على فهم ما يجبُ عليهم معرفته مِن أجل استخدام التكنولوجيا بشكل مناسب، والانخراط الكامل في المُجتمع والمشاركة الفاعلة في خدمة مصالح الوطن عمومًا، وفي المجال التقني خصوصًا.

التّقنياتُ الحديثة في الدراسات التاريخية:

أسلوبُ توظيف البرامج التّقنية في الدّراسات التاريخية، بهدف زيادةِ فعالية العملية البحثية والدراسية، وإعادة تخطيطها وتنظيمها وتنفيذها وتقويم مخرجاتها، وهي منظومةٌ متكاملة من الأجهزة، والبرمجيات، والإجراءات والعمليات التي يوظّفها الدّارس أو الباحث في العملية الدراسية أو البحثية. وهناك تعريف آخر بأنّها مجموعة من المعلومات والنّشاطات المتعلقة بإنتاج وتشغيل وتخزين ونقل ومعالجة ونشر وتحليل المعلوماتِ التي توفّرها وسائل الاتصال الحديثة.

خصائصُ استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية:

تعدّ التقنياتُ الحديثة وسيلةً من وسائل تطوير المنهج العلمي للبحث والدراسة، وتتميز بعدّة خصائص، منها:

1) تحسين عملية الدراسة التاريخية، من خلال تفعيل دور المُشاركة الفعّالة بين المصادر التاريخية والدّارس باستخدام الوسائل التكنولوجيّة المتعددة.
2) تُمكّن التقنيات الحديثة المقدّمة الدارسَ من تنويع الخبرات المقدمة له، من خلال المشاهدة والاستماع، والممارسة، والمُساعدة على الاحتفاظ بالمادّة التاريخية لأطول فترةٍ مُمكنة.
3) تقييم وتقويم المادة التاريخية باستمرار حيث يمكن من خلال التقنيات الحديثة إدخال تحديثات دائمة بشكلٍ مُستمر وفعّال.
4) اختصار الوقت المُحدّد للدراسة والبحث من خلال تزويد الدارس بمعلوماتٍ في كافّة مجالات العلوم عن طريق توسيع قاعدة المعلومات الخاصّة بأي موضوع تاريخي.
5) تزيد التقنيات الحديثة من الحصيلة اللغوية للدارس عن طريق المشاهد والمواقف التي تحتوي على ألفاظٍ جديدة له، وبناء المفاهيم التاريخية بشكل سليم.
6) تساعد في عملية الإدراك الحسي لدى الدارس التاريخي، وذلك عن طريق استخدام الأشكال والرسوم التوضيحية والخرائط التاريخية التفاعلية.
7) التغلب على مشكلة البعد الزماني والمكاني للوصول إلى المعرفة التاريخية.
8) الاستفادة ممّا يعرف بالمكتبات الإلكترونية أثناء البحث التاريخي.
9) نقل المعلومات التاريخية التي تمّ عرضُها في المؤتمرات والندوات التي يتمّ عقدها وتنظيمها عن بعد، من خلال وسائل تعتمد على الديناميكية والسرعة.

الضوابطُ العلمية والأخلاقية في استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية:

دعَا ريبل وبالي وروز (Ribble،Bailey& Ross ،٢٠٠٤) إلى تحديد الضوابط والسلوكيات لاستخدام التقنيات في العصر الرقمي، حيث تبلورت هذه القيم في تسعة محاور، هي: آداب السلوك الرقمي (معايير السلوك التقني)، والتربية الرقمية (عمليات التعليم والتعلم المرتبطة بالتقنيات واستخداماتها)، والإتاحة الرقمية (لمشاركة الإلكترونية الكاملة للجميع)، والتجارة الرقمية، والمسئولية الرقمية، والحقوق الرقمية، والسلامة الرقمية الذاتية، والأمن الرقمي، والاتصال الرقمي.

ويستند نجاحُ التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية إلى مجموعة من الضوابط العلمية والأخلاقية، من هذه الضّوابط ما يلي:

1) هذه التقنيات لا يمكن أن تؤدّي إلى الاستغناء عن الوسائل التقليدية التي كانت- ولا تزال- تعتمد عليها العديدُ من الدراسات التاريخية.
2) ضرورة التأكد من صحةِ وسلامة المعلومات التي يتمّ الحصول عليها من خلال استخدام التقنيات الحديثة، خصوصًا تلك المعلومات التي تقدّمها شبكة الإنترنت، لأنّه أحيانًا يتمّ الحصول على المعلومات من مصادر غير موثوقة.
3) استخدم العقل والتفكير، وعدم تقبل كلّ ما يعرضه البحث من خلال الحاسوب وشبكة الإنترنت؛ لأنّه وسيلة تعتمد على البرمجة الآلية للمعلومات.
4) الاستعانة بالمصادر والمراجع التاريخية لأنها حقّقت نجاحًا باهرًا في النضج المعرفي.
5) الاستخدام العقلاني غير المفرط للتقنيات الحديثة، لأنّ الاستخدام المفرط يؤدي إلي ظهور أمراض واضطرابات نفسية للمدمنين على الجلوس أمام

شاشة الحاسوب والتعامل مع الإنترنت لفترة طويلة، ممّا يؤثّر سلبًا على اندماجهم الاجتماعي والتعامل مع كافة أطراف العلاقات الاجتماعية.

٦) الاستخدام المزمن للتقنيات الحديثة يؤثر على الباحث من الناحية الفكرية والعقلية، حيث يتحول تفكيره إلى تفكير آلي بعيدٍ كلّ البعد عن التأمل والتحليل للمادة التاريخية الذي يساهم في خلق النظريات الفكرية في عصر المعرفة الكمية.

٧) هذه التقنيات وسيلة من وسائل السرقة العلمية والاعتداء على حقوق الملكية الفكرية، فكثيرًا ما تحولت البحوث التاريخية السابقة إلى مؤلفات حديثة فقط، وذلك بتحويل اسم المؤلف دون وازع أخلاقي أو فكري.

أهمّ النماذج والتطبيقات لاستخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية:

تهتمّ التقنياتُ الحديثة بالتطبيق المنظّم للمبادئ والمفاهيم والنظريات التعليمية لتوظيفها، الاستفادة منها علميًا في ميدان الدراسة والبحث، ويدلّ هذا على أنّ هذه التقنيات تستندُ على قاعدة معرفية وأساس علمي نظريّ يتمّ توجيهه وتوظيفه، والاستفادة منه في ميدان التعليم وفقًا لنظام علمي محدّد، ويؤكد (العمرجي : ٢٠١٧ ، ١٤٠) على أنّ التقنيات الحديثة ليست فقط نصًا، أو ملفَّ وسائط متعددة مرفقًا، إنما هي تقنية لتزويد المستخدم بالمعلومات المناسبة في الوقت الملائم، فالهدف من تصميم التقنية: هو تقليص الفارق بين الواقع الذى يشهده المستخدِم والمحتوى الذي تقدّمه التقنية. ويتمّ الاستفادة من التقنيات الحديثة في علم التاريخ من خلال:

١) التصميمُ التعليمي:

تصميمٌ مقصود للأحداث التاريخية بصورةٍ منهجية نظامية بحيث يؤدي بالطالب إلى التعلم، فتنمو معارفُه، ومهاراته واتّجاهاته، والتصميم التعليمي يتعلّق باختيار المادة التعليمية المُراد تصميمُها، وتحليلها، وتنظيمها، وتطويرها، وتقويمها، وذلك مِن أجل تصميم منهجِ التاريخ بصورة تساعد على التعلم بطريقة أفضل وأسرع، ويمكن تصميمُ برنامج يشتملُ على مجموعة من الوحدات في تتابعٍ معيّن لموضوعات مقرّر دراسي بأكمله، مثل «عصر الدولة القديمة»، وفيها يتمّ تقسيمُ الدرس إلى وحدات، ويسير المتعلّمُ في دراستها وفقًا لتسلسلٍ معيّن، وبحيث لا ينتقل من وحدةٍ إلى أخرى تالية لها إلّا بعد إتقانه لتعلّم أهداف الوحدة السابقة لها، حتى يتمّ تعلمُ أهداف جميع وحدات المقرّر بشكل متقن.

ويعدّ مشروعُ الجمعية التاريخية الأمريكية (AHA، ٢٠٠٦) عن تدريس التاريخ، وتعلمه في العصر الرقمي؛ أحدَ المشاريع الحديثة الهامّة التي قامت بتطويرِ وحدات دراسية قائمة على التعلم الإلكتروني؛ لدراسة التاريخ الأمريكي، وتتمّ دراستها وفق إستراتيجيات تعتمدُ على التحليل التاريخي، واستخدام مصادر تعلم متنوعة.

٢) البرامجُ التعليمية الإلكترونية:

تتوافق الأهدافُ الأساسية للبرامج التعليمية الإلكترونية معَ ما تبذله المؤسسات التعليمية في خططها لدمْج استخدام التقنيات الحديثة في تدريس مقرّراتها الدراسية، ويركّز مصمّمو هذا النوع من البرامج على دورِها في تحسين عملية التعلم، وجعله فاعلًا ومؤثّرًا، وهذه البرامج التعليمية الإلكترونية يجب أن:

- تتضمن وحدةً تعليمية مصممة بالحاسب الآلي بطريقة مترابطة، ومتسلسلة وفق أسس تربوية سليمة .
- نقل المعارف والمفاهيم والمهارات للمتعلم بطريقة مبسطة وشيقة.
- تحقيق أهداف تعليمية معدّة مُسبقًا.
- تعرض المادة التعليمية على شكل شاشات، أو نوافذ مدعمة بالوسائط المتعددة.
- تعتمد على نظرية سكنر المبنية على الاستجابة والتعزيز.
- يتمّ الإشراف والتوجيه من قبل عضو هيئة التدريس.
- يتمّ التعامل مع البرمجية حسب قدرة عضو هيئة التدريس.
- توفّر هذه البرامج العديد من البدائل ذات الوسائط المتعددة.

وتختلف البرامج التعليمية المصمّمة بالحاسب فيما بينها، من حيث الأهداف التربوية والتعليمية التي تسعَى إلى تحقيقها، وأسلوب البرمجة وطريقة الاستخدام، وذلك حسبَ اختلاف المراحل الدراسية التي يتمّ إعدادُ البرنامج التعليمي لها، واختلاف طبيعة المواد الدراسية.

ويشير (يونس، ٢٠١٠) إلى أنّ البرامج التعليمية الإلكترونية تتطلبُ اتّباع الخطوات التالية:

- اختيار الموضوع، أو المادة الدراسية المناسبة.
- تحديد خصائص المتعلمين واحتياجاتهم، والفروق الفردية بينهم.

- تحديد الأهداف العامة، والسلوكية التي يحققها البرنامج.
- صياغة المحتوى العلمي في صورة سيناريو يحدد دور الكلمة المقروءة والمسموعة، والصورة الثابتة والمتحركة في البرنامج.
- البرمجة على الكمبيوتر للوصول إلى الشكل النهائي للبرنامج.

٣) تطبيقاتُ شبكات التواصل الاجتماعي:

اقتحمتْ شبكاتُ التواصل الاجتماعي حياتنا اليومية حتّى أصبح مستحيلًا على بعضنا أن يتوقف أكثر من عشْر دقائق دون إلقاء نظرة على شاشته الذكية، لكي يرسلَ «تغريدة» أو صورة، أو يلقيَ نظرة على حائط أحدٍ عبر شبكة الفيس بوك، أو يضعَ «إعجابًا»، أو تعليقًا على شيء قامَ بنشره أحدٌ من أصدقائه.

فقد أصبحت شبكاتُ التواصل الاجتماعي منتشرةً بيننا بل وعلى الأجهزة المحمولة، وأصبحت جزءا من حياتِنا اليومية، وبالتالي فإنّ استخدامها كوسيلة لتعليم التاريخ سيكون أمرًا طبيعيًّا بالنسبة لنا؛ حيث يخلط المتعة بالعلم، ويكسر احتكارَ الغرف المغلقة للمعرفة والدراسة، ويؤكّد (العمرجي :٢٠١٤، ٣٥٥) على أنه لا يوجد أيّ عذرٍ لأيّ عضوِ هيئة تدريس مادّة التاريخ في أن ينمّي مهاراتِه نموًّا متميزًا من خلال استخدام تلك الأدوات البسيطة والفعّالة، ولم يعدْ هناك أيّ مبرر للإصرار على الأسلوب التقليدي في التعليم، ولأنّ هذه الشبكات تعدّ وسائل وليست غايات، فمِن الحكمة أن تركّز المدارس على توعية الطلاب حولها أكثر من تركيزها على تعليم جوانبها التقنية البحتة.

ويمكن لعضو هيئة تدريس التاريخ أنْ يستخدم شبكات التواصل الاجتماعي في التدريس ليدعم أدائه في الصف الدراسي من خلال الأساليب التالية:

- تأسيس عضو هيئة التدريس لمدوّنة إلكترونية صغيرة لمادة التاريخ التي يقوم بتدريسها: تحوي شرحًا للمادة العلمية، والتمارين المرافقة لها، ويدعمها بروابط لمواقع ومقالات ذات صلة تفتح آفاق الطلاب، وتخرجهم عن قيْد الكتاب الدراسي التقليدي دون أيّ إخلال بالمادة العلمية.
- تعزيز عضو هيئة التدريس مادّة التاريخ بملفّات الفيديو من شبكة الإنترنت: يمكن أن تساهم في استيعابِ الطالب للمادة العلمية بشكل أفضل، فشبكة الإنترنت مليئةٌ بآلاف مقاطع الفيديو التعليمية سواء على موقع اليوتيوب، أو أكاديمية خان، ولا يحتاج عضو هيئة التدريس إلّا أن يبحث عن المقاطع المناسبة، ويضيفها للمدونة، ويطلب من طلابِه مشاهدته في المنزل، ثمّ يناقشه معهم في الصف، أو يقوم بعرض المقطع في الصفّ الدراسي ويناقشه معهم بشكل مباشر.
- البحث عن موادّ تعليمية مناسبة للموضوعات التاريخية الدراسية على موقع شبكات التواصل الاجتماعي، وعرضها بطريقة جذّابة : لأن عضو هيئة التدريس لم يعدْ مصمّمًا ولا مهندسًا معلوماتيًّا، ولا حتى معدًّا لأنشطةٍ تعليمية تستغرق وقتًا طويلًا، وهو مثلُ الجميع، له حياة شخصية يجب عليه الاهتمامُ بها. إنّ الاستخدام المناسب للمحتويات الرقمية المعدّة سلفًا سيمكّن عضو هيئة التدريس من إتاحة الوقت الكافي للشّرح، ولإنجاز المشاريع مع طلابه، وللتجارب التطبيقية، وهكذا يصبح الوقت المخصّصُ للواجبات مقتصرًا على التمارين المنهجية (ذات التصحيح الآلي)، وتمارين ترسيخ المعلومات والبحث أو الإنتاج الفردي.
- استخدام المجموعات المغلقة Closed Group التي يوفّرها موقع فيسبوك: كأحد أهمّ الوسائل الناجحة في تعزيز التعليم حيث يمكن لعضوِ هيئة التدريس أن ينشئ مجموعةً علمية على فيسبوك، خاصّة فقط بطلابه، أو المادة التي يدرسها، ويدعو طلابَه للانضمام إليها فيتيح لهم من خلالها النقاش والحوار حولَ مواضيع تاريخية لها علاقة بالمادة الدراسية؛ ممّا يشجعهم على التفاعل والمبادرة والاستكشاف، والاعتماد على النفس دون أن يضيف إليهم عبء تعلّم برامج إلكترونية معينة، أو جهد خاصّ للحصول على المعرفة، حيث من المؤكّد أنّ جميع الطلاب يستخدمون فيسبوك، وستكون هذه المجموعة ضمن متابعاتهم اليومية على فيسبوك.
- مساعدة الطالب على تأسيس مدوّنة Blog خاصّة به على شبكة الإنترنت: والتدوين فيها بشكل مستمرّ سيعزّز شخصية الطالب، وينمّي مهارات الكتابة، والإبداع لديه، ويساعده في تحديد توجهه المهني في وقتٍ مبكّر، وبالتالي فإنّ على عضو هيئة التدريس أنْ يعمل على جعل مدونات الطلاب جزءا من نشاطاتهم اللامنهجية، وتحفيزهم على الكتابة والتدوين فيها بشكل دائم، وذلك من خلال منح الجوائز، والتكريم، ومنح الدرجات.
- مساعدة الطلاب على إضافة التعليقات على

مدوّنات زملائهم: ممّا يعزز الحوار والتبادل المعرفي بين جميع الطلاب.

- مساعدة الطلاب على إعداد مقاطع فيديو أو رسوم توضيحية أو عروض تقديمية لها علاقة بشكل مباشر أو غير مباشر بالمادة الدراسية التي يقومون بدارستها: ثمّ يطلب منهم مشاركتها عبر يوتيوب معَ زملائهم، أو حتّى مع العالم كله، فهذا سيعزّز المهارات الإعلامية لدى الطلاب، خصوصًا الخطابة، وفنون الإقناع والتأثير، كما سيدعم فهمَه للمادة العلمية بشكل قوي حيث إنّ عرضها أمام الآخرين يمثل أعلى درجات التعلم، فالصوتُ والصورة هي أهمّ عنصر من عناصر التعلم في عصرنا هذا، ولا يمكن لأيّ محتوى علمي أنْ ينجح في الوصول للطلاب دون استخدامها، ولنتخيل كمية المحتوى البصري الذي سينتج عن ذلك فيما لو فعلَ ذلك كلّ طلّابنا على جميع مستوياتهم الدراسية.
- كتابة عضو هيئة التدريس تغريدة على توتير تتعلّق بموضوع الدرس الذي سوف يدرسه الطلاب: ويسمح لطلّابه بالتعليق عليها، وتكون هذه المناقشات بمثابة تهيئة أو تمهيدٍ للدرس، كما يمكن أن يرسل الطلاب رسائلَ خاصة للمعلم عن طريق خاصية الـ Direct Messageللاستفسار عن سؤال ما، كما يمكن أن يرشدَ عضو هيئة التدريس طلابَه إلى كتاب أو مقال، فيمكنه تغريد الرابط على صفحته، وعلى المصنّفة "هاش تاق" للمادّة التي يدرسها، ويمكن للمعلم طرحُ أسئلة، أو موضوع للنقاش يخدم مادته.

ويري مودريتشير Modritscher،٢٠٠٦،٦)) إن أبرز المبادئ والجوانب التربوية التي يمكن توظيفها في التعلم عبر تطبيقات الإنترنت- من وجهة نظر المدرسة المعرفية- هو: تركيز انتباه المتعلم بواسطةِ إبراز المعلومات المهمّة، مع مراعاة المستوى المعرفي له، واستخدام إستراتيجيات تسمح للمتعلّمين بإدراك المعلومات، بحيث يمكن انتقالُ التعلم إلى الذاكرة طويلة المدى، وبناء روابط بين المعلومات الجديدة وبعض المعلومات ذاتِ الصلة، المخزّنة سابقا في الذاكرة طويلة المدى. كما يرى أندرسون ودارون (Anderson، & Dron، ٢٠١١) أنه يمكن استخدام تطبيقات الإنترنت والتواصل الاجتماعي في مساعدةِ المتعلم على اتّخاذ مسارٍ موجّه نحو هدف محدد، والعمل على تحفيز اهتمام المتعلّمين، ممّا يسمح بنمو المواطنة الرقمية.

وقد أوصت دراسة (الدمرداش وشرف ٢٠١٦ (بضرورة تضمين برامج إعداد المعلم لمعايير المواطنة الرقمية. ودراسة بيراردي (Berardi ٢٠١٦،) بضرورة إعداد المعلم ليكون مستعدًّا للتربية على المواطنة الرقمية. وأوضحتْ دراسة كورتكا وكاربنتير (Krutka &Carpenter ٢٠١٧،) إلى أنّ المواطنة الرقمية تضع معاييرَ وقائية ضدّ أخطار التقنية الرقمية، وتحدد سياسات الاستخدام المقبول لها، وبالتالي تمكّن الأفراد من الحياة بأمان في العصر الرقمي.

٤) الرحلات المعرفية على الإنترنت (الويب كويست):

تعدّدت التعريفات الخاصّة بالرحلات المعرفية على الإنترنت (الويب كويست) حيث تعامل معها البعضُ على أنّها أنشطة، وتعاملَ معها البعض على أنّها أنموذج تدريسي، في حين تعامل معها البعض على أنّها مدخلٌ تدريسيّ، أو إستراتيجية تدريسية، أو طريقة تدريسية. إنّ من أبرز الأنشطة التي يهتم بها مستخدمو شبكة الإنترنت للأغراضِ التعليمية أو التربوية؛ عمليةُ البحث عن النصوص أو البرامج أو الصور وغيرها، ولتسهيل المهمّة قامت شركاتٌ بتوفير محركات بحثٍ عملاقة توفر الوصول إلى كميّات هائلة من المعلومات، في كافة المجالات الحياتية، كالطب والفلك والاقتصاد والفلسفة والأدب والتاريخ والتربية والتعليم، ومجالات الترفيه والألعاب.

أنواعُ الرحلات المعرفية على الإنترنت (الويب كويست):

حدّد سانفورد (Sanford، et al ٢٠١٠ ، ٩٦) نوعيْن للويب كويست، هي:

- الويب كويست قصيرة المدى: يبلغ مداها الزمني يومًا إلى أسبوع، وعادةً ما يكون الهدف منها هو الوصول إلى المعلومات المتعلقة بمعرفة وفهْم موضوع معين، وغالبًا ما يستعمل هذا النوع من الويب كويست مع المبتدئين في استعمالِ تقنيات محرّكات البحث، وقد يستعمل أيضًا كمرحلة أولية للتحضير للويب كويست طويلة المدى.
- الويب كويست طويلة المدى: عمرُ الويب كويست طويلة المدى يتراوح بين أسبوع وشهر كامل، وهي تتمحْور حول أسئلة تتطلّب عمليات ذهنية متقدمة كالتحليل، والتركيب، والتقويم.. إلخ، ويقدّم حصاد هذه الرحلة في شكلِ عروض شفهية أو إلكترونية، أو في شكل بحث، أو ورقة عمل، للعرض في غرفة الصف أو على الشبكة.

وقد أوضحتْ دراسةُ (الموسى ١٤٢٣هـ) أنّ المعرفة التي يتوصل إليها المتعلم عن طريق (الرحلات المعرفية) تنتجُ من خلال المشاركة والنّقاش والتفاعل مع زملائه الآخرين، وليس بمعزلٍ عنهم، مع الاعتراف بذاتية المتعلم، وجعْله مواطنًا رقميًّا واعيًا بدوره، ومسئوليته الفردية والجماعية. كما أشارت دراسةُ (طلبة ٢٠١٠) إلى أنّ الرحلات المعرفية تقدّم مهامَّ تعليميةً محددة تساعد المتعلم على الاعتماد على نفسه في عملية البحث والاستكشاف للمعلومات عبر الويب، واستخدام وتوظيف هذه المعلومات، وليس مجرّد الحصول عليها، وتنمّي لديه المواطنة الرقمية. أثبتتْ دراسة كريستين وآخرون ((Christine et al.,٢٠١٠ أنّ التعليم بمساعدة الحاسوب يُسهم في تنمية التحصيل الأكاديمي، والاتجاه نحوَ التعلم الرقمي لدى طلبة الدراساتِ العليا المسجّلين في الدورة التمهيدية في برنامج التعليم في الجامعة. وأشارت دراسةُ (المخلافي ٢٠١١) إلى الأثر الإيجابي لبرنامج لتنمية مهارات تكنولوجيا المعلومات لدى الطلبة المعلّمين في جامعة تعز في تنمية اتّجاهاتهم نحو التعلم الرقمي. ويؤكد (العمرجي :٢٠١٥، ٣٢٥) على أنّ الرحلات المعرفية وسيلةٌ مميّزة في تدريس التاريخ حيث تعتمد على توظيف أساليب التدريسِ الحديثة المبنيّة على استخدام التكنولوجيا بحيث يصبح الطالبُ في بؤرة النشاط التعليمي، وتخلق تعلّمًا فعّالًا ونشطًا، وأكثر دقّة من التعليم التقليدي، فيصبح مواطنًا رقميًّا صالحًا. وأوضح (الحربى ،٢٠١٥،٣٢) أنّ التطبيقات المختلفة للإنترنت تساعدُ على تفعيل العلاقات الاجتماعية، ودعم التعلّم الذاتي، وذلك من خلال إتاحة الفرص للمتعلمين لاختيار المادة العلمية، والتحكم في عملية التعلم، وتنمّي مهاراته الحياتية والرقمية.

كما أوضحتْ (المسلماني، ٢٠١٤ ، ١٥ - ٩٤) أنّ التأثيرَ الواسع للتقنيات انعكس بصورة سلبية على شخصية الطلاب الذين سيقودون عجلة التنمية، والتقدم في المجتمع، في ظلّ وجود القليل من القواعد الخاصّة بالسلوك المناسب للمواطنة الصالحة في المجتمع الرقمي.

٥) تقنية الواقع المعزز:

توجد معلوماتٌ مجرّدة في الكتب، وكنّا نتمنّى لو تجسدت هذه المعلومات في صورة، أو فيديو، أو أشكال ثلاثية الأبعاد؛ لرؤيتها أو فهمها، أو معرفة المزيد عنها، كم مرّ بك من مواقع جغرافية وأماكن وآثار تاريخية؛ ورغبت في معرفة المزيدِ من المعلومات، ورؤية الصور والوسائط حولها، لقد تحققت هذه الأماني، وأصبح بمجرّد تعريض كاميرا الهاتف المحمول على الكتاب الورقي العادي؛ فإننا نبعث فيها الحياة، بمعنى أننّا تستطيع أن نستعرض الكثيرَ من المعلومات، والصور، والفيديو، والأشكال ثلاثية الأبعاد، وبدون أيّ تكاليف مادية تذكر، بل ويمكننا التعرفُ على الشوارع، والآثار، والمباني، والمواقع الجغرافية، والمعالم المشهورة، ومشاهدة الصور والفيديو، وغيرها من المعلومات، بمجرد تسليطِ كاميرا الهاتف الذكي إلى هذه الأشياء، وبدون أيّ رسوم، وذلك من خلال تقنية الواقع المزيد أو المعزز أو المضاف.

أهمّ التطبيقات لاستخدم تقنية الواقع المعزز في التعليم:

أوّلًا: الكتابُ التّفاعلي: تحويل الكتاب المدرسي من كتابٍ جامد إلى آخرَ مفعم بالحيوية، مدعّم بمقاطع فيديو وصوت وصور ثلاثية الأبعاد.

ثانيًا: مناهلُ المعرفة: توفير التعليم للجميع في كلّ مكان، وفي كلّ وقت، أثناء أي عمل، وحبذا لو تمّ استهداف مواقع التنزّه، والمواقع التاريخية للتعريف بها، وربطها بأهداف وسياسة التعليم بالمملكة، على أن تكون عمليةُ التعليم مصاحبةً للمتعلم أينما كان، وبطريقة جذّابة ومشوقة؛ لتحقيق التعلم للجميع، ممّا يساهم في بناء مجتمع المعرفة.

إنّ هذه الوسائط والتقنيات تبثّ الحيوية في المتعلم وتهيّئ المواقف التعليمية المحفزة للتعلم من دروس التاريخ، وتزيد من دافعيته. وأوضح (المشهداني، ٢٢٦: ٢٠١٢- ٢٢٥) أنّ التطور الكبير في المجالات التقنية والثورةِ التكنولوجية انصبّت على العلمي والعقلي في بداياتها، إلّا أنّها توجّهت أيضًا لتطوير علمِ التاريخ وطرائق تدريسه؛ لترفع بذلك التصورَ القديم عن التاريخ من أنّه سردٌ لأحداث الماضي، وقصصه لتدخِله في إطار دنيا المعلوماتية التي تغزونا اليوم.

وقد أشار (عطارة وكنسارة، ٢٠١٥ : ١٩٠) إلى أنّ تقنية الواقع المعزز تلعب دورًا مهمًّا في مساعدة المعلّم على شرح المعلومة بشكلٍ أكثر كفاءة، فإذا كان المعلم يشرح درسًا عن الحضارة القديمة مثلًا، فإنّه سيواجه صعوبةً في تبسيط المعلومة إذا لم يكنْ معه قطعة أثرية يمكن للمتعلّمين معاينتها مثلًا، ولكنْ مع تقنيات الواقع المعزّز أصبحت عمليةُ التعليم أسهل، فبفضلها يستطيع المعلمُ عرضَ كلّ زاويةٍ من زوايا القطعة الأثرية، ويستطيع المتعلّمون معاينتها.

الاستنتاجاتُ والتوصيات والمقترحات:

الاستنتاجات:

في ضوءِ بيانات الدراسة، ومناقشتها، توصّل الباحثُ إلى الاستنتاجات التالية:

١) كافة دول العالم أمام تحدٍّ كبير، يفرض عليها ضرورةَ تكثيف الجهود، وصياغة آليات وإستراتيجيات جديدة؛ لتعزيز استخدام التقنيات الحديثة في الدراسة والبحث التاريخي، وتطويعها؛ لتحقيق التقدم والرّفاهية ومحاولة تلافي سلبياتها.

٢) النشء في حاجةٍ ماسّة للتربية علي التقنيات الحديثة في ظلّ عصر الرقمنة.

٣) تثقيف كلّ باحث أو دارسٍ على أن يكون مواطنًا رقميًّا مسئولًا في ظلّ مجتمع عالمي، سادت فيه معالمُ جديدة جذبت الجميعَ إليها، قوامها المواطنة الرقمية، تقارب إليها الأفراد بلغة جديدة يدركها روّادها، بصرف النظر عن معتقداتهم وأديانهم وأعمارهم.

٤) التقنيات الحديثة تعدّ من أبرز المستجدات والاتجاهات الحديثة في الدراسة والبحث التاريخي في المؤسسات التعليمية.

التوصيات:

وتتمثّل التوصيات التي تطرحها الدراسة فيما يلي:

١) نشر الثقافة الكمبيوترية وتكنولوجيا التعلم الإلكتروني لدعم عمليات التعلم والتدريب.

٢) ضرورة تضمين التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية والبحثية، وفق رؤى واضحة تستند إلى إستراتيجية ثابتة.

٣) نشر ثقافة التقنيات الحديثة، ويجب أن تتحوّل الى برامج ومشاريع في مدارسنا وجامعاتنا، ومع مبادرات المجتمع المدني والمؤسسات الإعلامية، حتى نتمكّن من حماية مجتمعاتنا من الآثار السلبية للتكنولوجيا، والاستفادة المثلى منها للمساهمة في تنمية مجتمع المعرفة، وبناء الاقتصاد الرقمي الوطني.

٤) تتبنى الدول العربية- ضمن سياستها التعليمية- نشرَ المواطنة الرقمية بين الطلاب والباحثين وأعضاء هيئة التدريس، وتوفير البنية الأساسية، والفنية التكنولوجية اللازمة لتطبيقها.

٥) تضمين المناهج التعليمية التفاعلية مفاهيم المواطنة الرقمية؛ ممّا يساهم في نموّ الوعي المعلوماتي، وأخلاقيات استخدام الوسائل التكنولوجية بشكل آمن، ومراعاة احترام الملكية الفكرية، والخصوصية بما يوفّر بيئة رقمية إيجابية ومسئولة.

٦) إعداد المواطن الرقمي المسئول من خلال تثقيف الطلاب، وعن أمان وأخلاقياته الإنترنت، ووسائل السوشيال ميديا، وشبكات التواصل الاجتماعي.

٧) دعوة المؤسسات التربوية إلى التعاون مع وزارة الاتصالات لبناء شبكة اتّصالات تربوية وترددات خاصّة؛ لضمان جودة التعليم والإفادة من الموارد الرقمية المتوافرة، والاهتمام بشبكة الاتصال عن بُعد، وتبادل المعلومات لتعزيز الإعلام التربوي، وتغطية المؤتمرات التربوية والتعليمية وغيرها.

٨) المبادرة إلى تعزيز عملية التحوّل في المدارس والجامعات لإنجاح دمج التكنولوجيا التعليمية بالارتكاز على المكوّنات الثلاث الآتية:

- المتعلم: الحفاظ على حقّه في التعلم بطرق جديدة لمواكبة التطور الحاصل، ولبناء شخصية مبدعة وخلّاقة، والإعداد لسوق العمل.
- عضو هيئة التدريس: تطوير إمكاناته من خلال تحويل دوره من ناقلٍ للمعرفة إلى مسهّل للمتعلم ومرافقٍ له في العملية التعليمية.
- المحتوى: تصميم محتوى رقميّ تفاعلي يتماشى مع الكفايات والأهداف التي تراعي كلّ أنماط التعلم، وتضمن إصدار مناهج تبني المواطن الرقمي الصالح، وترقّي الإنسان بالعلم والقيم وبصداقته للتكنولوجيا بمسئولية واحتراف.

٩) تحويل الكتب إلى رقمية، مع تفادي التأخير في التأليف، إضافة إلى طباعة كتابٍ بنسخة ورقية عند الحاجة، وتخضع الكتب الرقمية إلى تطوير مستمر.

المقترحات:

١) تخصيص جوائز قيمة للطلاب في المدارس والجامعات للمتميزين في استخدام التقنيات الحديثة.

٢) تتبنى الدولُ طلاب المدارس والجامعات المتميّزين رقميًّا لتدعيمهم والمحافظة عليهم.

٣) إجراء دراسات وأبحاث عن كيفية استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات التاريخية.

المراجع:

أوّلًا: المراجع العربية:

١) علي، محمد السيد، (٢٠٠٥). تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، جمهورية مصر العربية، طنطا. دار ومكتبة الإسراء.
٢) وزارة التربية الوطنية بالجمهورية العربية الجزائرية (٢٠١٥). مناهج مادة التاريخ، مطابع وزارة التربية الوطنية بالجمهورية العربية الجزائرية.
٣) ويكيبيديا الموسوعة الحرة (د.ت) موقع على الإنترنت.
٤) العمرجي، جمال الدين إبراهيم (٢٠١٤). برنامج تدريبي لمعلمي التاريخ بالمرحلة الثانوية لتنمية مهارات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التدريس وتنمية الفاعلية الذاتية لديهم. مجلة كلية التربية، جامعة السويس. مجلد (٧) العدد (٢) أبريل ٣٥٢٠-٣٩٩.
٥) العمرجي، جمال الدين إبراهيم (٢٠١٥). برنامج قائم على استخدام الرحلات المعرفية عبر الإنترنت (الويب كويست) في تدريس التاريخ على تنمية التحصيل والتفكير الإيجابي والاتجاه نحو التعلم الذاتي لدى تلاميذ الصف الثالث الإعدادي. مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط. المجلد (٣١) العدد (٥) الجزء الأول. أكتوبر،٣٢٠ -٣٦٥.
٦) العمرجي، جمال الدين إبراهيم (٢٠١٧). فاعلية استخدام تقنية الواقع المعزز في تدريس التاريخ للصف الأول الثانوي على تنمية التحصيل ومهارات التفكير التاريخي والدافعية للتعلم باستخدام التقنيات لدى الطلاب. عمان. الأردن. المجلة التربوية الدولية المتخصصة. المجلد (٦) العدد (٤) ١٣٥-١٥٥.
٧) يونس، إبراهيم عبد الفتاح (٢٠١٠). تكنولوجيا التعليم بين الفكر والواقع. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
٨) الدمرداش، محمد وشرف، صبحي (٢٠١٦). معايير التربية على المواطنة الرقمية وتطبيقاتها في المناهج التدريسية. المؤتمر الدولي السادس. جامعة المنوفية.
٩) الموسى، عبد الله بن عبد العزيز (١٦-١٤٢٣/٨/١٧هـ). التعليم الإلكتروني مفهومه خصائصه فوائده عوائقه. الملتقى العلمي، مدرسة المستقبل. الرياض: جامعة الملك سعود.
١٠) طلبة، عبد العزيز (٢٠١٠). الرحلات المعرفية عبر الويب (إحدى إستراتيجيات التعلم عبر الويب). مجلة التعلم الإلكتروني. جامعة المنصورة. وحدة التعلم الإلكتروني. العدد (٥).
١١) المخلافي، حنان عبده فرحان (٢٠١١). برنامج مقترح لتنمية مهارات تكنولوجيا المعلومات لدى الطلبة المعلمين في جامعة تعز، وأثره على اتجاهاتهم نحو التعلم الذاتي «رسالة دكتوراه غير منشورة». معهد الدراسات التربوية. جامعة القاهرة.
١٢) الحربي، عبد الله بن عبد المحسن (٢٠١٥). الخطوات العملية للتدريس والتعلم عبر الإنترنت. عمان: دار المسيرة.
١٣) المسلماني، لمياء إبراهيم (٢٠١٤). التعليم والمواطنة الرقمية: رؤية مقترحة، القاهرة، عالم التربية، ٥١ (٧٤).
١٤) المشهداني، ياسر عبد الجواد (١٣-١٤ تشرين الثاني ٢٠١٢). التقنيات الحديثة ودورها في ضمان الجودة في تدريس مادة التاريخ، المؤتمر العلمي الدولي الخامس لكلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق.
١٥) عطار، عبد الله إسحاق؛ كنسارة، إحسان محمد (٢٠١٥). الكائنات التعليمية وتكنولوجيا الناو، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر والتوزيع.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

16) American Historical Association. (2006). Teaching and Learning in the Digital Age Project Links: History of the Americas and World History [Online]. Retrieved 11/2/2018 from http://www.historians org/tl/list. cfm.
17) Modritscher، F. (2006). E-Learning theories in practice: a comparison of three methods. Journal of Universal Science and Technology of Learning.5 (4) ، 3-18.
18) Anderson، T.، & Dron ، J. (2011).Three generations of distance education pedagogy. The International Review of Research in Open and Distance Learning، 12(3)، 80-97
19) Berardi،R.(2016). Elementary teachers' perceptions of value and efficacy regarding the instruction of digital citizenship. Unpublished master thesis، Immaculate University.
20) Krutka، Daniel G and Carpenter Jeffrey P. (2017) Digital Citizenship in the Curriculum Educational Leadership، v75 n3 p50-55 Nov 20173.
21) Christine M.Karper،Edward H. Robinson، Montserrat Casado Kehoe(2010). Computer Assisted Instruction and Academic Achievement in Counselor Education، Journal of Technology in Counseling، Vol. (4)، No، (1)
22) Ribble، M.، Bailey، G. & Ross، T.W. (2004). Digital Citizenship Addressing Appropriate Technology Behavior. 32 (1)، 6-12.

تكميمُ دفاتر الأعْشار العثمانية في ليبيا

محاولاتٌ منهجية في التاريخ الجداولي


د. فاتح رجب قدارة

كلية الآداب بالزاوية. جامعة الزاوية. ليبيا

١. مدخل:

أصبحت مسألةُ التجديد المنهجي في الدراسات التاريخية والعلوم الإنسانية عمومًا؛ دعوة متصاعدة في الكتابات التنظيرية، والتي قد توحي للبعض بحالةِ من حالات الزهد المجتمعي في العلوم الإنسانية، ولكنّ المتتبعَ لسيرورة الحدث الإنساني الراهن يلمسُ من دون جهدٍ يُذكر ازديادَ الانكفاء العالمي نحوَ العلوم الإنسانية والدراسات التاريخية تحديدًا لحالة نفسية تبعث الحنينَ إلى الماضي، وتجاربه، ومآسيه، ومعالجاته للأزمات المتلاحقة التي تؤرق البشرية دوريًّا، وتدفعهم دفعًا لعلوم الإنسانية غير المادية «الصلبة» التي يعجزُ باحثوها حتى الآن على إعادةِ صياغتها وتقديمها بصورةٍ تتوافق والحالة المزاجية التي تحيل أكثرَ نحو السرعة وسهولة التقاطِ المعلومات من دون الخضوع لرؤية المؤرّخِ الباحث في التفصيل والإحاطة الشمولية.

وتقودنا هذه الدعواتُ التجديدية، سواء في المصادر الأولية وأساليب عرضها وتقديمها للمتلقي، وكيفية تجاوز النمطِ التقليدي إلى محاولةِ إدماج المستحدثات المنهجية والتقنية في عملِ المؤرخ مع المصادر المهملة، ومِن زاوية دعوات مدرسةِ الحوليات الداعية للاهتمام بكلّ الناس من دون استثناء، والاستعانة بالتطبيقات الحاسوبية في معالجة الأرقام[١]. والمعطيات الكميّة التي تزخر بها الوثائقُ التاريخية الليبية، لا سيّما وثائق القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، وهو العهدُ الذي اعتادت الدراساتُ على وسمه بـ(العهد العثماني الثاني ١٨٣٥-١٩١١م)، العهدُ الذي عرف استكمالًا لبرامج الإصلاحيات والتحديثات العثمانية المختلفة[٢]، واهتمام سلطات ولاية طرابلس الغرب العثمانية بالتوثيق الدقيق لأعمال الإدارة وشئون الأهالي، خصوصًا المسألة الضريبية على مختلف مسمّياتها وأوجه جبايتها[٣]، والتي لا تزال مخلفاتُها الوثائقية صامدة، وتقاوم عواملَ الزمن والإهمال، ومن أبرزها مجموعة (دفاتر الأعشار العثمانية).

وتأسيسًا على مقولة (ميشيل فوفيل) والقائلة بأنّ: « اكتشاف مصادر مكتوبة جديدة قابلة للتنظيم في شكلِ جداول تمتدّ على مدًى بالغ الطول؛ نتيجة لإعطاء قيمة لمجموعات من الوثائق المتراكمة وغير المنسوبة إلى أشخاصٍ معيّنين، والتي كانت في الماضي لا تمثل شيئًا مثل الوثيقة الجبائية»[٤]، التي يمكن أن تعوّض الباحثين عن الثغرات التي تخلفها الوثائقُ الديوانية الرسمية، وهذه المقولة يمكن تكييفُها- وإلى حدّ كبير- على دفاتر الأعشار العُثمانية في طرابلس الغرب، التي كان أغلبُ سكانها يعتمدون على الزراعة المروية والبعلية، والنّشاط الاقتصادي المرتبط بهذه الزراعات، سواء في المناطق الساحلية أو في الواحات الصحراوية في المجال الفزاني[٥]، التي أُخضعت محاصيلُها لضريبة العُشر «الشرعي»، وتختلف

(١) جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ضمن كتاب التاريخ الجديد، إشراف جاك لوغوف، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، ومركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١٢١-١٢٢.

(٢) ينظر: محمد الكوني بلحاج، التحديث العثماني في ولاية طرابلس الغرب ١٨٦٤-١٩١١م، منشورات جامعة السابع من أبريل، الزاوية، ٢٠٠٧م.

(٣) الصالحين جبريل الخفيفي، النظام الضريبي في ولاية طرابلس الغرب ١٨٣٥-١٩١٢م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٠م، ص٣٧-٦٥.

(٤) ميشيل فوقيل، التاريخ والأمد الطويل، ضمن كتاب التاريخ الجديد، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٥) تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨٨م، ص٩١-١٤٤.

النسبةُ التي تستوفى مِن أيّ محصول من ولاية إلى أخرى، ولم تكن متناسقة بين مختلف الولايات العثمانية[٦]، وهذا الاختلاف جعلنا نروم وسْمَها بضريبة العُشر في حالتها الليبية التي فرضتها خصوصيتها المكانية والبيئية.

حيث يغلبُ على أنماط الزراعات الليبية النمطُ البعلي الذي يعتمد أساسًا على معدّلات سقوط الأمطار السنوية في المواسم المطيرة، وهي مواسمُ متذبذبة تتباين من سنة إلى أخرى، بل وعدم انتظام الهطول الشهري، الأمرُ الذي ترتّب عليه «دورية» ثنائية الخصب والجفاف في هذه الولاية، وجعلَ من العملية الزراعية عمليةً صعبة، ويخضع نجاح وفشل المحصول الزراعي للتقلبات المناخية[٧]، وانعكست بالضرورة على ضريبة العُشر الشرعي وكيفية ضبْط المحاصيل، وأداء التكاليف الجبائية العُشرية السنوية، التي كانت مصدرًا للعديد من المقاومات المحلية والثورات[٨] لارتباطها بحياة الناس وخضوعها لتقلبات الطبيعة، وملاحقة السلطة الحاكمة لهذه الضريبة من أجل تحسين عائداتها.

ولدت وسط هذا الشدّ والتنافر (دفاترُ الأعشار) كأحد أهمّ المدونات الوثائقية الليبية المحفوظة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس، والتي يسمّيها البعض بـ (سجلات المحاسبة والضرائب)[٩]، وفي تقديرنا فإنّ مقتضيات الأمانة في العلاقة مع الوثيقة تحتّم الالتزام بتسميتها التي نصّت عليها التنظيماتُ العثمانية، وارتباط هذه المسمى (دفتر) بسلسلة من الأوامر السلطانية والولائية المتعلقة بجبايتها وتدوين دفاترها في أدق تفاصيلها[١٠].

٢. إشكالية الاستفادة من دفاتر الأعشار وتوظيفها في الدراسات التاريخية:

يمكننا الحديثُ بثقةٍ عن الأهمية الاستثنائية لضريبة العُشر ودفاترها الوثائقية في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الليبي في العهد العثماني الثاني، وبالقدر الذي يجعل منها أهمّ (الوثائق الشعبية)، نظرًا لما تحتويه عرضًا من تفاصيل على التشكيلات الاجتماعية القبلية الليبية بحسب مناطق استقرارها ومواضع ممتلكاتها الزراعية، والفئات الاجتماعية الفاعلة في الوسط القبلي، وكثير من الإشارات للمقاييس والموازين المستخدمة، وغيرها من دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية[١١]، إلّا أن هذه المجموعة الوثائقية ظلّت- ولا تزال- في دائرةِ الوثائق المهمّشة والمهملة من الناحية البحثية، في مقابل حالة التزاحم العائلي والقبلي على هذا الرصيد بغية توثيق الجذور العائلية والأسرية، والبحث عن الجذور، الأمر الذي طرح العديدَ من الاجتهادات حول مرجعية هذا الإهمال البحثي.

إنّ الطبيعة التكوينية لهذه الدفاتر تقوم على «التقدير» الظني من قبل هيئات التّعشير (التخريص) التي ترسلها محاسبة الولاية إلى المناطق الزراعية قبل حصاد المحاصيل لتقديرها بواسطة موظفٍ في هيئة التخريص، خبير في تقدير المحصول، يُعرَف في الوثائق والدّفاتر بـ (المخمن) الذي يقدّر حجم المحصول، ونسبة العُشر (١٠٪) بالحدس والظن من خلال المعاينة الميدانية، بحضور المزارع وشيخ قبيلته مع مأموري هيئة التخريص الذين يتولّون تقييدَ اسم الزارع ومكانة الزراعة وقبيلته والعُشر الشرعي المطالب به، وهي العملية التقديرية التي لا تبعثُ على الثقة في التقديرات، وهذا ما كانت تدركه السلطاتُ العثمانية ولكن لم تكنْ تمتلك أيَّ وسيلة أو آليات لضبط المحاصيل إلّا التخمين التقديري قبل جمع المحصول، لذلك كانت تلجأ إلى التّشديد على هيئات التخريص بضرورة «إثبات العشر الشرعي في أوان التخريص وزمانه بالدّفاتر بموافقةِ قاعدة الحق والعدل، وأن لا يقع قطعًا شيء غيرُ مُرضٍ لكي لا يكون خسارة للخزينة الجليلة، ولا غدرًا للأهالي.... وإثبات العشر في دفاتر على موجب التعليمات بموافقة طريق الحق والعدل»[١٢].

(٦) هاملتون جب، هارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١م، ج٢، ص٦١.

(٧) جان ديبوا، الاستعمار الإيطالي في ليبيا، طرقه ومشاكله، ترجمة: هاشم حيدر، منشورات دار ليبيا، بنغازي، ١٩٦٨م، ص١٩-٢٣.

(٨) ينظر على سبيل المثال: الحبيب القرماني، قيام الدولة القرمانلية بالأناضول التركي والإيالة الطرابلسية، دار الفرجاني، طرابلس، دار أليف، تونس، ١٩٩٧م، ص٢٤٨.

(٩) محمد الطاهر عريبي، وثائق السراي الحمراء بمدينة طرابلس، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، ١٩٧٧م، ص٤٦.

(١٠) د.م.ت.ط، نموذج في كيفية إعداد وتدوين دفاتر الأعشار، صادر عن محاسبة الولاية د. ت.

(١١) فاتح رجب قدارة، سجلات الأعشار العثمانية كمصدر لتاريخ ليبيا الاجتماعي والاقتصادي، تقرير قُدّم الى الجمعية التاريخية العربية الليبية في مؤتمرها الثامن المنعقد بمدينة سرت (نوفمبر ٢٠٠٦م) ، تقرير غير منشور، ص ٢.

(١٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (د.م.ت، ط) تعليمات محاسبة ولاية طرابلس الغرب لبيان كيفية تخريص وقيد أعشار زراعات مناطق طرابلس والخمس والجبل عن سنة خمس وتسعين الرومية ١٢٩٥ مالية (١٨٧٩م) مؤرخة في ٢٠ ربيع الثاني ١٢٩٦هـ، ١ نيسان ١٢٩٥ مالية (١٣- أبريل ١٨٧٩م).

وفـي تقديرنا، فـإنّ قاعـدة تدويـن هـذه الدفاتـر القائمـة علـى التقديـرات الحدسـية هـو السـببُ الرئيسـي لتنفيـر الباحثيـن مـن الاسـتفادة منهـا، أو توظيفهـا فـي الدراسـات التاريخيـة والاجتماعيـة، علـى الرغـم مـن التوسّـع الكبيـر فـي الدراسـات العثمانيـة بالجامعـات الليبيـة فـي العقـود الثـلاث الماضيـة ١٩٩٠-٢٠٢٠م، والتـي نلمـس مـن خلالهـا زهـد الباحثيـن فـي هـذه الدفاتـر، إلـى جانـب الخشـية مـن التعقيـدات الفنيـة والمعرفيـة التـي يتطلبهـا الاشـتباكُ بحثيًّـا مـع هـذه الدّفاتـر، علـى الرغـم مـن وفْرتهـا النسـبية، حيـث قـدّر عـدد الدفاتـر المفـروزة والمصنفـة فـي إحصـاء عـامٍ أولـيّ بأربعـة آلاف وخمسـمائة دفتـر (٤٥٠٠)، الحصيلـة التـي تمكـن العاملـون بـدار المحفوظـات التاريخيـة بطرابلـس مـن اسـتخراجها مـن أضابيـر الوثائـق الأخـرى، وفرزهـا مناطقيًّـا وتجليدهـا، ويرجّـح العاملـون بالـدار وجـودَ الكثيـر منهـا فـي الصناديـق والملفّـات غيـر المصنفـة بعـد[١٣].

وعلـى الجانـب التقنـي، فـإنّ مظاهـر اهتمـام السـلطات العثمانيـة بهـذه الضريبـة تجلّـت فـي تميـز هـذه الدفاتـر مِـن حيـث نوعيـة الـورق الخشـن المسـتخدَم فـي تدويـن هـذه الدفاتـر واسـتخدام الحبـر الصّمغـي الثابـت، والكتابـة بالخـط العربـي المغربـي الشـائع محليًّـا، الـذي دوّنـت بـه أغلـب الدّفاتـر المسـطّرة بحسـب التعليمـات، بحيـث توثـق لنـوع المحصـول، واسـم الـزارع، وقبيلتـه، وتذيـل الدّفاتـر بتصديـق مجلـس إدارة الناحيـة أو القضـاء، واعتمـاد محاسـبة الولايـة، ويلاحـظ فـي عمـوم هـذه الدفاتـر قلّـةُ الكلمـات والألفـاظ المدوّنـة فـي مقابـل الكـمّ الكبيـر مـن الأرقـام والرمـوز القياسـية والضّريبيـة المختصـرة التـي تعارفـتْ عليهـا الإدارة العثمانيـة فـي طرابلـس الغـرب، الأمـر الـذي زاد فـي صعوبـةِ التعامـل البحثـي مـع هـذه الدّفاتـر، وصعوبـة تفسـير المحتـوى الرقمـي والرمـزي المحلـي والمسـمّيات الاجتماعيـة والقبليـة والجغرافيـة فـي ولايـة طرابلـس الغـرب.

ويزيـد الأمـرَ صعوبـة فـي التعامـل مـع هـذه الدفاتـر الاختـلافُ الإنشـائي للدفاتـر تبعًـا لنـوع المحصـول الزراعـي الخاضـع لضريبـة العُشـر، التـي تأتـي فـي مقدّمتهـا دفاتـر الحبـوب (القمـح، الشـعير، والـذرة) ودفاتـر أعشـار (حبـوب الزيتـون)، ودفاتـر عُشـر محصـول (التبـغ)، وعُشـر التمـور والإسـفنج (النشـاف)، وعُشـر نبـات الحلفـاء، ويـزداد الأمـرُ تعقيـدًا فـي تميـز دفاتـر أعشـار محاصيـل الأهالـي المتداخلـة مـعَ دفاتـر أعشـار أوقـاف المسـاجد والزوايـا، التـي كانـت تخضـع بدورهـا لأداء العُشـر الشـرعي، وغيرهـا مـن العوائـق الفنيـة والمعرفيـة التـي جعلـتْ مـن دفاتـر الأعشـار فـي دائـرة الإهمـال البحثـي، لذلـك فـإنّ هـذه الدراسـة تحـاول توظيـفَ التاريـخ الكمـي لدراسـة السلاسـل التّقديريـة التـي تحتويهـا دفاتـرُ الأعشـار العثمانيـة، واسـتغلال التطبيقـات الحاسـوبية الحديثـة فـي تكميـم وتحليـل الدّفاتـر إحصائيًّـا، وأبـرز الأدلـة العدديـة الـواردة فيهـا بحسـب النمـاذج الآتيـة.

٣. تكميمُ نماذج من دفاتـر أعشار حبـوب القمح والشعير:

علـى الرّغـم مـن حداثـة التاريـخ الكمـي، ومحاولـة بعـض المنظريـن لـه علـى الفـرز المعرفـي بيـن التاريـخ الكمـي والتاريـخ الجداولـي، والجـدل الجـاري فـي هـذا الشـأن[١٤]؛ إلّا أننـا نـدرك أن التاريـخ الكمّـي- أو الجداولـي- يعنـي فـي أوْسـع معانيـه دراسـة أيّ سلسـلة مـن الظواهـر التـي يمكـن قياسـها[١٥] مِـن خـلال المعالجـة الكميّـة والإحصائيـة، حتـى وإن كانـت هـذه الإحصائيـات التاريخيـة قائمـة علـى التّقديـر الظنـي، وتقديـرات الكتـاب والرحالـة[١٦] إلـى جانـب ذلـك فـإنّ تقديـرات دفاتـر الأعشـار العثمانيـة حظيـتْ بتوافـقِ المتداخليـن فيهـا مـن المزارعيـن والهيئـات تقديـر وضبـط المحاصيـل وشـيوخ القبائـل الذيـن كانـوا بمثابـة ممثّليـن للأهالـي لـدى السـلطة الإداريـة والضريبـة العثمانيـة فـي الولايـة، بحيـث لـم يسـجّل كثيـرٌ مـن الاعتـراض والرفـض لآليـات التقديـر ، بـل كان الاعتـراض فـي الغالـب لزمـن التقديـر، تحـت ضغـط خشـية السـلطات مـن التهـرّب مـن أداء العشـر بعـد جمْـع المحاصيـل، الأمـرُ الـذي جعلهـا تبكّـر بإرسـال هيئـات التخريـص قبيـلَ النضـوج لقطـع الطريـق علـى المتهرّبيـن، ولكـنّ هـذه العمليـة فيهـا مخاطـرُ كبيـرة علـى المزارعيـن فـي حالـة انحبـاس الأمطـار فـي آخـر الموْسـم الزراعـي، أو هبـوبِ الريـاح الجنوبيـة الحـارة (القبلـي) التـي تـؤدّي فـي الغالـب إلـى تلـف المحاصيـل، وفـي ذات الوقـت مطالبـة السـلطات الجبائيـة بمـا سـبق وأن قدرتـه وقيدتـه فـي دفاتـر الأعشـار.

وبتجـاوز كلّ تلـك العراقيـل والصعوبـات الفنيـة، والاتجـاه

(١٣) إفـادة مـن الأسـتاذ الدكتـور محمـد عمـر مـروان، رئيـس قسـم التاريـخ السـابق بجامعـة طرابلـس، وعضـو لجنـة جـرد وتصنيـف محتويـات دار المحفوظـات التاريخيـة بطرابلـس، بتاريـخ نوفمبـر ٢٠٠٦م.

(١٤) ميشيل فوفيل، التاريخ والأمد الطويل، مرجع سابق، ص١٦٨.

(١٥) جغـري باراكلـو، الاتجاهـات العامـة فـي الأبحـاث التاريخيـة، ترجمـة: صالـح أحمـد العلـي، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت، ١٩٨٤م، ص١٤٥-١٤٦.

(١٦) فرانسـوا دوس، التاريـخ المفتـت، مـن الحوليـات إلـى التاريـخ الجديـد ترجمـة: محمـد الطاهـر المنصـوري، المنظمـة العربيـة للترجمـة، ومركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيـروت، ٢٠٠٩م، ص٢٧٠-٢٧١.

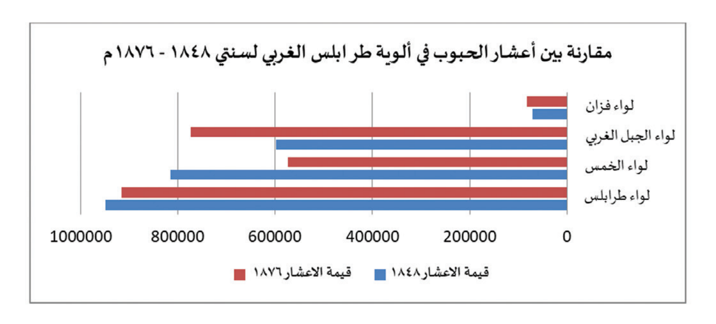
إلى محاولة التعاطي بإيجابية بحثيّة مع دفاتر الأعشار العثمانية في محاولةٍ للاقتراب من لغة الأرقام والإحصائيات والرسوم البيانية التي تسمح الدفاتر بتكوينها؛ فإنّنا قد نجابه بإشكالية أخرى، وهي الدفاتر التي يمكن توظيفُها كنماذجَ لهذه الدراسة.. ومرجعية هذا التّساؤل ترجع إلى تعدد المحاصيل الزراعية الخاضعة لهذه الضريبة، ابتداء بدفاتر عُشر حبوب القمح والشعير، مرورًا بدفاتر محصول الذرا الصفراء (القافولي) في الواحات الليبية الجنوبية، وأعشار حبوب الزيتون، وبلح النخيل، مرورًا بدفاتر عُشر التبغ (الدخان)، وعُشر سمن الأغنام المنتَج في الأرياف البدوية، وأعشار الإسفنج المستخرَج من البحر، وغيرها من المحاصيل التي أخضعت لهذه الضريبة التي تتعمّد السلطاتُ الإدارية والجبائية التمسكَ بوصفها بـ (العُشر الشرعي) بهدف إضفاء نوعٍ من المشروعية الدينية عليها، نظرًا إلى أنّ هذه الضريبة تستمدّ مشروعيتها من أصول فقهية[17]، قد يبعد ضريبة العشر عن عملياتِ التهرب الضريبي والاعتراض على تقديراتها وجبايتها.

تأسيسا على قاعدة أهميةِ المحاصيل الزراعية العشرية، يمكن عدّ دفاتر أعشار محصول حبوب القمح «الحنطة» والشعير أنموذجًا متميّزًا للدراسة، فهذه الحبوب تعدّ المحاصيل الرئيسية التي تقوم عليها الزراعة الليبية في مختلف أقاليمها، وارتباط إنتاجها بغذاء الناس، ومصدرًا جيدًا لإدرار العائدات الجبائية العينية والنقدية للسلطات الجبائية العثمانية، والمحصول الأكثر حضورًا في مختلف البيئات الليبية المترامية الأطراف، والمتباينة مناخيًّا، وهذا ما يجعلنا نحاول التعامل مع دفاتر محصول القمح والشعير في ولاية طرابلس الغرب كنماذج في التكمي والتحليل البياني والاحصائي.

تعدّد دفاترُ قيد وضبْط محصول القمح والشعير بحسب الوحدات الإدارية المقيد بها العُشر، وأنماط الزراعة المحلية وأثرها على كمّيات المحصول ومقارنة بعضها ببعض، حيث يتباينُ إنتاج أقاليم (ألوية أو سناجق)، ومقاطعات (أقضية) الولاية بحسب موقعها الجغرافي ووقوعها في النطاق المطري في السّهول الشمالية التي يمارس سكانها الزراعة البعلية الموسمية، لا سيّما في سهل الجفارة شمال غرب الولاية[18]، والنطاق الواحي الجنوبي في إقليم فزان، والذي تعتمد فيه الزراعة على الريّ الدائم بالغمْر من مياه العيون ومياه الآبار الجوفية[19]، وهذا التنوعُ في البيئات المحلية ترتّب عليه تباين في طرق إنتاج الحبوب والكميات المنتجة بحسب دفاتر الأعشارِ العثمانية، وقد نلمسُ هذه التباين من دفتر العائدات العشرية التي قدّرتها سلطاتُ الولاية بالقرش العثماني في سنتي ١٨٤٨- ١٨٧٦م.

الجدول رقم (١) مقارنة بين أعشار الحبوب في ألوية طرابلس الغربي لسنتي ١٨٤٨- ١٨٧٦م

البيان	قيمة الأعشار١٨٤٨ (١)	قيمة الأعشار١٨٧٦ (٢)
لواء طرابلس	٩٤٩٨٢١,٣	٩١٦٧٠٦,١٣
لواء الخمس	٨١٥٧٩٢,١٨	٥٧٣٣٤٥,٣٧
لواء الجبل الغربي	٥٩٧٨٤٤	٧٧٣٩٨٠,١٨
لواء فزان	٧٠٥٩٧,١٠	٨٢٣٧٦,٣٠



وهذا التكميمُ الجداولي، والتحليل البياني المقارن يحمل العديدَ من الدلالات الواضحةِ حول تباين الإنتاج بين الأقاليم (الألوية) المشكلة لولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني، ومناطق زراعة الحبوب الرئيسية، وأنّ التطور في كميات الأعشار بين سنتي ١٨٤٨م و ١٨٧٦م يرجع لأسبابٍ عدّة، أهمّها: إحْكام السلطات العثمانية قبضتها على مختلف مناطق الولاية، وسريانُ تطبيق التحديثات والتنظيمات العثمانية الجديدة التي كان لها آثارها الإيجابية على تحسين العائدات الجبائيّة عمومًا، والعائدات من ضريبة العُشر تحديدًا[20]،

(١٧) بشأن ضريبة العُشر ومرجعياتها الفقهية في الفقه الاسلامي ينظر: حمدان عبد المجيد الكبيسي، ضريبة العشور، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، السنة (١٦)، العدد(٤٣)، ١٩٩٠، ص ١٤٣-١٤٦.

(١٨) حسن محمد الجديدي، الزراعة المروية وأثرها على استنزاف المياه الجوفية في شمال غرب سهل الجفارة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ١٩٨٦م، ص ٢٨٦.

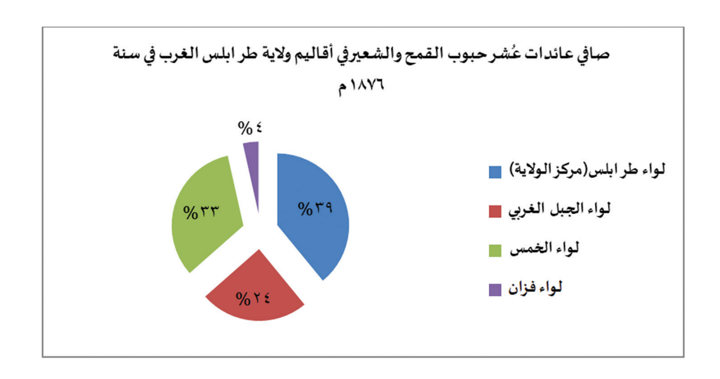
(١٩) جمال الدين الدناصوري، جغرافية فزان، دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، منشورات كلية الآداب بالجامعة الليبية، بنغازي، ودار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٦٧م، ص ٢٣٥.

(٢٠) مخلوف امحمد سلامة، الإصلاحات العثمانية وأثرها في ولاية طرابلس الغرب ١٨٤٢ – ١٩١١م، رسالة ماجستير غير منشورة، قدّمها إلى كلية الآداب بجامعة الزاوية في العام الجامعي ١٩٩٧-١٩٩٨م، ص ٨٨.

وتعدّد من الناحية الإحصائية أوجه قراءات هذا الجدول كاستخراج إجمال المحصول المقدر، ومقارنة هذه الكميات بأعدادِ السكان لمعرفة مدى الرخاءِ الاقتصادي لهم في هذه السنوات، لا سيّما وتعدّد المعلومات المقارنة التي توفّرها دفاتر الأعشار العثمانية في هذا المقام، ولعلّ من أبرزها تلك المقارناتِ التي تسمّيها محاسبة الولاية بـ (الموازنة)، التي يحدد من خلالها حجم الزيادة والنقصان في العائدات العشرية، وأسعار وحدة القياس الرائجة في الأسواق المحلية، ومنها ما يردُ في دفتر أعشار الولاية بعدَ التجميع النهائي حول الكميات، بحسب الجدول الآتي:

الجدول رقم (٢) ضريبة أعشار القمح والشعير في مختلف أقاليم طرابلس الغرب سنة ١٨٧٦م[٢١]

اللواء	صافي قيمة العُشر	سعر كيلة القمح	سعر كيلة الشعير
لواء طرابلس (مركز الولاية)	٩١٦٧٠٦,١٣ قرشًا	٣٤ قرشًا	١٥ قرشًا
لواء الجبل الغربي	٥٧٣٣٤٥,٣٧ قرشًا	مختلف	مختلف
لواء الخمس	٧٧٣٩٨٠,١٨ قرشًا	٣٣ – ٣٤ قرشًا	١٤ قرشًا
لواء فزان	٨٢٣٧٦,٣٠ قرشًا	٤٠ قرشًا	٢٤ قرشًا



ويوضّح الجدول النسَبَ التقديرية التي تجنيها الولايةُ من الأعشار في كلّ إقليم من أقاليم الولاية، والتي في مقدّمتها لواء طرابلس- مركز الولاية- بحسب قانون الولاية العثماني لسنة ١٨٦٤م، وهو اللواء الذي يمثل أغلبَ سكّانها، أمّا بشأن مسألة تثبيت (قطع سعر الكيلة الرّائج)، فكان من الأساليب الجبائية في الولاية للعُشر الذي يؤدّى بدلًا نقديًّا، وبحسب قانون العرض والطلب فإنّ تحديد السعر الرائج في الأسواق المحلية في وقت نضوجِ المحصول يعني انخفاضَ السّعر، فيما يرتفع السّعرُ في أشهر السنة اللاحقة، وبما يشكّل عامل ضغط على المزارعين يدفعُهم للسّداد في وقت التّعشير، قبل ارتفاع الأسعار والعجز على السداد، ويشير الجدولُ إلى ارتفاع أسعار القمح والشعير في الواحات الجنوبية الفزانية ومحدودية الإنتاج، نظرًا لما يتطلّبه الإنتاج في هذا المجال الصحراوي من كثافة في العمل الزراعي المساعد في سحب المياه من الآبار الجوفية، ويشير أحدُ الدفاتر إلى اشتراك أكثر من ثلاثة أو أربعة عمال زراعيّين، الذين يُعرَفون محليًّا بـ (الجبادين) إلى جانب صاحبِ الأرض في عملية الإنتاج.

وفي محاولةٍ للاقترابِ أكثرَ من العملية والدّورة الزراعية في الواحات الفزانية يمكننا محاولةُ تكميم وتحليل إحدى دفاتر أعشار فزان بغية الاقتراب أكثر من الواحات المنتجة في هذا المجال في دفتر أعشار سنة ١٨٧٢م، وهي سنةُ جفافٍ وجدْب في الأقاليم الساحلية الشمالية، وكانت معطياتُ الجدول على النحو الآتي:

الجدول رقم (٣) توزيع ضريبة أعشار القمح والشعير على مختلف الواحات الفزانية الرئيسة سنة ١٨٧٦م[٢٢]

الوحدة الإدارية	عشر الشعير بالكيلة	سعر الكيلة	عشر القمح بالكيلة	سعر الكيلة	إجمالي البدل المالي
قضاء سمنو	٣٤,١,١	٢٤ قرشًا	٩١	٤٠ قرشًا	٤٤٦٥
قضاء سبها	٥١,٢	٢٤ قرشًا	١٨١,٣	٤٠ قرشًا	٨٥٠٦
قضاء غدوة	٣,١,١	٢٤ قرشًا	١٧	٤٠ قرشًا	٧٦١
قضاء الوادي الشرقي	٤٧,١	٢٤ قرشًا	٣٧٤,١	٤٠ قرشًا	١٦١٠٤
قضاء الوادي الغربي	٣٠,٣	٢٤ قرشًا	٣٦٦	٤٠ قرشًا	١٥٣٧٨
قضاء وادي عتبة	٩,٢	٢٤ قرشًا	١٠٥,٣,١	٤٠ قرشًا	٤٤٦٣
قضاء الجفرة	٤٦,٠,١	٢٤ قرشًا	٢٠١	٤٠ قرشًا	٩١٤٧
قضاء الشرقية	٥٧	٢٤ قرشًا	٢٤٠,٢	٤٠ قرشًا	١٠٩٨٨
قضاء القطرون	٢٢,٣,١	٢٤ قرشًا	٢٤,٣	٤٠ قرشًا	١٥٣٩
قضاء الشاطئ	٤٦٨,٣	مختلف	٢٢٩٣,١	مختلف	١٨١٩٢,٣٠
مجموع عُشر لواء فزان	٧٢١,٢ كيلة		١٨٣٢ كيلة		٨٩٥٤٣,٣٠ قرشًا

(٢١) د.م.ت.ط. ملفات الضرائب، ملف رقم ١٣، وثيقة رقم ٥٢٢، دفتر حاصلات العشر الصافي في ولاية طرابلس الغرب لسنة ١٢٩٢ مالية ١٨٧٦م.

(٢٢) - د.م.ت.ط. ملفات الضرائب، ملف رقم ١٣، وثيقة رقم ٥٢٢، دفتر حاصلات العشر الصافي في ولاية طرابلس الغرب لسنة ١٢٩٢ مالية ١٨٧٦م.

ويلاحَظ من خلال هذه التقديرات ظاهرتًا محدودية العُشر المقدر ، وارتفاع أسعار كيلة القمح والشعير في واحات فزان، والذي يعودُ بالأساس إلى حجم الجهد الزراعي في عملية الإنتاج وسطَ الواحات التي تعتمدُ على الري بجرّ المياه من العيون والآبار الجوفية، مقارنة بالسّهول الساحلية الفسيحة التي تعتمد على مياه الأمطار ومواسم الخصب في إنتاج كميات كبيرةٍ من محصول القمح والشعير، مع الاستثناءِ الوحيد الممثّل في قضاء (الشاطئ) الواقع على الحواف الشمالية للواء فزان، ويتحرك سكانُه في مناطق الحمادة الحمراء التي تهطل عليها كمياتٌ من الأمطار الشتوية، وهذا ما يفسّر ارتفاع الأعشار المقدرة على أهالي الشاطئ مقارنة ببقيةِ واحات فزان التي لا تسقط عليها الأمطار.

وفي محاولةٍ لبناء سلسلةٍ رقمية اعتمادًا على دفاتر الأعشار في أحد أهم المناطق الزّراعية البعلية الكثيفة بالولاية، وهو قضاء الزاوية الغربية؛ أمكن الخروجُ بالجدول الآتي لثماني وعشرين سنة مختلفة من العهد العثماني الثاني، وكانت كالآتي:

الجدول رقم (٤) أعشار حبوب القمح والشعير المقيدة على قضاء الزاوية في سنوات مختلفة[23]

السنة	عُشر القمح	عُشر الشعير
١٨٤٩	٨٨٦	٣٨٢٣
١٨٥٣	٣٨٧	١٧٩٧
١٨٦٠	١٧٦٤	٣٥٨١
١٨٧٠	٤٣٠٧	٨٠٠٣
١٨٧٤	٣٠٠٦	١٠٤٢
١٨٧٥	٦٨٨٨	١٢٦١٩
١٨٧٩	٦٣	٦٧٦
١٨٨٠	٢٠٧٨	٣٩٦٦
١٨٨٢	٢٩٤٩	١١١٠٩
١٨٨٣	١١٤٢	٢٥٦١
١٨٨٤	١٠٧٢	٣٨٤٣
١٨٨٨	٩٤	٧٨٥
١٨٩١	٣٥٧	٥١٧٨
١٨٩٢	٦٥٤	٥٥٣٠
١٨٩٣	١٤٤٣	٤١٤٤
١٨٩٤	٩٢٨	٢٧٥٥
١٨٩٥	١٠٧٢	٣٨٤٣
١٨٩٦	٦٧٨	١٠١١
١٨٩٧	٧٨٥٢	١٨٧٢٣
١٨٩٨	١٠٦٠	٦٧٩٥
١٨٩٩	١٠٠٢	٣٤٧٨
١٩٠٠	٤٧٠	١٣٩٨
١٩٠٣	٢٧٩٢	١٢٢١١
١٩٠٤	٩٦	٥٥٩
١٩٠٥	٨٣٨	٣٢٧٤
١٩٠٦	١٦٦١	٥٣٠٦
١٩١٠	١٦٦١	١١٧٨٤
١٩١١	٤٤٧	٣٠٨٢

وعلى الرّغم من طول السّلسلة الزمنية فإنّنا لا يمكن التأسيسُ عليها إحصائيًّا في توقع إنتاج وعُشر بقيّة السنوات المفقودة في الدفاتر، ويرجع ذلك في الغالب إلى أن السنوات المفقودة في هذه السلسلة هي سنواتُ جدْب وقحط، ولم تجدِ السلطاتُ الجبائية محاصيل لتقديرها وتسجيلها في دفاتر الأعشار، حيث إنّه من الحقائق العلمية أنّ طبيعة الأمطار الشّتوية الساحلية في شمال الولاية تتّصف عمومًا بالتباين الكبير من سنةٍ لأخرى، سواء في كمّيات التساقط، أو في توزيعها على أشهر السنة الواحدة، وإنّ فقدان الأمطار في شهر مارس يعني فقدانَ المحاصيل الزراعية البعلية، حتى وإنْ كانت بقية الشهور وفيرة الأمطار، حيث يُعدّ شهر مارس قلبَ الموسم الزراعي، وهو الذي يقرّر في معظم السنوات نجاحَ المحصولات الزراعية البعلية أو فشلها[٢٤].

ويدعم هذا الطرح العديد من المصادر التاريخية التي تتحدّث عن سنوات الجفاف والقحْط الذي أصابَ الولاية بسبب انحباس الأمطار، بحيث لم يجنِ المزارعون أيّ محاصيل مثل سنوات (١٨٧٣ - ١٨٨١ - ١٩٠٨ -١٩٠٩م) [٢٥]، وتحدّثت بعضُ الدراسات الجغرافية عنْ دورية الجفاف المضطربة التي ليس لها قاعدة ثابتة الحدوث، لارتباطها بعوامل مناخية متعدّدة، وإنْ حاول البعض افتراضَ سنوات الخصب والجفاف في كلّ عقد من الزمان بحيث تعرف كلّ عشر سنوات أربع سنوات من الخصب وأربع سنوات متوسطة الأمطار وسنتين تنحبس فيها الأمطار تمامًا، ويتجلّى هذا الاضطراب المناخي بوضوحٍ في الخط البياني للعائدات

(٢٣) - د.م.ت.ط. دفاتر الأعشار العثمانية، دفاتر أعشار قضاء الزاوية الغربية الحارثين في الجفارة وسهل قطيس في السنوات المشار إليها.

(٢٤) عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩٥م، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢٥) منصور علي الشريف، الخوف والجوع والمقابر في مدينة طرابلس، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس، ٢٠٠٨م، ص ٩٦-٩٧.

العُشرية لمحصول الشعير الأكثر قدرة على الإنبات في مختلف الظّروف، والأقلّ احتياجًا للمياه، وهذا ما جعلَ الأهالي يفضّلون زراعة الشعير عن القمح نتيجة لجُملة المميزات التي تحيطُ بإنتاج الشعير[٢٦].

وعلى الجانب الآخر، فإنّ هذه الدفاتر يجمع بينها التوثيقُ للتّشكيلات الاجتماعية القبلية، والمدينية في مختلف البيئات الليبية، والتي يمكن استغلالُها في (التاريخ العائلي)، ورصد التحوّلات الاجتماعية ومستويات الحياة الاقتصادية للمجتمع الليبي في الفترة التي تغطّيها الدفاتر، وتزداد أهميتها في بناء معارفَ ممتدةٍ إذا علمنا بأنّ تغير السلط الحاكمة ومرجعيتها الدينية لم يسقطْ على الليبيين هذه الضريبة، حيث استمرّ الإيطاليون في جبايتها، ودولة الاستقلال ١٩٥١-١٩٦٩م استمرّت في جباية الأعشار الشرعية بذات الآليات التقديرية الظنية.

والخلاصة: إنّ هذه الدفاتر الجبائية تحوي معلوماتٍ غيرَ مباشرة «عرضيًّا» تعطي معلوماتٍ موثوقًا به عن البناء الاجتماعي للمجتمع الليبي خلال القرن التاسع عشر ، وكذلك الفئات الاجتماعية المتنفذة، وتلك التي تتمتّع بالإعفاءات الضريبية وأسباب هذه الإعفاءات، وغيرها، والتي يمكن من خلالها بناء جداول قيميّة وسلاسل زمنية، ومعالجتها بيانيًّا، وتوظيف التّطبيقات المعلوماتية الجديدة عليها، لا سيّما تطبيق (اكسل -EX CEL) الذي يقوم بتنفيذ العمليات الحسابية، وتحليل المعلومات وتمثيلها بيانيًّا في جداول ورسوم بيانية، الأمر الذي يتطلّب من الباحث التاريخي بناء قاعدةٍ متينة من المعارف والتطبيقات الحاسوبية المتطورة باستمرارٍ لتوظيفها في دراسة التاريخ الكمي، أو التاريخ الجداولي الجديد الذي لم يعرف الكثير من التطبيقات العملية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المحلي والوطني.

• • •

Footnotes

١ - د.م.ت.ط. دفاتر الأعشار العثمانية، دفتر أعشار ولاية طرابلس الغرب لسنة ١٨٤٨م

٢ - د.م.ت.ط. ملفات الضرائب، ملف رقم ١٢، وثيقة رقم ٥٢٢، دفتر حاصلات العشر الصافي في ولاية طرابلس الغرب لسنة ١٢٩٢ مالية ١٨٧٦م.

(٢٦) محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ص ١٨٠ – ١٨٣.

السّوشيال ميديا والمعرفةُ التاريخية

علاء عبد الحميد علي الباتع

ساهمتِ السوشيال ميديا- أو مواقع التّواصل الاجتماعي- في إثراءِ المعرفة، وجذب الكثيرين لاستخدامِها، حتّى أصبحت ذاتَ أهميةٍ كبيرة؛ بل والأسرع انْتشارًا حول العالم، كما كان- ومازال- لها دورٌ في الأمور السياسية، سواء كانت داخلَ البلد الواحد أو عدّة بلدان، اعتمدت عليها، وتعتمدُ عليها دولٌ ومؤسّسات ومنظماتٌ وشركات وهيئات حكومية وغير حكومية؛ فهي بسيطةُ التكلفة، وسريعة الانتشار، كما أنّها تحقق الهدفَ المطلوب، وكما تساهم السّوشيال ميديا في دعْم ونشرِ المعارفِ المختلفة، وتنظّم سبلَ الوصول إليها، وإلى مصادرها، وكيفية الحصولِ عليها؛ ساهمتْ في نقل المعرفةِ التاريخية إلى عددٍ كبير من فئاتِ المجتمع المصري والعربي؛ بل وحولَ العالم، فنجدُ مجموعات وصفحاتٍ متخصّصةً في تواريخ منطقةٍ بعينها؛ كتاريخ دولةٍ من الدول، أو سلالةٍ حاكمة، وهناك صفحات متخصّصة في تاريخ حِقبٍ تاريخية، أو حوادثَ تاريخية بعينها، وصفحات ومجموعات مقسّمة حسب التخصّص (التاريخ القديم)، (تاريخ اليونان والرومان) (التاريخ الوسيط)، (التاريخ الإسلامي) (التاريخ الحديث)، وغيرها من الصفحات العديدة. وكلّ شعبة من هذه الشّعَب لها فروعٌ نجدُ لها العديدَ من الصفحات والمجموعات، حتى أنّ الفترة التاريخية الواحدة يوجد لها أكثرُ من مجموعةٍ وصفحة، أو منصّة خاصّة لها.

كلّ هذا عمل نوعًا من الحِراك والتداولِ السريع للمعلومات بعدَ أنْ أصبح كلّ شيء رقميًّا، ولم يقتصرِ الأمرُ على المجموعات والصفحات؛ بل نجدُ إعلاناتٍ لمؤتمرات وندوات تناقش أحداثًا تاريخية، وهو ما جعلَ الحضورَ غير مقصورٍ على المتخصّصين؛ بل أصبح واسعًا يشملُ قطاعاتٍ مختلفة تريد أن تسمعَ وترى المعلومةَ التاريخية الموثّقة، أيضًا أدّى تداولُ المعلوماتِ والبيانات عن فترةٍ تاريخية محدّدة إلى سرعةِ جمْع ما يخصّها من مادة علمية متنوّعة، مِن مصادرَ ومراجع ووثائق في ظلّ هذا العالم الرّقمي والتقدم التكنولوجي، بل لا نبالغُ إذا قلنا إنّ المجموعاتِ والصفحات المختصّة بالمعرفة التاريخية، سواء كانت كتبًا أو صورًا أو وثائقَ أو «فيديو»... إلى آخره؛ ساهمتْ في تشكيل عقليةِ الكثير من الناس حول العالمِ في المعرفة التاريخية، هذا بخلاف التصفّحِ والبحث بصفةٍ عامّة في قواعد البيانات المُختلفة على الإنترنت.

كما أنّ تجمّعَ الدارسين والباحثين والمتخصّصين في فرعٍ من فروع التاريخ؛ سهّل لهم العملَ الجماعيّ والنّشر الإلكتروني، والحصول على المادّةِ العلمية حول موضوع يتمّ إثارتُه أو قيد البحث، أو في تنظيمِ المؤتمرات التي تخصّ موضوعًا أو قضيّة تاريخية، أو أيّ حدث تاريخيّ لدولةٍ ما في العالم.

وساهمتِ السوشيال ميديا- بدرجةٍ كبيرة- في خلقِ مناقشاتٍ علمية بين الطلاب والأساتذة، كما أنّها جعلت هناك تنافسًا بين الجميع- متخصّص وغير متخصص- في كتابةِ معلومة أو التصدّي لأخطاءٍ ناتجة عن الجهل أو العمْد، ومكّنت الكثيرَ من تأكيد صحّة معلومات، خاصّة وإنْ كان الحدثُ التاريخي قريبَ العهْد منّا.

وقد نجدُ بعضَ الفوائد التي عادتْ على المعرفةِ التاريخية من السّوشيال ميديا، وللقارئ الكريم كلّ الحريةِ فيما يجدُه من نتائج وفوائد، ولكنْ هذه بعضُ الفوائد التي تمّ رصدُها عن أثرِ السوشيال ميديا في المعرفة التاريخية:

١- قدّمت المادةَ التاريخية بكافّة فروعها في قالبٍ جديدٍ وسلسٍ للباحث وغير الباحث.

٢- لاقتْ قبولًا كبيرًا بين كافّةِ الفئات، وخاصّة بعد أنِ ازدادَ العالم الرّقمي قيمةً في كلّ فروع المعرفة، وفي كافّة تخصّصات العلوم.

٣- أصبحتْ وعاءً معرفيًّا يجمع المهتمّين والمتخصّصين والهواة، وهو ما مكّنهم من إنجازِ العديدِ من المشاريع العلمية في مجال المعرفة التاريخية، ونشرها.

٤- ساهمتْ في معرفةِ مجّانية للجميع بتاريخ البلد والعالم من حوله.

٥- سرعة الحصول على معلومةٍ في جانبٍ معين، بعدَ أنْ كان الأمر يتطلب الجهدَ والتعب، لكن اليوم كلٌّ المتخصّصين تجمَعُهم صفحة أو مجموعة، أو برنامج للتواصل لمناقشة أيّ قضية، وليست التاريخية فقط.

٦- جعلتْ هناك حِراكًا معرفيًّا للتّاريخ وجوانبِه المختلفة، من خلال الاطّلاع على كلّ ما يُنشر ويُكتَب، أو مصوّر عن أحداثٍ تاريخية، بل وتسابق بين المهتمّين للنشر.

٧- أصبحت أهمَّ وسائل الدّعاية، وأسهل الطرقِ لجذب الجميع في هذا الجانب التاريخي المهم، فكلّ أقسامِ التّاريخ بالجامعات اليوم لها إمّا صفحة أو مجموعة، وهو ما يسهّل الكثيرَ في حقلِ الدراسات التاريخية.

٨- أزالتِ الغموضَ عن الكثير من الأحداث التاريخية، خاصّة تلك التي تمّ تجسيدُها في أعمال تليفزيونية أو درامية.

٩- زوّدت المجتمعَ، بشكل أو بآخر، بمعرفةٍ تاريخية متفاوتة، كلٌّ حسبَ اهتمامه وتخصّصه.

١٠ - الاطّلاع على كلّ ما هو جديد في مجالِ التخصّص التاريخي؛ مؤتمرات، وندوات، مناقشات، معارض، إلى آخره.

١١ – تستخدَم كوسيلةٍ للتعريف بالتّاريخ القومي في المناسبات والأحداث المختلفة لكلّ البلدان حول العالم.

١٢ – تستخدمُها المؤسساتُ المعنيّة بالنشر والموادّ الوثائقية وغيرها؛ لبثّ ما يتمّ إنتاجه من موادّ حولَ قضايا تاريخية مختلفة، وبالتالي يصبح انتشارُها أوسع.

ليس هذا فحسب؛ بل هناك العديدُ من النتائج والأثرِ الذي تركته السوشيال ميديا في مجال المعرفة التاريخية، مثل تقديم الأحداثِ التاريخية بطريقة مبسّطة، وعبارة عن تصميمات مثل خرائط وبها معلومات، أو إنفوجرافيك حول حدثٍ تاريخي معين، وغير ذلك، كذلك أصبحت منصّةً للنّقد لما يُقدَّم من أعمالٍ تاريخية في الدّراما والسينما، وذلك من خلال النقد وإظهار الأخطاء التّاريخية للجمهور أو القراء، من خلال توفّر المصادر أو الآراء المختلفة حول الحدثِ أو الشّخصية التاريخي، وقد ساهمتْ بعضُ الصّفحات على مواقع السوشيال ميديا من معرفةِ الأحداث التاريخية الصّحيحة لبعض الشخصيات والحكّام، وذلك بعدَ أن ظلّت الحقائقُ مجهولةً بسبب عدم توفّر المعلومات، أو لقلّةِ ما يُنشر، أو لتبنّي وجهة نظر واحدة تخدم مصالحَ معينة، أو لأنّ التقدّمَ في العالم الرقمي لم يكنْ قد تطوّرَ بالشكل الذي نراه اليوم.

كذلك لا يمكن إغفالُ أنّ عملية التطورِ الرقمي والتكنولوجي قد أفادتْ في الحفاظ على المواد التّاريخية من كتبٍ ومخطوطات وصورٍ ووثائقَ، وغير ذلك من الموادّ التي تُشكّل، وتتكوّن منها، المعرفة التاريخية حولَ الأحداث وغيرها، فنجد كلّ الأرشيفات والمكتبات حول العالم أصبحتْ تقوم برقمنةِ ما تمتلكُه من تراث، حتى باتَ لدينا أرشيفات ومكتبات رقمية توازي الورقية أو المحفوظة في الأرشيفات والمكتبات. أيضًا تمّ اعتمادُ النشر الإلكتروني والرقمي، وبدأ يأخذ مكانًا كبيرًا جدًّا حول العالم، كما نجد اليومَ التنافسَ التّقني بين كلّ المؤسسات المعنيّة بالعلم والمعرفة والثقافة، حتى باتَ يُقاس نشاط تلك المؤسساتِ داخل المجتمعات بما تقدّمه من إتاحةٍ رقمية للموادّ المختلفة في المجالات والتخصصات المختلفة، وهذا بالطّبع أفادَ كافّةَ العلوم والمجالات، وليس التاريخ فقط.

• • •

الكتابةُ التّاريخية بيْنَ تطوّر المنهج وتأثيرِ التّقنية الحديثَة

الباحث
عبد اللطيف خالقي

أوّلًا: الكتابةِ التاريخية وتطورها عبر الأزمنة:

يندرجُ التاريخُ ضمنَ حقل العلوم الإنسانية لكوْنه يتناول الحادثة التاريخية باعتبارها ظاهرةً تحمل دلالة إنسانية، أي تدلّ على ما حدثَ للإنسان في الماضي، وتركَ أثرَه فيه، هذا وقد توسّع تفسيرُ التّاريخ واتّسعت آفاقه بتوسيع المعارف، وتنوّع الوثائق، إضافةً إلى تقدّمِ طرائق البحث والتنقيب، كما تنوّع المفسّرون للتاريخ، وذلك باختلافِ ثقافتهم وأفكارهم وأزمنتهم، فانعكسَ ذلك على طبيعةِ التّفسيرات وأنواعها، إذْ برزت مجالاتٌ لإثارة عدّةِ قضايا إبستمولوجية ترتبطُ بإمكانية قيامِ معرفةِ تاريخية علمية موضوعية، إضافة إلى قضايا متعددة[1]. فما هي المراحلُ التي مرّت منها الكتابةُ التاريخية؟ وكيف استطاع التاريخُ أن يخرجَ من إطاره الضيّق، ووصوله كعلمِ منهجيّ مرسّخ؟ وإذا كان التاريخ قد عرفَ إشعاعًا واضحًا خلال الفترة الحديثة، فما هو صدى المدارس الغربية الحديثة في تجديد مكوّناتِ الكتابة التاريخية موضوعًا وحقلًا ومنهجًا؟

بداية، فإنّ المرحلة الأولى من القراءةِ التاريخية كانت عبارة عن قراءةِ أسطورية، إذْ يلاحظ أنّه في ظلّ المرحلةِ المبكّرة من تاريخ التاريخ كانت الفعاليات التاريخية مِن صُنع الآلهة، حيث لم يكنْ للإنسان سوى دورِ المفْعول به، وفي ظلّ هاته المرحلة أكانت الشّفاهيةُ من بين الوسائل الضّرورية لنقل المعرفة التاريخية بكلّ ما تغْنيه الشّفاهيةُ من إعادة صياغةِ مستمرّة للخبر التاريخي بحيث يحمل مجموعةَ من التفسيرات عبر الأجيال[2].

هذا، ويمكن القولُ بأنّ تطورَ التاريخ كعلمِ منهجيّ مرسّخ، وتجاوزه سرد الحوادث للوقوفِ عليها، وتعليلها؛ جاء مع المؤرّخ الألمعي عبد الرحمن بن خلدون[3]. ولئنْ كان فضلُ المؤرّخين القدامى في أمانة النقل، وغزارة المادة التي صنّفوا منها كتبهم؛ فإنّ عبد الرحمن بن خلدون قد أضاف إلى ذلك فضلًا آخر متمثّلًا في تفريقِه ما بين التاريخِ وفلسفة التاريخ، وأيضًا تساؤله الدائر عن العلل والأسبابِ للحوادث والوقائع. ومن ناحية أخرى، وهي الموضّحة من خلال قوله: «إنّ التاريخ إنّما هو ذكرُ الأخبار الخاصّة بعصرِ أو جيل، فأمّا ذكرُ الأحوال العامّة الآفاق والأجيال والأعصاب، فهو أساسٌ للمؤرّخ تنبني عليه أكثرُ مقاصده، وتتباينُ به أخباره»[4].

وبعلمِه الجديد المسمّى بعلمِ العمران الذي يفتخرُ ابن خلدون ويعبّر عن فخره هذا بصريح العبارات، ويعتبر نفسَه مبتكرًا ومخترعًا في هذا التأليف، وبأنّه لم يكن مقلدًا أو مقتبسًا من أحد[5]. ليكون التاريخُ عند ابن خلدون هو سيرورة العمران البشري، كما تعتبر المعرفةُ التاريخية تدوينةً لهذه السيرورة، ويميز ابن خلدون بينَ ظاهر التاريخ وباطنه إذْ هو «في ظاهره لا يزيدُ عن أخبار الأيام والدول والسّوابق من القرون الأولى (...) وفي باطنه نظرٌ وتحقيق وتعليل بكيفيات الوقائع،

(1) خالد فؤاد طحطح، نظريات في فلسفة التاريخ، (تطوان: مطبعة الخليج العربي الطبعة الأولى ٢٠٠٧)، صفحة ٥.

(2) بيتر بوركي، نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، بيتر بوركي (محرر)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، (القاهرة: المرجو القومي للترجمة٢٠١٠) صفحة ٨.

(3) عبد المنعم عبد الرحمن خضر، المسلمون وكتابة التاريخ.. دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، فيرجينيا: المعهد العلمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣، صفحة 146.

(4) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون (مؤلف)، تحقيق وتعليق: (عبد الله محمد الدرويش)، الجزء الأول، (دمشق: دار يعرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٤)، صفحة ٣٤.

(5) ساطع الحصري أبو خلدون، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧، صفحة 136.

وأسبابها، عميق؛ فهو أصيلٌ في الحكمة عريق»[٦].

وإذا كان ابن خلدون قد سعى جاهدًا إلى وضْع منهجٍ وتصوّرٍ جديديْن للتاريخ في الحقبةِ الوسيطة، فإنّ التفسيراتِ الكبرى للتاريخ قد بدأتْ في الظهور مع القرن السّابع عشر، وتوسّعت خلالَ القرن الثامن عشر، والتاسع عشر، كما برزت بوضوحٍ أكثرَ خلال القرن العشرين حيث تطوّر علمُ التاريخ موضوعًا ومنهجًا، واتّسعت مجالاته، فظهرَ الاهتمامُ بالتاريخ الاقتصادي، والتاريخ الاجتماعي، وتاريخ الذّهنيات، وامتدّ ليشمل تاريخ الحضارات.

الذي لا شكّ فيه هو أنّ للألمان الفضلَ في تطور المعرفة التاريخية خلال الفترة الحديثة، حدثَ ذلك مع المؤرخ الشهير أبي التّاريخ المنهجي، ليبولد رانكه في النّصف الأوّل من القرن التاسع عشر، وقد كان رانكه- بدوْره- قد نهلَ منهجه من التّراكم المعرفي الذي خلّفه ممّن سبقوه مِن العلماء، وخاصّة فسلام فون هامبولد، ولودفيك شلوزير، ثمّ إنّ تناول الوثائق تناولًا نقديًّا، على النّحو الذي نادت به مدرسةُ رانكه؛ موروثٌ عن التّقاليد البروتستانتية في التعامل مع الماضي[٧].

يمكن القولُ إذًا بأنّ المدرسة الوثائقية قد تأثّر روّادها بالفلسفة الوضعية التي سادتْ في أوروبا، وقد دعا روّاد هاته الأخيرة إلى ضرورةِ اعتماد الوثيقة في كتابةِ التاريخ، فالتاريخُ يصنَع بالوثائق، ولا تاريخ بدون وثيقة[٨].

ومعَ مطلع القرن العشرين أصبحت المدرسةُ الوثائقية عرضةً للكثير من الانتقادات الشديدة من قِبَل جيلٍ جديد من المؤرّخين الشباب الفرنسيّين، أمثال لوسيان فيفر، ومارك بلوخ اللّذيْن نفَخَا روحًا جديدة على الدراسات التاريخية؛ حيث استغلّا مجلةَ التركيب التاريخي، وذلك لتوجيه انتقادات شديدة للكتابة التّاريخية التي تزعّمتها المدرسةُ الوضعانية[٩].

كما احتضنتِ المجلةُ صفحات مساهمات متعدّدة الاختصاصات دعتْ معظمُها إلى ضرورة تحطيم الحواجز بين علومِ الإنسان قصدَ الوصول إلى فهمٍ عميق للواقع الاجتماعي، إذ شكلت المجلة- حسبَ لوسيان فيفر- بؤرةً انبثقت منها طموحاتُ إنشاء مجلّةٍ جديدة تخدم المعرفة التّاريخية وتقدّمها، ألا وهي حولياتُ التاريخ الاقتصادي والاجتماعي[١٠]، ليكون بفضلِها التاريخُ قد انْفتح على العلوم، سواء الإنسانية أو الدقيقة، ممّا سيمكن المؤرّخينَ من التّزويد بأدواتِ بحثٍ جديدة جعلتهم يعيدونَ النظرَ في كثير من الوقائع التاريخية، ويطرحون أسئلةً جديدة لم تكنْ في مُتناول المشتغل بالتاريخ.

وقد زادَ من حدّة هذا الاحتكاك وانفتاح التاريخ ظهورُ ما يسمّى بالتاريخ الجديد، الذي أراد روّاده- وعلى رأسهم جاك لوغوف[١١]- أنْ يكون التاريخُ إبداعًا في مستوى الكتابة التاريخية في المُجمل، وذلك من خلال دراسةِ المتروك من المَصادر، والمتغيّر من الفئات الاجتماعية، محاربته للزمن القصير لينظر للتّاريخ من خلال الأمدِ الطويل، وأيضًا اعتماد النظرة الشمولية للتاريخ والكلية له، وأيضًا فقد تناول التاريخُ الجديد أساليب متعددة، سواء الرياضية والطبية والبيولوجية، والجغرافية والتاريخية[١٢]. الشيء الذي سيكون لهذا الحقل الإسطغرافي وباقي الحقول الأخرى تأثيرها الواضح في الرقعة العربية بعد النّصف الثّاني من القرن العشرين، إذْ سار على المنوال نفسِه مجموعةٌ من المؤرّخين بفضل تكوينهم في فرنسا.

ولم يقفْ تطوّرُ الكتابة التاريخية عندَ هذا الحدّ، بل تعدلها ليشمل حقلًا إسطغرافيًّا جديدًا عُرف باسم تاريخ الزّمن الراهن أو الحاضر[١٣]، حيث أنّ التاريخ لم يعدْ

(٦) محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، طبعة ٢٠٠٧)، صفحة 91.

(٧) محمد حبيذة، المدارس التاريخية برلين السوربون استراسبورغ من المنهج إلى التناهج، الرباط: منشورات دار الأمان، طبعة ٢٠١٨، صفحة 8.

(٨) عثمان حسن، منهج البحث التاريخي، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثامنة ٢٠٠٠)، صفحة 117.

(٩) فرنسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، مراجعة: جوزيف سليم، (بيروت: منشورات المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩)، صفحة 41.

(١٠) بيتر بوركي، نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، ترجمة وتقديم: قاسم عبده قاسم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠١٥)، صفحة 21.

(١١) المرجع نفسه، صفحة 22.

(١٢) التاريخ الجديد، جاك لوغوف (محرر)، ترجمة وتقديم: محمد الطاهر المنصوري، مراجعة: عبد الحميد هنية، (بيروت: منشورات مركز دراسات الوحده العربيه، الطبعة الأولى ٢٠٠٧)، صفحة 77.

(١٣) مع سنة ١٩٤٥ كتب المؤرخ الفرنسي مارك بلوخ كتابًا صغيرًا أسماه بالهزيمة الغربية، محاولًا من خلاله تفسير الأسباب العميقة للهزيمة الفرنسية في هاته السنة، وقد نجح من خلال دراسته هاته في تحويل التأمّل البسيط لما حدث إلى تفكير تاريخي، وهو الذي سيطلق عليه فيما بعد بالتاريخ الآتي أو الراهن، إذ يرى بلوخ من خلال دراسته أنّ هزيمة فرنسا إنّما هي في المقام الأول هزيمة للعقل الفرنسي...، انظر مارك بلوخ، ضمن كتابه: دفاعًا عن التاريخ أو مهنة

فقط ذلك التاريخ الذي يروَى، بل أصبحَ هذا الحاضر الباذخ الذي يتابعه الناسُ بعيون شاخصةٍ ومباشرة بكلّ تفاصيله وألوانه وأصواته، وحتى روائحه[14].

عمومًا، فقد كان لتطوّر التّاريخ عبرَ الحقب التاريخية صدًى وانعكاسٌ كبير، خصوصًا فيما يتعلّق بصناعة المؤرخ، ويمكن حصرُ هذا الانعكاس في عنصرين أساسيّين: أوّلها بروزُ تخصّصات ثنائيةِ المشارب كالديموغرافية التاريخية، والتاريخ الاقتصادي، ثمّ التاريخ الاجتماعي، يضاف إلى ذلك تبني المناهج والتّقنيات المستعمَلة في العلم الاجتماعي أو الاقتصادي أدّى إلى انبثاق مجموعة من التخصّصات كالذّهنيات والتصورات وتاريخ المؤسسات والمعتقدات، ونتيجة لهذا التحوّل سوف يعرف ميدان التاريخ تغيّرًا شاملًا يمكن تلمّس ملامحه في مستوياتٍ متعددة[15].

ومعَ ذكْر تمرحل تطوّر الكتابة التاريخية عبرَ الحقب التاريخية، لا بدّ من إبراز العواملِ التي ساهمتْ في ازْدهار الكتابةِ التاريخية العربية، والتي من خلالها أمكنَنا التعرفُ على خصوصية الفترة، ودورها في تطور الكتابة، بحيث يمكن إجمالُها في ما يلي:

أوّلًا: تاريخ الإسلام، إذ تتّسم هذه التاريخية بالكونية والعالمية، وبالغائية (أي أن التاريخ له بداية ونهاية)، حيث أنّ تاريخية الإسلام هي تاريخيةٌ استطاعت بسبب نزعتِها العالمية، ومنطقها الإنساني أنْ تُخرج القبائل من التاريخ المعزول والمنقطع عن الآخر إلى ما سمّي بالعالمية، ومن بين هاته العوامل نجدُ حاجات الدّول لتنظيمٍ فكريّ وعلمي وسياسي، وذلك هدفًا لتنظيم أحوال العامة، ووضْع ضوابط تمكّن الناسَ من مسايرة حياتهم على نحْو متقدم[16].

ويُضاف إلى ذلك عاملُ تأثير الدعوة الإسلامية داخلَ المجتمع والدولة، إذ ساهم هذا الأخيرُ في تشكّل العصبيّاتِ القبلية، والتي أضحتْ تفعل فعلَها داخل الأوساط، والملاحَظ أنّ كلًّا من هذه العصبيات سوف يطغى عليها عنصرُ الانشقاق، والذي اصطُبغ بتلوّناتٍ ثقافية مختلفة في مُجْملها استطاعت أن تؤثّر بشكل كبير في ظهورِ تواريخ الأنصار والمدن والأقاليم، وتواريخ الشعوب غير العربية. ومن جملةِ العوامل التي ساهمتْ في ازْدهار الكتابة، نجد حسبَ ما يذكر وجيه كوثراني نقلًا عن شاكر مصطفى..

قرار الخليفة عمر المتمثّل في وضع التقويم الهجري- وذلك للتسجيل والتدوين- هدفًا في ربط الأحداث بزمنٍ تاريخيّ مُتسلسل وممتدّ، أعطى بذلك للتّدوين دقّة في تحديد الواقعة[17]. وأيضًا دورُ الفعاليات الثقافية والمتمثّلة في الشعر واللغة والآداب «حيث شكّلت الرّوايات الشعرية والأدبية خبرًا تاريخيًّا، وجزءا من المادة التّاريخية التي أغنتِ الكتابة التّاريخية العربية»، كما كان للحركة الشعوبية[18] وافتخارُ بعض الشعوب غير العربية بثقافتها الخاصة دورٌ كبير في تطوير الكتابة التّاريخية، الشيء الذي سوف يؤدّي إلى إدراج هاته الثقافة ككتابةٍ تاريخية وترجمتها للعربية[19].

ومِن العوامل نجد ظهورَ الورق وشيوعَه على عكس بعضِ الطرق التقليدية (الجلد)، والتي كان العربُ يستعملونها كمادّةٍ للتدوين. تكون هذه هي أبرزَ العوامل التي أسهمتْ في تكوين الكتابةِ التّاريخية العربية خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، كما يبقى عاملُ دخول الإسلام والعاملُ القبلي المتمثل في التّشكيلات الاجتماعية هما اللذيْن ساهمَا في تجديد مكوّناتِ الكتابة التاريخية موضوعًا وحقلًا ومنهجًا[20].

فإذا كان التاريخُ قد عرفَ العديدَ من التحوّلات والتطورات المثيرة كما سبق أنْ أشرت في عدّة مراحل تاريخية، سواء في العهد الإسلامي حيث برزت الكتابة التّاريخية العربية، أو في العهد الحديث حيث بروز المدارس الأوروبية كمدرسة الحوليات الفرنسية، إلى جانب المدرسة الأمريكية؛ فإنّ اللافت للانتباه هو ما

المؤرخ، تقديم: جيرار نوارييل وجاك لوغوف، ترجمة وتقديم: أحمد الشيخ، منشورات المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية، الطبعة الأولى 2012، صفحة 27.

(١٤) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، (تونس: دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٢) صفحة ٠٧.

(١٥) محمد حبيذة، بؤس التاريخ، (الرباط: دار الأمان، الطبعة الأولى 2015)، صفحة 59.

(١٦) وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ اتجاهات مدارس مناهج، (بيروت: منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، يناير 2012)، صفحة 49.

(١٧) المرجع نفسه، صفحة 49.

(١٨) يطلق تعبير الشعوبية على مجمل التعابير الثقافية والأدبية والسياسية والتي حملتها نخب من شعوب غير عربية دخلت الإسلام فاصطدمت بالتمايزات التي اصطنعها الحكم الأموي للأرستقراطية العربية، فكان ذلك الاصطدام محفزًا للنّخب غير العربية، ولا سيما الفارسية منها بأنْ تفاخر بثقافتها وأدبها. أنظر وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، مرجع سابق، صفحة ٥٠.

(١٩) وجيه كوثراني، المرجع السابق، صفحة 52.

(٢٠) نفسه، صفحة ٥٢.

برز خلال العقديْن الأخيرين من ثورةٍ معلوماتية هائلة عكستها التقنيةُ الحديثة بما فيها الإنترنت وباقي التّقنيات الأخرى التي أضحى المؤرخُ من خلالها يمتصّ العديدَ من المعارف والمهارات اللازمة لتطوير بحوثه. وبما أنّ شبكة الإنترنت تعدّ إحدى واجهات العولمة التي أصبحتِ الظاهرة المهيمنة في عصرنا الراهن؛ فلا بأسَ أنْ نعطي نبذةً مختصرة عن دلالة هذا المفهوم.

ثانيًا: في دلالة العولمة:

يتّخذ مفهومُ العولمة العديدَ من التعريفات، فهي عندَ السياسيّين ورجال الإقتصاد تدلّ على هيمنةِ الولايات المتحدة الأمريكية، وهيمنة بورصة نيويورك، وعندَ المثقّفين تعبّر عن دخول البشر أجمعين في عالمِ الحاسوب والتواصل المستمرّ السريع، وعندَ مَن لا يرى بأسًا بكلّ ذلك، أنّها خطوة موفقة نحو توحيد صفوفِ الإنسانية، وعند مَن يرى السلبيات قبل الإيجابيات، أنّها كارثةٌ تهدّد الهوية القومية والأصالة وفوائد الاختلاف.

كما ينظر البعضُ للعولمة على أنّها قوةٌ قائمة الذات مطويّة على الخير كلّه، ممّا يحمل البعض الآخر النظرَ إليها وكأنّها أخطبوط مستترٌ، لا سبيل لضحاياه وطرائده إلى الإفلاتِ من أياديه الشرسة، ومن كلّ ذلك يمكن القول بأنّ العولمة عبارة عن تيارٍ تاريخي يرمي إلى ربْط أطراف المعمور بما لم يسبقْ له نظير من الرّوابط الوثقى[٢١]. كما يمكن تعريفُ العولمة بأنّها ثالثُ مراحل الإمبريالية، وهي مرحلةُ تركّز الهيمنة الأمريكية الساحقة على العالم منذُ انهيار الاتحاد السوفياتي الشّيوعي ١٩٩١، كما تمثّل ثورةُ المعلومات والاتصالات عمادَ هذه الهيمنة[٢٢].

على أنّ العولمة، وإن لم تظهر قبل عقدٍ من الزمن كمصطلحٍ في الأدبيات السياسية والاقتصادية والثقافية، فإنّها ظاهرةٌ قديمة يمكن إرجاعُ جذورها حسبما يقرّره روبرستون إلى فترةِ ظهور الدولة. كما أنّه يوجد فرقٌ بين العالمية التي دعا إليها الإسلامُ والقائمة على مبدأ الانفتاح وعدم الطغيان أو الاستعلاء؛ والعولمة التي تحاول الولاياتُ المتحدة الأمريكية طبخَ نظرياتها، وفرضها على الشّعوب، بما في ذلك شعوبُ بعض البلدان المصنعة[٢٣].

ثالثًا: التقنيةُ الحديثة وانعكاساتُها على تطور الكتابة التاريخية:

1. فضلُ الإنترنت على البحث العلمي، مدخل عام:

لقد تزايدَ حجمُ المعلومات العلمية والتكنولوجية منذُ النصف الثاني من القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين، وأصبحت تتضاعف كلّ مدّةٍ من الوقت، إذ أنّ هناك أكثرَ من مائة ألف مجلّةٍ علمية وتكنولوجية متخصّصة تنشر حوالي٦٠ لغة، كما أنّه يتضاعف عددُ هاته المجلات كلّ خمس عشرة سنة، وبالرّغم من ضيق التخصّص فقد صار مِن الصعب- إنْ لم يكن من المستحيل- على العالِم أو التكنولوجي أنْ يتابع قراءة كلّ ما يستجد في ميدان تخصّصه الضّيق[٢٤].

إضافة إلى ذلك، فإنّه طيلة العشرة آلاف سنة الماضية، أصبحت المعارف الإنسانيةُ تتضاعف كلّ سبع سنوات، فهنالك ستة إلى سبعة مليون مقالة علمية تصدرُ سنويًّا في أكثر من خمسين ألف مجلة متخصّصة بشبكة الإنترنت، فمثلًا نجد أنّ محرّكَ البحث «ياهو» يحتوي على ما يُناهز مليارَ وثيقة، وذلك بوتيرة وثيقة في كلّ ثانية، ولو أرادَ الفرد تعدادَها لتطلّب منه الأمر خمسين سنة أو أكثر، وهذا يوضّح حجمَ المعلومة التي يسهّلها الإنترنت والمعلوميات، ويوضّح النوعية، وكذلك السرعة (سرعة تداول المعلومات والمعارف)[٢٥]. ويضاف إلى ذلك أنّ هاته المعلومات أثبتتْ أنّ البحث العلمي لا يتمّ- فقط- في المختبرات والمعاهد المتخصّصة، لكنّه يتعدّاها ليطال اللغة والشعر والأدب والموسيقى والفنون التّشكيلية والمسرح وغيرها، ناهيك عن تكريسه للتنمية والتقدم والقيم، وغيرها[٢٦].

كما أنّ كلّ كشف علمي، وكلّ جديدٍ في هذه المجلات العلمية له أثرٌ وانعكاس على المجتمع وحياةِ الإنسان، فكثيرًا ما بقيت كشوفٌ علمية مجرد

---

(٢١) إبراهيم بوطالب، الذاكرة والتاريخ، مجلة البحث التاريخي، العدد الأول، ٢٠٠٣، صفحة ٢٢.

(٢٢) الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر) الطبعة الأولى ٢٠١٣، صفحة ٢٢٢.

(٢٣) إبراهيم القادري بوتشيش، مستقبل الكتابة التاريخية في عصر العولمة والإنترنت، الدار البيضاء، منشورات الزمن، طبعة ٢٠٠٠، صفحة ١٥-١٦.

(٢٤) زهير الكرمي، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، (ضمن سلسلة عالم المعرفة العدد الخامس، مايو ١٩٧٨) صفحة 240.

(٢٥) المهدي المنجرة، عولمة العولمة من أجل التنوع الحضاري، الرباط: منشورات الزمن، الطبعة الثانية ٢٠١١، صفحة 40.

(٢٦) نفسه، صفحة 41.

معلومات نظرية في الكتب وتجاربَ مخبريّة بين العلماء مدّة طويلة من الزمن، أمّا اليوم فقد قصرتِ المدّةُ التي تنقضي في حدوثِ الكشف العلمي، وتنفيذه تطبيقيًّا وتكنولوجيًّا إلى حدّ كبير، فإنّ العلم والتكنولوجيا بالمقابل قدّمَا للإنسان عونًا كبيرًا في مجال متابعةِ انْفجار المعلومات، وذلك بحفظِ هذه المعلومات واسترجاعها [٢٧]. والمثيرُ هنا هو أنّنا نجد عقلًا حاسبًا إلكترونيًّا يستطيع أن ينجزَ في ساعة من الزمن ما لا يستطيع عددٌ من العلماء إنجازَه في سنةِ عملٍ متواصلة، ويضاف إلى ذلك أنْ مكّنت هاته العقولُ الحاسبة الإلكترونية العلماء وغيرَهم من متابعة مواضيع بعينها في ميدانِ بحثهم، واختصاصهم، دونَ حاجةٍ لقراءةِ مئات الصفحات من المقالات والأبحاث المنشورة في دورياتٍ ومجلّات علمية[٢٨].

٢. صدى التّقنيةِ الحديثة على الكتابةِ التاريخية:

إنّ تطورَ البشرية يحتّم على الباحث في العلوم الاجتماعية أنْ يستغلّ التكنولوجيا لأغراضٍ عملية تطبيقية، يستعينُ بها في عمله لإكمال قواه وقدراته، وأيضًا تلبية تلك الحاجات التي تظهرُ في إطار ظروفه الاجتماعية ومرحلتِه التاريخية الخاصّة[٢٩]، حيث إنّ المؤرخ يعدو كوْنه جزءا لا يتجزأ من هاته المنظومة، ذلك أنّ أبحاثه مقرونة بما باتَ يشهده العالم من موجةِ تغيّر كبيرة. كما أنّ الدعوة إلى الاهتمام واستيعاب التّقنية الحديثة ليست وليدةَ الفترة، كما أنّها لا تقتصر على المؤرّخين؛ بل نجد العديدَ من الباحثين قد ألحّوا على ذلك سابقًا، دليلنا على ذلك ما دعَا له إبراهيم متفرقة[٣٠] في كتابه المُعنون بـ «نظام الأمم» والذي صدر سنة ١٧٣١، هذا الكتابُ الذي يعدّ دراسةً فريدة، ومحاولةً نظرية تتناول موضوع التقدّم، كما دعَا المؤلّف من خلال كتابه هذا لضرورةِ الاستفادة من علوم أوروبا، وإلى استيعاب التقنية الحديثة، والانفتاح على الأساليب الحديثة[٣١].

كما أنّ اهتمامَ بعض المؤرخين بتاريخ العلم كان من الطبيعي لأنْ يؤدّي إلى الالتفات إلى التكنولوجيا لدراسة تاريخِ تطوّرها من أجل التعرّف على التأثيرات التي تركتها في أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبخاصة منذ الثورة الصّناعية التي قامت على أساس عددٍ من التغيرات العلمية والتكنولوجية، وعلى الرّغم من أنّ المؤرخين لم ينتبهوا إلى أهميةِ دراسة هذا الفرع من فروع المعرفة التّاريخية إلّا مع أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين؛ فإنّ جهودهم قد تواصلتْ منذ هذا التاريخ لدراسة التكنولوجيا في العصور القديمة، وفي عصر الثّورة الصّناعية، وفي التاريخ المعاصر[٣٢].

الجديرُ بالذكر أنّ ثمّة علاقةً واضحة بين الشبكة المعلوماتية والبحث التاريخي، ذلك أنّ عملَ المؤرخ يرتكزُ بالأساس على المعلومة، أو ما يسمّى بالمادة التّاريخية التي تشكّل حجرَ الزاوية في بحثه، وهو نفسُ ما يقوم به الإنترنت الذي يهتمّ بالمعلومة كذلك. وتأسيسًا على هذا القاسم المشترك والمتكامل في نفس الوقت فإنّ وقْعَ الشبكة المعلوماتية العالمية يصبح قويًّا في حقل البحث التاريخي[٣٣].

لقد كوّن الحاسوب في الدراساتِ التاريخية ثورةً بمعنييْن، سواء إذا تعلق الأمر بمضاعفةِ القدرة الحسابية من جهة، وإدخال العديد في ميادين سوى الإنتاج المادي من جهة، ففي المعنى الأول كان طفرة، ولكنْ في اتّجاه معروفٍ منذ القرن الثامن عشر، بحيث لم يخلقْ أيّة مشكلة من الوجهة المعرفية، أمّا بالمعنى الثاني فبقدْر ما فتحتِ الثورة الحاسوبية آفاقًا واسعة للإبداع والابتكار بقدر ما طرحت مسائل منهجية ومعرفية عويصة[٣٤].

ومنذُ اعتماد شبكة الإنترنت كبنيةٍ أساسية تحتيّة

(٢٧) زهير الكرمي، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، المرجع السابق، صفحة 240.

(٢٨) المرجع نفسه، صفحة 241.

(٢٩) فؤاد زكرياء، التفكير العلمي، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد الثالث، مارس ١٩٧٨)، صفحة 134.

(٣٠) ولد إبراهيم متفرقة في كلوج، واسمه الأصلي واسم عائلته مازالا مجهولين، أمّا سنة ولادته فمن المرجح أنّها تقع ما بين عامي ١٦٧٠-١٦٧٤، وأمّا سنوات صباه الأولى فقد وقع أسيرا في يد القوات العثمانية في إحدى المعارك وبيع عبدًا، عمل متفرقة في خدمة السلطان في رتب متنوعة، كما كلّف بمهمّات دبلوماسية عدو، حيث أرسل إلى فيينا وأرسل إلى بلغراد، وأشتهر إبراهيم متفرقة بتأسيس أول مطبعة في العالم الإسلامي، وإدارتها حيث عمل فيها ناشرًا، ومنصفًا ومترجمًا ومؤلفًا، أهلته لذلك معرفته بعدة لغات أوروبية. انظر خالد زيادة، المسلمون والحداثة الأوروبية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الطبعة الأولى، نوفمبر ٢٠١٧.

(٣١) خالد زيادة، مرجع سابق، صفحة ١٤٠.

(٣٢) هاشم يحيى الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأهيلية والنقدية، (بيروت: دار الكتب العلمية، طبعة ١٩٧١)، صفحة 61-60.

(٣٣) ابراهيم القادري بوتشيش، مجلة أمل العدد صفحة ٥٧.

(٣٤) عبد الله العروي، مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥، صفحة ١٤١.

لمصادر المعلومات، أصبحت هذه الشبكة ميدانًا للباحثين والكتّاب والطلاب، ومن المستحيل أن تجد جامعة من الجامعات الغربية، والعربية على حدّ السواء، تخْلو من الحواسب المرتبطة بشبكة الإنترنت. بالتالي، أصبح جهازُ الحاسوب الذي تنتظم الشبكة بواسطته، أصبح اليوم الرئة التي يتنفّس بها المؤرخ، ولا يمكن على الإطلاق أن تتصوّر اليوم باحثًا في مجال التاريخ لا يمتلك جهازَ حاسوب، إذ بواسطته يمكن اختصار كثيرٍ من المراحل التي كانت تشكّل فيما مضى عبئًا عليه، يتمثل ذلك في ترتيب البيبلوغرافيا، وأيضًا إمكانية استخدام قرص الليزر (CD.ROM)، وذلك لتوثيق بعضِ المعلومات، أو استخدام بعض صور الفيديو منها، لتوظيفها في البحث التّاريخي[٣٥].

كذلك فالإنترنت قد أتاحَ للمؤرخ استخدامَ الجداول، ويوضّح عبد الله العروي بأنّ صناعة الجداول هي أساسُ الثورة الأسطغرافية؛ لأنّ الباحث في التاريخ إنِ اكتشفَ أنّ مادته ليست بالحدثِ الخام بقدْر ما هي مفهوم مكيّف مستخلص من الخبر، وحسبَ قوله؛ فإنّه أصبح من اللازم تكوينُ توثيق حديد، لكي يستطيع الباحثُ أن يستغلّ الحاسوب، فلا بدّ له من إعادة ترتيب وتنظيم الوثائق المحفوظة، تُقدم محفوظات لأنّها جاهزة للاستعمال الحاسوبية، وتؤخّر أخرى لأنّها تحتاج إلى تسوية وتنميط[٣٦].

ومِن بين الإيجابيات التي يوفّرها الإنترنت بالنسبة للمؤرخ، نجد أنّه يختزل إمكانيةَ زيارة الباحث لبعض المعالمِ الأثرية والمتاحف التاريخية، دون تعب أو تكبّد السفر، ودون تحمّل التكاليف الباهظة للقيام بهذه الرحلات، ويفضّل توفير المرجع الإلكتروني فإنّه بإمكان المؤرّخ أنْ يقرأ وهو جالسٌ في مكتبته الموسوعاتِ العلمية والثقافية مثل دائرة المعارف البريطانية، وغيرها[٣٧].

أيمكن القولُ بأنّه في بداية صناعة الحفريات كان همُّ الباحثين هو المحافظة على المواقع الأثرية، إذِ الحفر في غالب الأحيان يعني الإتلاف، فكان الأثريّون يلجئون إلى القياس والتصوير، وكانت النتائجُ بعيدة جدًّا عن المراد، أمّا الآن بعد اكتشاف الحاسوب الإلكتروني، وبواسطة قدرته الخيالية على تخزين المعلومات واستردادها؛ فيمكن الحفاظُ على حالة الموقع الأولى، وإنِ استخرج منه مليون معلومة، وأكثر[٣٨].

وبما أنّ المصادر التقليدية تُبدي أمورًا، وتُخفي أمورًا أخرى، فمثلًا لا تُبدي للقارئ العادي تغييرَ الأسماء والألقاب من العصر الأموي إلى الفاطمي والمغولي، ولكنْ عندما تفرغ كلّ المعلومة المضمّنة في مجموع المصادر المتوافرة في الحاسوب، فيبدو التطوّرُ واضحًا على جميع مراحله، وبكلّ تفاصيله[٣٩].

٣. الإنترنت وتاريخُ الزّمنِ الراهن:

نظرًا لوجود علاقةٍ وطيدة بين الشبكة المعلوماتية والبحث التاريخي، حيث أنّ عمل المؤرخ يرتكزُ بالأساس على المعلومة، أو ما يسمّى بالمادة التاريخية، وهو نفسُ ما تقوم به شبكةُ الإنترنت حيث تمثّل المعلومة القضية الجوهرية في اهتمامها، وبالتدريج أصبح المحيطُ الرقمي للعمل حقيقةً يومية في الممارسة التّاريخية، والحقّ أنّ ارتكاز المؤرخ للإنترنت والمصادر الرقمية لم يلقَ معارضةً في الأوساط الجامعية إذْ سلّم الجميعُ بأنْ لا شيء يمكن أن يوقف التقدمَ على التعبير المشهور[٤٠].

ويُتْحفنا المؤرخُ التونسي فتحي ليسير، وهو المتخصّص في تاريخ الزمن الراهن، بما يمكنُ لتكنولوجيا المعلومات على العموم، والإنترنت على وجه الخصوص، أنْ تقدّمه للمؤرخ المهتمّ بالحقبة الآنية، بحيث أنّ الإنترنت لا تكمن أهميتُه بالنسبة للباحث في التاريخِ القريب في تمْكينه من مادّةٍ مصدرية على هيئة مرقمنة، وفي منتهى السرعة؛ بل في تقديم مادّةٍ وثائقية جديدة وأصلية بالنسبة لبعض التّيمات والمواضيع، ويلخّص فتحي ليسير هاته التيمات في:

- المواقع الرسمية، سواء الوطنية والعالمية.
- إضافة إلى مواقع الصحف.
- مواقع المنظمات.
- ويضاف إلى ذلك أنْ ساهمت الشبكة العنكبوتية في ظهور محامل جديدة ذات تعبيراتِ فردية أو جماعية، باتَ من اللازم على

(٣٥) إبراهيم القادري بوتشيش البحث التاريخي و الإنترنت، مجلة أمل، العدد ٢١ طبعة ٢٠٠٠، صفحة 57.

(٣٦) عبد الله العروي، مرجع سابق، صفحة 142.

(٣٧) إبراهيم القادري بوتشيش، البحث التاريخي و الإنترنت، مرجع سابق صفحة ٦٠.

(٣٨) عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، مرجع سابق، صفحة ١٤٤.

(٣٩) نفسه، صفحة 145.

(٤٠) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، مرجع سابق صفحة 144.

مؤرخي التاريخ القريب من معرفتها، كالمواقع الشخصية والصفحات الشخصية، ومواقع الدردشة، والمدوّنات. وكلّ ذلك قد ساهمَ في دراسة شرائح عريضة من عمومِ الناس مع أمّهات قضايا الساعة، الشيء الذي لم يكنْ متاحًا من قبل على الأقلّ بمثل هذه الدّرجة من الشمول والتنوع والكثرة[41].

وإذا كانت التقنيةُ الحديثة أداةَ بحثٍ ضرورية للمؤرّخ كوْنها تسهّل وتختصرُ عليه المسافة، وتخفّف عنه الجهد، فيمكنُ اعتبارُها سلاحًا ذا حدّين؛ إذ أنّها تشكّل خطرًا على الباحث والمؤرّخ في مجموعةٍ من الأمور:

أوّلها أنّ مصادرَ المعرفة في نظام الإنترنت يظلّ حكْرًا على يد الشركات التّجارية الكبرى التي لا يهمّها سوى تحقيق الأرباح، فإنّ الشبكة المعلوماتية العالمية ما هي إلّا جزء لا يتجزّأ من نظام العولمة، وبما أنّ هذه الأخيرة لا تعرف الحدودَ الثقافية، ويُنظر من خلالها للعالم بأنّه قرية كونية، ويسعى إلى رؤية التاريخ بمنظارِ المجموعة الإنسانية بدل تاريخ الدول؛ فإنّ الشركات التي تخضع لتوجّهاته المعرفية تسعى إلى دمة هذه القضية، ممّا يؤدي إلى سلب خصوصية التّاريخ العربي الذي كما هو معروف تاريخُ قبائل ودولة أمّة لها خصوصياتها التاريخية.

إضافةً إلى ذلك فإنّ المعلومات الواردة في الشبكة المعلوماتية لا تقدّم بكيفية مخطّطة ومصمّمة كإيراد مقدّمة الموضوع الذي يتمّ البحث عنه وأقسامه وفصوله ومحتوياته، وإنّما يأتي حسبَ التساؤلات والاهتمامات التي يطرحها الباحث[42].

خلاصةُ القول، يتّضح ممّا سبق أنْ ذكرناه بأنّ تطور الكتابة التاريخية وانفتاحَها، واكتسابَ أدوات جديدة يستعين بها المؤرخُ لتعزيز أبحاثه، هو رهينٌ بما تقدّمه لنا التقنية الحديثة، بما فيها الشبكة العنكبوتية، وبالتالي فلا غنًى للمؤرّخ عنْ هاته التقنية التي أصبحتْ من الضروريات، إلّا أنّ المتفحّص لبعض جوانب هذه التقنيات يجد أنّها مُحاطة بمجموعةٍ من السّلبيات، والتي تجعل منها أداةً تُضعف من قيمة البحث، الشيء الذي يحتّم على المؤرخ أن يكونَ متّزنًا وواسعَ النّظرة قبل الشّروع في استعمال أيّ تقنية من تلك التقنيات.

---

(41) نفسه، صفحة 148-147.

(42) إبراهيم القادري بوتشيش، البحث التاريخ والإنترنت، مرجع سابق، صفحة ٦٣-64.

قائمةُ المراجع:

- بوطالب إبراهيم، الذاكرة والتاريخ، مجلة البحث التاريخي، العدد الأول، ٢٠٠٣.
- بيتر بوركي، نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، ترجمة وتقديم: قاسم عبده قاسم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠١٠).
- التاريخ الجديد، جاك لوغوف، (محرر)، ترجمة وتقديم: محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، (بيروت: منشورات مركز دراسات الوحده العربيه، الطبعة الأولى ٢٠٠٧).
- التيمومي الهادي، المدارس التاريخية الحديثة، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر)، الطبعة الأولى ٢٠١٣.
- حبيذة محمد، المدارس التاريخية برلين السوربون استراسبورغ من المنهج إلى التناهج، الرباط: منشورات دار الأمان، طبعة ٢٠١٨.
- خالد زيادة، المسلمون والحداثة الأوروبية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الطبعة الأولى، نوفمبر ٢٠١٧.
- خاليد فؤاد طحطح خاليد، نظريات في فلسفة التاريخ، (تطوان: مطبعة الخليج العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧).
- دوس فرانسوا، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، مراجعة جوزيف سليم، (بيروت: منشورات المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩.
- زكرياء فؤاد، التفكير العلمي، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد الثالث، مارس ١٩٧٨).
- زهير الكرمي، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، (ضمن سلسلة عالم المعرفة، العدد الخامس، مايو ١٩٧٨).
- ساطع الحصري أبو خلدون، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧.
- عابد الجابري محمد، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، طبعة ٢٠٠٧).
- عبد المنعم عبد الرحمن خضر، المسلمون وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، فيرجينيا: المعهد العلمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- عثمان حسن، منهج البحث التاريخي، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثامنة ٢٠٠٠)..
- العروي عبد الله، مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥.
- فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، (تونس: دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٢).
- القادري بوتشيش إبراهيم، البحث التاريخي والإنترنت، مجلة أمل، العدد ٢١ طبعة ٢٠٠٠.
- القادري بوتشيش إبراهيم، مستقبل الكتابة التاريخية في عصر العولمة والإنترنت، الدار البيضاء، منشورات الزمن، طبعة ٢٠٠٠.
- كوثراني وجيه، تاريخ التاريخ اتجاهات مدارس مناهج، (بيروت: منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، يناير ٢٠١٢).
- مارك بلوخ، ضمن كتابه: دفاعًا عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، تقديم: جيرار نوارييل وجاك لوغوف، ترجمة وتقديم: أحمد الشيخ، منشورات المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية، الطبعة الأولى ٢٠١٢.
- محمد حبيذة، بؤس التاريخ، (الرباط: دار الأمان، الطبعة الأولى ٢٠١٥).
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون (مؤلف)، تحقيق وتعليق: (عبد الله محمد الدرويش)، الجزء الأول، (دمشق: دار يعرب الطبعة الأولى ٢٠٠٤).
- المهدي المنجرة، عولمة العولمة من أجل التنوع الحضاري، الرباط: منشورات الزمن، الطبعة الثانية ٢٠١١.
- يحيى الملاح هاشم، المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأهيلية والنقدية، (بيروت: دار الكتب العلمية، طبعة ١٩٧١).

• • •

المكتبةُ التّاريخية الإلكترونية الجامعة

سبيلٌ للارْتقاء الإلكتروني بمجالِ الدّراسات التاريخية

(دراسة تصوريّة)



ماجد هاشم كيلاني

باحث دكتوراه كلية الحقوق

جامعة مدينة السادات - مصر

تكمنُ أهميةُ دراسة التّاريخ القصوى في الاستفادة من إسهامات التجارب المجتمعية السابقة، وتفادي مثالبها في الحاضر والمستقبل، فعلمُ التاريخ هو الذي يضمنُ لنا:

١) كشف الماضي بما به من مزايا وعيوب، وبما يُظهر الهوية والتراث الإنساني في مجتمعٍ ما بعينه في عصرٍ معين.

٢) استقراء الحاضر، وتقييم ما به من ظواهر من خلال مقارنتها بالماضي.

٣) التنبّؤ بالمستقبل لرسم سياساتِه الإصلاحية التنموية الشاملة لكلّ جوانب المجتمع، فمن خلال علمِ التاريخ تحافظ الأمةُ الواحدة على ملامحها وهويتها وتراثها الحضاري، وتضمن سلامة واقعها، وتؤمّن دروب مستقبلها[١] .

ولا يخفى على أحدٍ ما حقّقته وسائلُ الاتّصال الرقمية الحديثة من سهولة وسرعة تبادل المعلومات والوثائق والمستندات والكتب والمصادر التاريخية، ممّا ساهم في إثراء الحياة العلمية التاريخية[٢]، ويمكن الارتقاء بتلك الناحية من خلال تبنّي فكرة «المكتبة التاريخية الإلكترونية الجامعة»، وهي عبارة عنْ موقعٍ علميّ ضخم يحتوي على آلاف الكتب والمجلدات والمراجع والمصادر والوثائق التاريخية من خلال رفع هذه الكتب عليه مباشرة، أو الإشارة إلى لينكات وبيانات تلك الكتب من خلال اللينك المخصّص للكتاب عبرَ الموقع نفسه، يعني ذلك أنّ هذه المكتبة تمثّل منتدى تاريخيًّا ضخمًا أشبه بالمنتديات العربية الضخمة المتخصصة في الموادّ العلمية والإلكترونية والصحفية، مثل منتديات Shahedg MY Egy وفتكات وغيرها.

ولأجل إنشاءِ هذه المكتبة، وتحقيق أرباح منها عن طريق إعلانات موقع جوجل، أو نسب المشاهدات المرتفعة على موقع يوتيوب[٣]، يمكننا تبني الخطوات الآتية:

---

(١) محمود سلام زناتي- تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية في مصر- دار النسر الذهبي- القاهرة- ١٩٩٥م- ص ٣ ومابعدها و٥ وما بعدها و٢٢٣ وما بعدها، وهاشم عبود الموسري- العمارة وحلقات تطورها عبر التاريخ القديم- ط١- دار دجلة للنشر والتوزيع- الأردن- ٢٠١١ م- ص ١٨ وما بعدها، وعبد العليم عبد الرحمن خضر- المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فيرجينا/ الولايات المتحدة الأمريكية - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م- ص ٦٢ وما بعدها، ونادية محمود مصطفى وآخرون- العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي: الجزء السابع- مدخل منهاجي لدراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي- ط ١- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فيرجينا/ الولايات المتحدة الأمريكية- ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م- ص ٥٤ وما بعدها، ومحمود يوسف السماسيري- فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- القاهرة- ٢٠٠٨ م- ص ٢٠٧ ومابعدها، وعبد الرحمن زكي- التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير- دار المعارف- القاهرة- ١٩٥٠ م- ص ٣ وما بعدها و٥ وما بعدها، ومحمود محمد خلف- بحوث تاريخية في التاريخ والحضارة الإسلامية- دار التعليم الجامعي- الإسكندرية- ٢٠٢٠ م- ص٧ وما بعدها، ونواف بن صالح الحليسي- المنهج الإقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف- عليه السلام- بدون ناشر- ١٩٩٠ م- ص ٢٥ و٥٠ ومابعدها و٥٥ ومابعدها.

(٢) الاتجاهات العالمية في حرية التعبير وتنمية وسائل الإعلام: تركيز خاص على الوسائل الرقمية في عام ٢٠١٥ م- منشورات اليونسكو- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة- باريس- ٢٠١٥م- ص ١٢٢ وما بعدها، ومجد هاشم الهاشمي- تكنولوجيا الاتصال التربوي- دار المناهج للنشر والتوزيع- عمان- ٢٠٠٧ م- ص ٩٤ وما بعدها، وعبد الناصر جرادات- مقدمة في العلاقات العامة- دار اليازوري العلمية- الأردن- ٢٠١٩ م- ص ١٠٠ وما بعدها، وشروق سامي فوزي- التأثيرات الإعلامية على جمهور المستقبلين- مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع- ط١- القاهرة- ٢٠١٥ م- ص ٥ وما بعدها، وعبد الرزاق الديلمي- نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين- دار اليازوري العلمية- الأردن- ٢٠١٦ م- ص ١٣٩ وما بعدها، وحيدر شاكر البرزنجي ومحمود حسن جمعة- تكنولوجيا ونظم المعلومات في المنظمات المعاصرة منظور إداري- تكنولوجي- بدون ناشر- ٢٠١٤ م - ص ٥ وما بعدها. و٢٠٣ ومابعدها، وحيدر شاكر نوري ومحمود حسن جمعة- دراسات في أثر المعرفة وتكنولوجيا المعلومات في المنظمات- بدون ناشر- ٢٠١٥ م - ص ٤٠.

(٣) فريد ديفيد - الإدارة الإستراتيجية: مفاهيم وحالات- ج ٢: حالات الإدارة الإستراتيجية- ترجمة: منصور الطاهر محمد خير- دار حميثرا للنشر والترجمة- القاهرة- ٢٠١٧ م- ص ٨٨٥ وما بعدها، وفتحي حسين عامر- الصحافة الإلكترونية: الحاضر والمستقبل- دار العربي للنشر والتوزيع- القاهرة- ٢٠١٨ م- ص ١٢٩، وفتحي حسين عامر- صحافة الفيديو: تقنياتها وإشكالياتها- دار العربي للنشر والتوزيع- القاهرة- ٢٠٢٠ م- ص ١٣٢ وما بعدها، وناصر محمد الزمل- رقميون غيروا حياتنا- ط١- مكتبة العبيكان- الرياض- ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م- ص ٣٦ ومابعدها، وبول ليفنسون- أحدث وسائل الإعلام الجديدة- ط١- ترجمة / هبة ربيع- دار

* تحديث بيانات الكُتب من وقتٍ إلى آخر بما يضمن حُسنَ ترتيبها وتنظيمها، ويمكن تقسيم المكتبة التاريخية بحسب الحقبة التاريخية كأنْ يكتب مثلًا: قسم التاريخ الروماني، التاريخ العثماني، التاريخ الفرعوني، وبحسب الحيز المكاني كأنْ يُذكر مثلًا: تاريخ مصر القديم والوسيط والحديث، وتاريخ الصين القديم والوسيط والحديث، وتاريخ إيران، وتاريخ المغرب... وهكذا .

* رفع المزيدِ من الكتب والوثائق التاريخية عليها بعدَ تحويلها من مصادر ورقية إلى مصادر إلكترونية، وذلك من خلال تصويرها تصويرًا واضحًا، أو إعادة نسخ ما بها من محتوى، ثمّ تحويل هذا المحتوى إلى صيَغ مستندات إلكترونية مُتاحة للكافة، ومعترف بها دوليًّا، مثل صيغ:

Word office و PDF وE-pub وPower point .

* إدراج الكتبِ والأبحاث الموجودة داخلَ المكتبات التاريخية ضمن قواعد المعلومات في أكثرَ من موقع علمي أكاديمي، مثل: دار المنظومة Mandumah وموقع بنك المعرفة المصري EKB وموقع منظمة اليونسيفUnicef وموقع Google scholar .

* الإشارة إلى المكتبةِ التاريخية من خلال المواقع العلمية والمجتمعية والبحثية الشهيرة، مثل: مواقع منظمة اليونسيفUnicef وموقع ويبيكيدياWiki ومواقع الجامعات والمعاهد والمدارس العلمية.

* إنشاء تطبيقٍ للمكتبات التاريخية الإلكترونية صغير الحجم، بسيط التصميم، يقبل العمل على جميع أنظمة الهواتف المحمولة، بما يُمكّن القارئ أو الباحث من الاطّلاع على الوثائق والمصادر التاريخية بسهولة وبسرعة من خلال هاتفه الشخصي.

* نسخ محتوى الكتب التاريخية على موقع وتطبيق المكتبة التاريخية، حيث يمكن نشر محتوى الكتاب في أكثرَ من صفحة عبْر الموقع، مع فتح مجالٍ للبحث في كلّ الكتب الموجودة بالموقع، بما يُمَكّن الباحث من البحثِ عن مجموعة كلمات داخل المكتبة الواحدة، ومن ثمّ تظهرُ له المكتبة كلّ ما يتعلق بالكلمات محلّ البحث من كتبٍ ومراجع ومصادر، ممّا يمكّنه من تحريرِ الأبحاث العلمية، والتحقّق من أيّة معلومة تاريخية بسهولة ويُسْر.

* إنشاء قاعدةِ بيانات للمجلات التاريخية، سواء أكانت تلك المجلات علمية محكمة أو اجتماعية غير محكّمة، داخل موقع المكتبة التاريخية، بحيث تستقبل تلك القاعدة مقالات ودراسات الباحثين العلمية في المجال التاريخي، وتقوم بنشرها في مجلّةٍ علمية محكمة، ثمّ رفعها على أكثر من منصّةٍ إلكترونية ضمانًا لإبراز جهدِ وشخص الباحث، وضمان استفادة الباحثين من البحث، وذلك كلّه من خلال موقع المكتبة التاريخية الإلكترونية.

* إنشاء قناةٍ خاصّة بالمكتبة التاريخية على موقع يوتيوب، مع استضافة كبار المؤرخين في تلك القناة من خلال برامج ومواقع البثّ المباشر، والاستعانة بالسادة الباحثين وأعضاء هيئات التّدريس في تحرير وإنشاء محتوى علميّ تاريخي في صورة فيلم وثائقي أو فيلم تسجيلي قصير ومكثّف وبسيط، بحيث يشرح كلُّ باحث جزءا من محور معيّن بالنسبة للوثائقي التّاريخي، ويمكن- أيضًا- الاستعانة بممثلين ليقوموا بعمل مشاهدَ تاريخية تمثيلية، مع الأخذ في الاعتبار أنّ عنوان الفيديو لا بدّ وأنْ يكون جذّابًا ومُصاغًا في صورةِ سؤال بحثي شيّق حتّى يستهدف أكبرَ قدرٍ من الجمهور، كأن يُكتب مثلًا:

(نساء شغلن بال الملك فاروق الأول)

(الحاكم بأمر الله.. حاكم ظالم أم مفترى عليه؟)

(كيف قتل النمل الأحمر «مصطفى كمال أتاتورك»؟)

وفي الوقت نفسه يؤصّل الفيديو بالوثائق والمراجع والصور والخرائط والكتب العلمية اللازمة، ويُستعان بباحثين يمثّلون رأييْن تاريخيّين، رأي مُعارض، ورأي موافق لقضية تاريخية معينة أو تصرّفات شخصٍ معيّن، ويعرض كلّ طرفٍ ما لديه من أدلّة وحقائق علمية تدعم رأيه، كأنْ يختلف الطرفان حول مسألة:

(هل صُلب المسيح صُلبًا حقًّا أم لا؟)

(الحجاج بن يوسف الثقفي كان سياسيًّا مجرمًا.. أم إداريًّا حازمًا؟)

ممّا يتيح تفاعلَ المتلقّي مع المحتوى التاريخي، وتأييده لأحد الرأييْن بحسب ما يقتنع، وهنا يلعب المتلقّي دورَ القاضي الذي يفحص أدلة الطرفين العلمية، وبالتالي يقتنع برأي أحدِ الطرفين، ويرفض الرأي الآخر؛ وفقًا لما تقدّم من أدلة تاريخية أو دينية داخل الفيديو الوثائقي التّاريخي الواحد.

* إنشاء مدوّنةِ خاصّة للمكتبة الإلكترونية على مواقع التواصل الاجتماعي، مثل مواقع Facebook و

الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة- ٢٠١٥ م- ص ٢٩٦ وما بعدها.

Tangoog Telegramg Watsappg Twitterg Blogger Tiktokg وغيرها، مع مراعاة تحرير مواعيد وملخّصات الأبحاث والندوات والمؤتمرات ومناقشات الرسائل العلمية في المجال التاريخي في صورة تغريدات أو بوستات مدعومة بصورة أو فيديو على تلك المدونة، مع ربط تلك المدونة بمجموعات وصفحات علمية وأكاديمية وبحثية وصحفية واجتماعية موجودة على وسائل التواصل الاجتماعي المُشار إليها، ممّا يساهم في التصدّي للمحتويات السيئة، ويقرّب المجتمع الافتراضي من العلوم التاريخية شيئًا فشيئًا.

* إنشاء منصّةٍ للمكتبة على مواقع الصوتيات، وذلك لتحرير المحاضرات الصوتية التاريخية، ورفعها على مواقع الصوتيات، مثل موقع Soundcloud ومواقع الشريط الإسلامي وإسلام ويب وغيرها، حيث تتيح المحاضرات الصوتية تمكين الأشخاص الذين يجدونَ صعوبة في القراءة أو مشاهدة الفيديوهات من المحتوى العلمي التاريخي عن طريق إدراكه بالسماع، فالشخص الكفيفُ مثلًا يعتمد على المادة المسموعة أكثر من المادة المقروءة بطريقةِ برايل؛ لأنّ المادة المسموعة هي الأيسر والأمتع والأكثر ألفة بالنسبة له[٤]، وكذلك الأشخاص العاملين في مهنٍ حركية مثل عامل البناء والسائق والطباخ وغيرهم ممّن يفضلون سماعَ المحاضرات عبرَ الهيدفون أثناء قيامهم بأعمالهم بدلًا من الجلوس أمام التلفاز.

(٤) أكرم محمد صبحي محمود- التربية الخاصة لغير الاختصاص- دار الجنان للنشر والتوزيع- عمان- ٢٠١٠ م - ص٥٣ وما بعدها، وفاطمة الزهراء محمد عبده- الإعاقة البصرية والتكنولوجيا المساعدة في المكتبات ومراكز المعلومات- ط١- دار العربي للنشر والتوزيع- القاهرة- ٢٠١٨ م- ص ١٨٢، ومحمد بن أحمد الفوزان وخالد بن ناهس الرقاص- أسس التربية الخاصة: الفئات- التشخيص، البرامج التربوية- مكتبة العبيكان- الرياض- ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م- ص ١٥٣، وعبد الفتاح عبد المجيد الشريف- التربية الخاصة وبرامجها العلاجية- مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة- ٢٠١٢ م- ص٣٣٣ وما بعدها.

قائمة المراجع والمصادر

الاتجاهات العالمية في حرية التعبير وتنمية وسائل الإعلام-: تركيز خاصّ على الوسائل الرقمية في عام ٢٠١٥ م- منشورات اليونسكو- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة- باريس- ٢٠١٥م.

أكرم محمد صبحي محمود- التربية الخاصة لغير الاختصاص- دار الجنان للنشر والتوزيع- عمان- ٢٠١٠م.

بول ليفنسون- أحدث وسائل الإعلام الجديدة- ط ١- ترجمة: هبة ربيع- دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة- ٢٠١٥م.

حيدر شاكر البرزنجي ومحمود حسن جمعة- تكنولوجيا ونظم المعلومات في المنظمات المعاصرة منظور إداري- تكنولوجي- بدون ناشر- ٢٠١٤م.

حيدر شاكر نوري ومحمود حسن جمعة- دراسات في أثر المعرفة وتكنولوجيا المعلومات في المنظمات- بدون ناشر- ٢٠١٥م.

شروق سامي فوزي- التأثيرات الإعلامية على جمهور المستقبلين- مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع- ط ١- القاهرة - ٢٠١٥م.

عبد الرحمن زكي- التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير- دار المعارف- القاهرة- ١٩٥٠م.

عبد الرزاق الديلمي- نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين- دار اليازوري العلمية- الأردن- ٢٠١٦م.

عبد العليم عبد الرحمن خضر- المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فيرجينا/ الولايات المتحدة الأمريكية- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

عبد الفتاح عبد المجيد الشريف- التربية الخاصة وبرامجها العلاجية- مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة- ٢٠١٢م.

عبد الناصر جرادات- مقدمة في العلاقات العامة- دار اليازوري العلمية- الأردن- ٢٠١٩م.

فاطمة الزهراء محمد عبده- الإعاقة البصرية والتكنولوجيا المساعدة في المكتبات ومراكز المعلومات- ط ١- دار العربي للنشر والتوزيع- القاهرة- ٢٠١٨م.

فتحي حسين عامر- الصحافة الإلكترونية: الحاضر

والمستقبل- دار العربي للنشر والتوزيع- القاهرة- ٢٠١٨م.

فتحي حسين عامر- صحافة الفيديو: تقنياتها وإشكالياتها- دار العربي للنشر والتوزيع- القاهرة- ٢٠٢٠م.

فريد ديفيد- الإدارة الإستراتيجية: مفاهيم وحالات- ج ٢- حالات الإدارة الإستراتيجية- ترجمة: منصور الطاهر محمد خير- دار حميثرا للنشر والترجمة- القاهرة- ٢٠١٧م.

مجد هاشم الهاشمي- تكنولوجيا الاتصال التربوي- دار المناهج للنشر والتوزيع- عمان- ٢٠٠٧م.

محمد بن أحمد الفوزان وخالد بن ناهس الرقاص- أسس التربية الخاصة: الفئات- التشخيص، البرامج التربوية- مكتبة العبيكان- الرياض- ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م.

محمود سلام زناتي- تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية في مصر- دار النسر الذهبي- القاهرة- ١٩٩٥م.

محمود محمد خلف- بحوث تاريخية في التاريخ والحضارة الإسلامية- دار التعليم الجامعي- الإسكندرية- ٢٠٢٠م.

محمود يوسف السماسيري- فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي- المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة- ٢٠٠٨ م

نادية محمود مصطفى وآخرون- العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي: الجزء السابع- مدخل منهاجي لدراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي- ط١- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فيرجينا / الولايات المتحدة الأمريكية - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م.

ناصر محمد الزمل- رقميون غيّروا حياتنا- ط١- مكتبة العبيكان- الرياض- ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م.

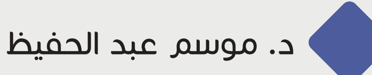
نواف بن صالح الحليسي- المنهج الإقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف- عليه السلام- بدون ناشر- ١٩٩٠م.

هاشم عبود الموسري- العمارة وحلقات تطورها عبر التاريخ القديم- ط ١- دار دجلة للنشر والتوزيع- الأردن- ٢٠١١م.

• • •

واقعُ استخدامِ التقنيات الحديثة في مجالِ النّشر الإلكتروني للمقالات التاريخية مِن خلال منصة المجلات العلمية الجزائرية (ASJP)

L’utilisation des technologies modernes dans le domaine de la publication électronique d’articles historiques à travers la plateforme des revues scientifiques algérienne (ASJP)


د. موسم عبد الحفيظ

جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة (الجزائر)

Abdelhafid.moussem@univ-saida.dz

الملخص:

تتناول هذه الدراسةُ واقعَ استخدام التقنيات الحديثة في مجال النشر الإلكتروني للدراسات والبحوث التاريخية، مِن خلال المنصةِ الجزائرية للمجلات العلمية، التابعة لمركز البحث في الإعلام العلمي والتقني. وهي تهدفُ إلى بناءِ خارطة طريقٍ لفائدة الباحثين في مجال التاريخ؛ من أجل تعريفهم بأهمّ التقنيات الحديثة المُعتمدة في نشْر مقالاتهم بالمجلات العلمية المتخصصة في التاريخ، عن طريق هذه المنصة العلمية المتميزة.

الكلمات المفتاحية:

النشر الإلكتروني، المقال التاريخي، منصة المجلات العلمية الجزائرية.

Le résumé:

Cette étude montre l’utilisation des technologies modernes dans le domaine de l’édition électronique des études et des recherches historiques، à travers la plateforme algérienne de revues scientifiques du Centre de recherche en médias scientifiques et techniques. Il vise à construire une feuille de route au profit des chercheurs dans le domaine de l’histoire، afin de les familiariser avec les techniques modernes les plus importantes adoptées dans la publication de leurs articles dans des revues scientifiques spécialisées en histoire، à travers cette plateforme scientifique exceptionnelle.

Les Mots clés: publication électronique، article historique، la plateforme des revues scientifiques algérienne.

مقدّمة:

لقد شهدتْ عملياتُ نشر البحوثِ والدراسات في المجلات العلمية المتخصصة تطوّرًا ملحوظًا في الجزائر خلالَ السنوات الأخيرة، وهذا في ظلّ الانفتاح الرقمي وتطوّر تقنيات التكنولوجيا الحديثة، التي أتاحتِ الفرصة أمامَ الباحثين في مختلف المؤسسات الجامعية الأكاديمية ومراكز البحث العلمي؛ لدعم التعاون والتبادل السريع للمعلومات والبيانات، وهو ما تجسّد ميدانيًا في تشييد منصة المجلات العلمية الجزائرية، التي يُشرف عليها مركزُ البحث في الإعلام العلمي والتقني التابع لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي؛ كبوّابةٍ رقمية لتسيير وتنظيم وإتاحة المجلات العلمية الإلكترونية، بما يُسهل على الباحثين عمليةَ النشر في مختلف المجلات بطريقة مجانية دون أي عوائق.

وقد احتوت منصةُ المجلات العلمية الجزائرية على فضاء واسع للمجلات العلمية المحكمة المتخصّصة في علم التاريخ، لتفتحَ بذلك آفاقًا جديدة للمؤرّخين في مجال النشر العلمي الإلكتروني كبديلٍ عن النشر التقليدي. ولأجل إثراء محاور هذه الندوة الدولية حول «علم التاريخ في ظل التقنية الحديثة» بالدّراسة والتحليل، ارتأينا المشاركةَ في فعالياتها العلمية بدراسة عنوانها: «واقع استخدام التّقنيات الحديثة في مجال النشر الإلكتروني للمقالات التاريخية من خلال منصة المجلات العلمية الجزائرية (ASJP)»، وهي تهدف إلى تسليط الضوءِ على دور هذه المنصة الإلكترونية، ومدى إسهامها في دعْم وتسهيل النشر العلمي للدراسات والمقالات المختصة في علم التاريخ، من خلال ما تُخصّصه عبر فضائها الإلكتروني الواسع؛ من مجلات ذات الاهتمام بالبحث التاريخي. محاولين

بذلك الإجابة على جملةٍ من التساؤلات المهمّة في هذا السياق، وهي كالتالي: ما هي أهمّ المجلات المهتمة بنشر المقالات والدراسات التاريخية عبر المنصة الجزائرية للمجلات العلمية؟ فيمَ تتمثل أهمّ الخطوات التّقنية لإعداد وإرسال المقالات للنشر في المجلات المهتمّة بالتاريخ عبر المنصة؟ كيف يمكن للباحثين متابعة وضعيّة مقالاتهم بعدَ إرسالها للنشر عبر المنصة؟

١- تحديدُ المفاهيم الأساسية المتعلقة بالدراسة:

١-١- النشر الإلكتروني: يعني استخدامَ الأجهزة الإلكترونية في مختلف مجالات الإنتاج أو الإدارة أو التوزيع المعلوماتي على المستفيدين، ويختلف عن النّشر التقليدي في عدم اعتماده على طباعة المادة أو المعلومات المنشورة على الورق بغرض توزيعها، بل تُوزع على شكل وسائط ممغنطة كالأقراص المُلَيزرة، أو من خلال شبكة الإنترنت؛ عن طريق تطبيقات حاسوبية تعتمد على الدقة في تخزين واسترجاع المعلومات (السيد السيد النشار، (د.ت): ١٥)، بما يُساعد على زيادة مُرونتها وتواترها، وسرعة إرسالها واستقبالها بغضّ النظر عن العامل الجغرافي (M M Koganuramath، Jange Suresh، Angadi Mallikarjum، (n.d)، paragraphe :06). وبهذا يُتيح النشر الإلكتروني للباحثين حيثما وُجدوا؛ إمكانية الاطّلاع على محتويات المكتبات ومراكز المعلومات التي تقوم أرصدتها على شكل إلكتروني (أحسن وعلي، ٢٠١٧- ٢٠١٨: ٠٨).

١-٢- المقال التاريخي: يُطلق مصطلحُ المقال التاريخي على الموضوع أو النص المكتوب حول قضيةٍ محددة في مجال التاريخ (سيد أحمد علي الناصري، ١٩٨٢: ٦٧). فهو بمثابة ممارسة فكرية في مسألة تاريخية تستهدف عن طريق استعمال أصول وقواعد منهج البحث التاريخي؛ تحويل تلك المسألة من قضية غامضة غير معروفة إلى موضوع تاريخي شيق. ويُشترط في إعداد المقال منهجيًّا ثلاثة عناصر أساسية: باحث متدرّب على عملية الكتابة تدريبًا علميًّا؛ عدد من النصوص التاريخية التي تأخذ شكل المصادر والمراجع؛ ومنهجية كتابية يتمّ بموجبها كتابة موضوع المقال المخصص (علي العبيدي، ونعيمة طيب بوجمعة، ٢٠١٨: ٤١).إذ على صاحب المقال أن يتذكّر دائمًا أنّ المقال التاريخي أكبرُ من مجرّد إعادة كتابة ما قد كُتب بدقة في صفحات الآخرين، بل عليه أن يمتلك رغبة قوية في الإجابة عن إشكالية جوهرية وجديدة من منطلق أنّ هنالك أمورًا مبهمّة يجب توضيحها في المقال، بما يضمن تقدم البحث التاريخي (محمد بن عميرة، ٢٠١٤: ٥٢).

١-٣- منصة المجلات العلمية الجزائرية (ASJP): هي منصة إلكترونية للمجلات العلمية الوطنية، تندرج في إطار نظامٍ وطني لسيرورة المعلومة العلمية والتقنية للضبط العلمي والبحثي، بحيث يمكن التحكّم فيه وتسييره بفعالية من خلال إلزام كلّ المؤسسات العلمية الجامعية والبحثية؛ بالدخول ضمن هذا النظام الخاصّ بالنشر العلمي والإتاحة الإلكترونية لكل مخرجات أنشطة البحث العلمي (عبد الرزاق غزال، ووفاء بورحلي، ٢٠١٨: ٩٢). وقد دخلت المنصة حيز الخدمة سنة ٢٠١٦؛ تحت إشراف مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني (CERIST)، وتشتمل حاليًا على ٥٢٣ مجلة من مختلف التّخصصات، وعلى حوالي ١٠٨٩٧٥ مقالًا لما يزيد عن ٨٤٥٠٠ مؤلّف (عبد المالك بن السبتي ورميسة سدوس، ٢٠١٨: ١٤٥). وهي تهدف إلى تمكينِ مختلفِ الباحثين الراغبين في نشر أبحاثهم ومقالاتهم العلمية؛ مِن تخيير المجلة العلمية المناسبة لاهتماماتهم العلمية والبحثية، وبالتالي التمكن من ضمان النّشر بعيدًا عن خداع المجلات العلمية الوهمية، وهي بذلك تلعب دور الوسيط ما بين الكاتب الباحث والناشر؛ المتمثل في المؤسسة التي تتولّى الإشراف على المجلة العلمية. وللإشارة فإن هذه المنصة مُتاحة على الموقع الإلكتروني التالي: https:// www.asjp.cerist.dz (عبد الجليل طواهير وبشير بن شويحة، ٢٠١٩: ٨٩).

١- جدول توضيحي للمجلّات المهتمة بشر المقالات والدراسات التاريخية:

تحتوي المنصةُ الجزائرية للمجلات العلمية على عددٍ كبير من المجلات التابعة لمختلف مؤسّسات البحث العلمي، وقد حازت المجلات المهتمة بنشر الدراسات

والمقالات التاريخية على مساحةٍ واسعة ضمن هذه المنصة؛ إذ أنّ هنالك بعض المجلات المخصصة للأبحاث التاريخية فقط، وهو ما يتّضح من خلال اسمها مثل «مجلة البحوث التاريخية». وهناك مجلات أخرى تهتم بمجال التّاريخ باعتباره أحدَ أهمّ فروع العلوم الإنسانية مثل «مجلة العلوم الإنسانية». وباعتبار أن هذه الدراسة قدْ جاءت لتوضيح أهمّ التقنيات المعتمدة في نشر الدراسات التاريخية بالمجلات المتخصصة عبر هذه المنصّة؛ فإننا ارتأينا القيامَ بعملية جرد للمجلات المهتمة بمجال التاريخ، وتقديمها للباحثين على شكل جدول يحمل اسمَ المجلة ورابطها؛ لتسهيل مهمّتهم في مجال النشر، ذلك أن نشر البحوث في مجال التّاريخ بالمجلات الجزائرية أصبح يقتضي ضرورة إرسالها عبر هذه البوابة الإلكترونية.

المجلة	الرابط على المنصة
مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/564
مجلة القرطاس للدراسات التاريخية والحضارية والفكرية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/558
مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552
مجلة البحوث التاريخية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/492
مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/144
مجلة الحوار المتوسطي	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/281
مجلة المواقف: البحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/142
المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/265
مجلة المعارف للدراسات والبحوث التاريخية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
مجلة دراسات تاريخية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/256
مجلة عصور الجديدة	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178
مجلة عصور	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167
المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/334
مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/394
مجلة قضايا تاريخية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/228
مجلة تاريخ المغرب العربي	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/227
المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/215
مجلة الحكمة للدراسات التاريخية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/197
مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/97
مجلة أفكار وآفاق	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/221
مجلة العلوم الإنسانية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/41
مجلة الدراسات التاريخية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/38
مجلة المصادر: مصادر تاريخ الجزائر المعاصر	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/29
مجلة العلوم الإنسانية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/23
مجلة دراسات وأبحاث	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/20
مجلة الواحات للبحوث والدراسات	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
مجلة متون للدراسات الاجتماعية والإنسانية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/146
حوليات التاريخ والجغرافيا	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/242
مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/223
مجلة الدراسات الإفريقية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/233
مجلة الحضارة الإسلامية	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/45

فمِن خلال هذا الجدول سيتمكّن الباحثُ في مجال التاريخ من التعرف على المجلات المهتمة بنشر دراساته وأبحاثه؛ من خلال الدخول المباشر إلى رابطها الإلكتروني الذي يدله على كلّ المعلومات الخاصّة بالمجلة من حيث (اسم المجلة، ترقيمها الدولي، مجلة سداسية أو فصلية أو سنوية، عدد المجلدات والأعداد،

تعليمات المؤلف ودليله، الاهتمامات المعرفية، نسبة قبول المقالات الواردة إليها قياسا بالعدد الإجمالي من المقالات المرسلة لها...) (الموقع الإلكتروني لمنصة المجلات العلمية الجزائرية، (د.ت). وعليه فإنّ كلّ ما يتعلق بأيّ مجلة من المجلات المهتمة بالتاريخ الواردة في الجدول الآتي هو متاحٌ على رابطها الإلكتروني.

٢- الخطواتُ التقنية لإعداد وإرسال المقالات للنشر في المجلات المهتمة بالتاريخ ضمن المنصة:

تعتبر استخدام التقنيات الحديثة إحدى الكفايات الهامة التي يجب على الباحث المختص في علم التاريخ أنْ يكون على درايةٍ بها؛ قصد التمكّن من نشر دراساته في المجلات المهتمة بالتاريخ، والمتاحة في المنصّة الجزائرية للمجلات العلمية، إذ يكون تقديم المقال التاريخي عبر المنصة عن طريق نظام نشرٍ تقني؛ يُتيح للناشرين متابعةَ حركية مقالاتهم في المنصة خطوة بخطوة من لحظة إرسال المقال، وإلى غاية نشره (اليمين فالتة، ورياض رزوقي، ٢٠١٩: ١٣). وفي ما يلي عرض تفصيلي لأهمّ الخطوات التقنية التي يعتمدُ عليها الباحث لنشر مقالاته في إحدى المجلات المهتمّة بالتاريخ:

* الخطوة الأولى: الدخول إلى المنصة عن طريق الرابط المشار إليه سابقًا. فإذا كان المؤلف مسجلًا في المنصة ما عليه سوى إدخال حسابه الإلكتروني، وكلمة السر، ليتسنّى له الدخول المباشر إليها، أمّا في حالة ما إذا كان غيرَ مسجّل؛ فإنّ الأمر يتطلب منه ضرورة التسجيل عن طريق الضغط على زرّ «تسجيل»، وملء الخانات اللازمة بالبيانات المطلوبة منه، ومن ثمّ الحصول على كلمة السر (تصله إلى بريده الإلكتروني) التي يمكنه تعديلها فيما بعد، وبهذا يتّضح أنّ التسجيل والدخول إلى المنصة أمران مطلوبان لتقديم المقال للنشر عبر المنصة (أماني السيد، ٢٠١٩: الفقرة ٠٤).

* الخطوة الثانية: تتمثل في اختيار المجلة التي يريد الباحثُ في التاريخ إرسال مقاله إليها، فإذا وقع اختيارُه مثلًا على مجلّة الحوار المتوسطي؛ فإنه يستطيع الولوجَ إلى مساحتها المحجوزة في المنصة مباشرةً عن طريق رابطها الموضّح في الجدول السابق، أو عن طريق البحث عنها ضمن قائمة المجلات التي تظهر له بعدَ الضغط على زرّ «مجالات المجلة» (منير الحمزة، ٢٠١٨: ٣٣).

* الخطوة الثالثة: وهي خطوة إعداد المقال؛ أي إعداد المقال حسب النموذج الخاص بالمجلة، وهذا باعتبار أنّ كلّ مجلة تضع قواعدَ وشروطًا خاصّة للنشر فيها، مع العلم أنّ هذه الشروط تختلف من مجلة إلى أخرى (هشام بركات بشر حسن، ٢٠١٨: ١٢١). وللإشارة فإن منصة المجلات العلمية الجزائرية؛ تحتوي على إجراء تقنيّ للاطّلاع على تفاصيل وأسسِ النّشر الخاصّة بكلّ مجلة، فعلى سبيل المثال يستطيع الباحثُ في التاريخ الذي يريدُ إرسال مقاله للنشر في مجلة «الحوار المتوسطي»، أن يطلع على الأقسامِ الخاصة بالمؤلفين في صفحة المجلة؛ من خلال الضّغط على أيقونة «تعليمات المؤلف» الموجودة على الجانب الأيمن من الشاشة، إذا وقع اختيارُه على اللغة الفرنسية للعمل في المنصة، أو الجانب الأيسر إذا اختار اللغة العربية؛ ليتسنّى له تحميل ملف «تعليمات المؤلف» على صفحة الويب الخاصّة بالمجلة، هذا الملفّ الذي يتوفر على القالب الخاص بالمقالات المرسلة لمجلة الحوار المتوسطي، وفيه يقرأ الباحثُ جملةً من الأدلّة الإرشادية التي توفرها المجلة قراءة دقيقة متأنية، ومن ثمّ إعادة صياغة البحث وفقًا لهذه الشّروط المتمثلة بصفةٍ خاصّة في: نوع الخط، عدد الصفحات، عدد كلمات ملخّص البحث بكلّ لغة، طريقة وأسلوب كتابة الجداول والأشكال وعرضها، أسلوب التوثيق، طريقة كتابة المراجع، وغير ذلك من المتطلّبات التي ينبغي الالتزامُ بها لتسهيل عملية النشر في المجلة.

كما يتعيّن على المؤلف- أيضًا- الضغطُ على أيقونة «دليل المؤلف» ليحصل بذلك على توجيه يتضمن حقوق المؤلّف الخاصة بالمجلة، بالإضافة إلى خطابِ تعهّد يمضي عليه صاحبُ المقال لإثبات حقّ الملكية الفكرية للمجلة وحدها، وهو الخطابُ الذي يُلزم المؤلف بتوقيعه في مرحلة متأخرة عن إرسال المقال؛ أي بعدما يصبح المقالُ مقبولًا للنشر. (الموقع الإلكتروني لمجلة الحوار المتوسطي، (د.ت).

* الخطوة الرابعة: التي تتعلّق أساسًا بإرسال المقال بعدَ إعداده وفق النموذج المطلوب والاطّلاع على دليلِ المؤلف، بحيث يتمّ الضغطُ على أيقونة «إرسال المقال» لمتابعة عمليةِ الإرسال عبر الحساب، فتظهر استمارة تتضمّن مختلف البيانات الخاصّة بالمقال وبالمؤلفين، وهي كالتالي:

أوّلًا: البيانات الخاصة بالمقال: تتضمن كلًّا من:

- الحيز الخاصّ بمجال المقال، إذ يتعيّن على الباحث المختص في التاريخ اختيار مجال الفنون والعلوم الإنسانية.

- الحيز الخاصّ بعنوان المقال، إذْ على المؤلف أن يكتب

عنوان مقاله كاملًا بلغة المقال، ولغة أجنبية أخرى.

- حيّز ملفّ المقال، حيث يقوم المؤلف بتحميل ملف المقال بصيغة وورد (doc).

- الحيز المخصص لإدراج ملخّص المقال بعدّة لغات، الأول بلغة المقال والثاني بلغة أجنبية أخرى.

- حيّز الكلمات المفتاحية، التي لا يتجاوز عددها خمسَ كلمات.

ثانيًا: البياناتُ الخاصّة بالمؤلفين: والتي تشتمل على كلٍّ من: لقب واسم المؤلف بلغة المقال ولغة أجنبية أخرى، المؤسسة، البلد، البريد الإلكتروني. (نور الدين شمساوي، ٢٠٢٠: ٠٥).

كما تُتيح المنصةُ خطوتين تقنيتيْن؛ تتعلّق أولاها بإضافةِ مؤلّف ثانٍ أو حتى مؤلّف ثالث، لتقديم البيانات الشّخصية الخاصة بهما بالضّغط على أيقونة «إضافة مؤلف»، أمّا الثانية فهي خاصة باقتراح المراجعين (المحكّمين) عن طريق ملء البيانات الشخصية الخاصة بهم، بعد الضغط على أيقونة «اقتراح مراجعين». (عبد الرحمن حسني، ٢٠١٨- ٢٠١٩: ٩٤، ٩٥).

وكخطوةٍ إضافية يُستحسن للمؤلف التأكّدُ من صحّة البيانات التي سجلها على استمارة الإرسال، ومِن تحميل ملفّ المقال ليقومَ في آخر خطوة تقنية بالضغط على أيقونة «إرسال المقال» الموجودة أسفلَ الاستمارة. فإذا تحقّقت عملية الإرسال بنجاح؛ تظهر رسالة على الشاشة تُفيد بذلك نصها «تمّت عملية الإرسال بنجاح». ويستلم المؤلفُ في مرحلة موالية إشعارا بتقديم المقال من النظام الأساسي للمنصّة عبر البريد الإلكتروني، وإشعارا للمؤلّف الثاني (إن وُجد) عبر بريده الإلكتروني أيضًا؛ كتأكيد للتّأليف المشترك، وحينها يجبُ على المؤلف الثاني تأكيدُ المشاركة أو رفضها، وفي حالة عدم التأكيد أو الرّفض؛ فإنّ نظام المنصة يقبل المؤلّفَ الثاني تحتَ طائلة اعتبار الصمت رضًا ضمنيًّا عن المشاركة في تأليف المقال. وللإشارة فإنّ كلّ مقالٍ لا يحترم صاحبه قالب المجلة وشروط النشر فيها؛ يعتبر مقالًا مرفوضًا، ويتمّ إشعار المؤلف بأسباب الرفض، وفي هذه الحالة سيجد المؤلف نفسه مُلزمًا بإعادةِ صياغة المقال وفقَ قالب المجلة وإرسالِه من جديد، وهو ما يؤجّل نشره. وعليه يجب التأكيد على ضرورة الالتزامِ الصارم باحترام قالبِ كلّ مجلة، والشروط الأساسية للنشر فيها قبل إرسال المقال. (نور الدين شمساوي، ٢٠٢٠: ٠٧).

٣- الخطوات التقنية لمتابعة وضعية المقالات بعد الإرسال للنشر عبر المنصة:

تعمل المنصةُ بواسطة نظامٍ إلكتروني يُتيح لصاحبِ المقال إمكانية متابعة وضعية مقاله على المنصّة منذ لحظة إرساله مرحلةً بمرحلة، من خلال الضغط على أيقونة «المقالات» بعد الدخول إلى حسابِه الشخصي، ثمّ الضغط على المقالات المرسلة؛ بحث يظهر له جدولٌ يوضح كل التفاصيل المتعلّقة بمقاله (العنوان، تاريخ الإرسال، اسم المجلة، ووضعية المقال) علمًا أنّ الوضعية لها أربعُ مراحل:

* مرحلة قبول أو رفض المقال: ففي حالة ما إذا كان المقالُ غير مطابق لقواعد النشر بالمجلة؛ يُرفَض المقال، ويعلم صاحبُه بالرفض وأسبابه، أمّا إذا كان المقال مطابقًا لقالب إعداد المقال بالمجلة وأسسِ النشر فيها، فإنّه يحظى بالقبول، ويصبح في طور المرحلة الثانية.

* مرحلة انتظار التحكيم: في هذه المرحلة يقوم رئيسُ التحرير بحذف كلّ المعلومات المتعلقة بصاحب المقال، لكي يتمّ إرساله للمحكمين بطريقة سريّة.

* المرحلة الثالثة: هي التي يكون فيها المقال في طور التحكيم.

* المرحلة الرابعة: وهي التي يتمّ خلالها إبلاغ صاحب المقال بقرارات التحكيم.

كما تتيح المنصةُ- أيضًا- لصاحبِ المقال إمكانية التواصل مع هيئة التحرير للاستفسار عن أيّ مستجدات بخصوص مقاله من خلال الضغطِ على أيقونة فريق المجلة. (عبد المالك بن السبتي ورميسة سدوس، ٢٠١٨: ١٤٧).

خاتمة:

على كلٍّ يمكننا القولُ في خاتمة هذه الدراسة، أنّ المنصة الوطنية للمجلات العلمية قد ساهمت بشكلٍ كبير في دعْم وتسهيل النشر العلمي للباحثين المختصين في علم التاريخ؛ من خلال ما تحتوي عليه من مجلات ذاتِ الاهتمام بالبحث التاريخي. وتبقى مسألةُ الاطّلاع على مستجدات النشر العلمي وتقنياته الحديثة في ظلّ الانفتاح الرقمي من خلال تجربة المنصة الإلكترونية؛ ضرورةً حتمية ومُلحة للباحثين المختصّين في مجال التاريخ، وذلك بالنظر لما تُوفره من بيئات علمية واتصالية تفاعلية، تُساهم في إغناء المحتوى الرقمي وترقية البحث التاريخي والعلمي بصفة عامة.

قائمةُ المراجع:

الكتب والدراسات:

- بن السبتي عبد المالك، وسدوس رميسة، (٢٠١٨)، المنصة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP) بين تطوير البحث العلمي وتجسيد التوجه نحو النفاذ الحر للمعلومات، أعمال الندوة الدولية الثالثة حول «حرية النفاذ إلى العلم: الأسس، الرهانات والديناميكيات»، مركز التوثيق الوطني، ٢٨- ٣٠ نوفمبر ٢٠١٨، المجلد ٠٢، المغرب: منشورات مركز التوثيق الوطني، ص ص ١٤٠. ١٦٤.
- بن عميرة محمد، (٢٠١٤)، منهجية البحث التاريخي، ط ٠٢، الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع.
- بركات بشر حسن هشام، (٢٠١٨)، النشر في المجلات العلمية المتميزة، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المؤسسة الدولية لآفاق المستقبل، المجلد ١، العدد ٠٢، ص ص ١١١. ١٣٤.
- الحمزة منير، (٢٠١٨)، منصة الدوريات العلمية الجزائرية asjp وسيلة للنفاذ المفتوح وآلية حقيقة للقضاء على البيروقراطية والمحسوبية العلمية أم مجرد أوهام وموضة تكنولوجية؟، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تبسة، العدد ١٦. ص ص ٢٦. ٤٤.
- حسني عبد الرحمن، (٢٠١٨- ٢٠١٩)، مساهمة الدوريات العلمية الإلكترونية في إثراء المحتوى الرقمي العربي: دراسة تقييمية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة محمد خيضر بسكرة، أطروحة دكتوراه في علم المكتبات، معهد علم الوثائق والتوثيق، جامعة قسنطينة، الجزائر.
- طواهير عبد الجليل، وبن شويحة بشير، (٢٠١٩)، أثر جودة البوابة الجزائرية للدوريات العلمية (ASJP) على رضا المستخدمين- باستخدام نموذج ديلون وماكلين-. دراسة ميدانية لعينة من أعضاء هيئة تحرير المجلات العلمية صنف «ج» بالجزائر، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد ٠٦، العدد ٠٢. ص ص ٨٥. ٩٨.
- وعلي أحسن، (٢٠١٧- ٢٠١٨)، استخدام الأساتذة الباحثين للنشر الإلكتروني في البحث عن المعلومة العلمية والتقنية في كليات الطب بالغرب الجزائري، أطروحة دكتوراه، قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية، جامعة وهران ٠١، الجزائر.
- الناصري سيد أحمد، (١٩٨٢)، فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه، ط ٠١، القاهرة: دار النهضة العربية للنشر.
- النشار السيد السيد، (د.ت)، النشر الإلكتروني، الإسكندرية: دار الثقافة العلمية.
- العبيدي علي وطيب بوجمعة نعيمة، (٢٠١٨)، محاضرات في منهجية البحث التاريخي وتقنياته، ط ٠١، الجزائر: دار النشر الجامعي الجديد.
- فالتة اليمين، وزروقي رياض، (٢٠١٩)، صعوبة نشر الأبحاث العلمية في المجلات المحكمة وفق معايير البوابة ورقة مقدمة الجزائرية asjp، للمؤتمر الدولي حول «نظم المعلومات في التعليم العالي بين التطوير والتشخيص»، جامعة رفيق الحريري، ١٤-١٦ نوفمبر ٢٠١٩ ، بيروت: عمل غير منشور.
- شمساوي نور الدين، (٢٠٢٠)، إدارة المجلات العلمية الإلكترونية من خلال المنصة الجزائرية المجلات العلمية، مداخلة في اليوم الدراسي حول: «الوصول الحر للمعلومات: المفهوم، الأهمية، المبادرات»، جامعة معسكر، ١٥ جانفي ٢٠٢٠، معسكر: عمل غير منشور.
- غزال عبد الرزاق، وبورحلي وفاء، (٢٠١٨)، المعرفة العلمية في الفضاء الافتراضي عبر المواقع الإلكترونية لمؤسسات التعليم العالي: من ضروريات الإتاحة إلى سبل الإغناء. دراسة وصفية تحليلية لإتاحة الدوريات العلمية عبر المواقع الإلكترونية للجامعات الجزائرية، أعمال الندوة الدولية الثالثة حول «حرية النفاذ إلى العلم: الأسس، الرهانات والديناميكيات»، مركز التوثيق الوطني، ٢٨- ٣٠ نوفمبر ٢٠١٨، المجلد ٠٢، المغرب: منشورات مركز التوثيق الوطني، ص ص ٧٥ . ٩٩.

المواقع الإلكترونية:

- السيد أماني، (٢٠١٩)، الاتجاهات الحديثة في النشر العلمي الإلكتروني، على الموقع الإلكتروني: http://fr.slideshare.net/Amanyalsayed/ss، استرجع بتاريخ: ١٣ أبريل ٢٠٢٠، على الساعة: ١١،٠٠ صباحًا.
- الموقع الإلكتروني لمنصة المجلات العلمية الجزائرية،https://www.asjp.cerist.dz/en/login، استرجع بتاريخ: ٢٦ أبريل ٢٠٢٠، على الساعة ١٠،٠٠ صباحا.
- مجلة الحوار المتوسطي على الموقع الإلكتروني:https://www.asjp.cerist.dz/en/Articles/281. استرجع بتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠٢٠، على الساعة ١٧،٠٠ مساء.

Koganuramath M M، Suresh Jange، Mallikarjum Angadi، (n.d)، Electronic publishing an analytical study،paragraphe:06، consulted on 20/04/2020، In Line: http://eprints.rclis.org/4971/1/Electronic-publishing.PDF،

• • •

قِراءةٌ مَوضوعية في تَدوين تاريخ الصَحراء الكُبرى من خلال التَقنيات الحَديثة


الدكتور إسماعيل حامد إسماعيل علي

المعهد العالي للسياحة والفنادق - القاهرة

تُقدّم الورقةُ محاولةً لقراءة تاريخ الصحراء الكُبرى باستخدام التقنيات الحديثة التي فرضت نفسَها على حياتنا، إذ اكتشف العلماء منذ وقتٍ ليس بالبعيد طُرقًا حديثة يمكنها تأريخ الحياة على الأرض، وتحديد زمان الحفريات، والصخور، وكذا النقوش، والرسوم القديمة التي ترجع لآلاف السنين، وهو ما يُشكّل ثورةً في عملية التدوين التاريخي. ويُعدّ "الكربون-١٤"، أو "الكربون المُشعّ" إحدى الوسائل المستخدمة في هذا الشأن. وترجع أهمية الدراسة إلى أنّ هذه الصحراء تملك تراثًا فريدًا، وتُعدّ متحفًا مفتوحًا لثقافاتٍ وحضارات متنوعة منذُ أقدم العصور، وهي تحتاجُ إعادةً لفهم هذا التّراث بمكوّناته التي تشكّلت بفضل امتدادِها الجغرافي والزمني، وما تتميّز به من تحقيبٍ تاريخي وجيولوجي مُهمّ. ولا ريبَ أنّ التقنيات الحديثة يُمكنها أن تساعدنا في قراءة تاريخ هذا الصحراء، ومعرفة أسرارها عبرَ رصدٍ تاريخي للحفريات والفنون الصخرية التي كشف عنها. فالصّحراء شهدت مراحلَ فاصلة من تاريخ الإنسان والأرض، بدءا من عصور ما قبل التاريخ، ثمّ العصور التاريخية، واكتشاف الكتابة، مرورًا بـ "العصر الوسيط" الذي يُشكّل مرحلة مهمّة في تاريخ أفريقيا، وما ارتبطَ به من انتشار الإسلام في البلاد الواقعة ضمنَ نطاق الصحراء، ثمّ إقامة الممالك الأفريقية التي كان للعرب والمسلمين دورٌ كبيرٌ في تأسيسها، إضافةً للتجارة الصحراوية التي لعبت دورًا مهمًّا في ازدهار تلك الممالك بفضل "تجارة الذهب".

أوّلاً: نُبذةٌ عن التاريخ الجيولوجي للصحراء الكُبرى:

تُعدّ "الصحراء الكبرى" أكبرَ الصحاري التي تقع على الأرض، وأكثرها اتساعًا[1]، وهي تضمّ مناطق شاسعة الامتداد في بلاد شمال أفريقيا، ومن ثمّ فلها أهميةٌ كبيرةٌ جغرافيًّا وتاريخيًّا. ولا يزال تاريخُ هذه الصّحراء الجيولوجي قبل أن يسكنها الإنسان، وبعد أنْ سكنها؛ أمرًا يكتنفه الكثيرُ من الغموض، ويحتاج مزيدًا من الدراسة العلمية لفهم البُعد التاريخي لها. وتبلغ مساحة الصّحراء حوالي ١٠ مليون كم، وهي تُعادل تقريبا ثُلث مساحة القارة الأفريقية، ويبلغ امتدادها حوالي ٥٠٠٠ كم من البحر الأحمر، وحتّى المحيط الأطلنطي[2]. وقد زادت أهمية الصحراء الكبرى حديثًا مع اكتشاف الثروات الطبيعية بها، لا سيّما البترول والحديد.. إلخ[3]، ولعل وجود هذه الثروات الطبيعية ليؤكّد أنّ "الصحراء الكبرى" كان لها تاريخٌ مزدهر غير ما تبدو عليه الآن. وقد شهدتْ هذه الصحراء العديدَ من التغيرات الجيولوجية عبر تاريخها، فكانت تكثر بأراضيها الغابات، ومساحات خضراء هائلة من السافانا، وكانت بها البحيرات، والأنهار منذ آلاف السنين، وبسببِ التحوّلات المناخية الحادة التي حدثت بها، تحوّلت الصحراء لحالتها

---

(١)سام إبشتين: الصحراء، ترجمة: مصطفى بدران، دار المعارف، ط٦، ١٩٨٩م، ص٨٠-٨٤، وانظر جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتورة (قسنطينة)، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص١٢. وللمزيد عن الصحراء، انظر:

H. Lhot; A la Decouverte des Fresques du Tassili, Arthaut, Paris, 1973,P. 66.

J. De Pois: Geographie de l'Afrique du Nord-Ouest, Paris, 1967, p.14.

The New American Desk Encyclopedia: New York, 1984, P. 1034.

(٢)سام إبشتين: الصحراء، ص٧٦، عبدالصادوق صالح: الفن الصخري في شمال الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ص١٥. وللمزيد عن الصحراء الكبرى، وجغرافيتها، انظر:

H. J. Hugot; le Sahara avant le Desert,Hesperides, Pars, 1974, P. 56.

E. F. Gautier: le Sahara, Paris, 1928.

أما من ناحية امتداد الصحراء بالميل المربع فتبلغ مساحتها حوالي 3.5 مليون ميل مربع، وللمزيد انظر:

The New American Desk Encyclopedia: Op. Cit. P. 1034.

(٣) Ibid, P. 1034.

الجافة التي عليها الآن، ويؤرّخ ذلك التحول المناخي لقرابة ثلاثة آلاف سنة[٤]، وهذا يعني أنّها لا تزال تُخفي الكثير من أسرارها. ومن المعلوم أنّه منذ حوالي ١٧٥ مليون سنة، أي قبل ظهور الصحراء الكبرى، كانت قاراتُ العالم تقريبًا كتلةً واحدة، وكانت أفريقيا تقع في منتصف هذه الكتلة[٥].

وكانت الكتلة الأولى (أوراسيا) تضمّ أوروبا، وشمال آسيا، ومناطق أُخرى، أمّا "الثانية": فكانت تتكوّن من أفريقيا، وجنوب آسيا، وأمريكا الجنوبية[٦]، واشْتهرت الأخيرة بـ "جُندوانا-لاند"[٧] GondwanaLand وقد وقعت عدّة "انكسارات" في هذه الكتل عبر الحقب التاريخية، كان آخرُها منذ قرابة ٥ ملايين سنة، حيث وقعت ثلاثةُ انكسارات في شرق أفريقيا وحدها، أولها "الانشقاق" الذي أزاح "جزيرة العرب" عن "جندوانا" القديمة، ثمّ ظهور "البحر الأحمر"[٨]. ويُعتقد أنه إبّان تلك المرحلة بدأت تظهرُ الملامحُ الجيولوجية القديمة للصحراء الكبرى[٩]. ويذهب البعضُ إلى أنْ أقدم مَن سكن تلك الصحراء: "الزنوج الأفارقة"، ثمّ صارت السيادة فيها بعد ذلك مع دخول الإبل للقبائل والبطون البربرية[١٠]. وقد تباينت الفرضياتُ حول "البربر"، وأصلهم الاثني، فمن قال إنّهم في الأصل من العرب[١١]. وثمّة رأيٌ آخر يرى أنّهم من الفينيقيين القُدامى[١٢]، وربما كانوا خليطًا من الفينيقيّين والعرب، وهو الرأي الذي يميلُ إليه الباحثُ. ويؤيد ذلك أنّ ك. ماكفيدي يذكرُ أنّه هاجرت منذُ ما قبل التاريخ قبائلُ سامية من "جزيرة العرب" Arabia، ثمّ استقرت شمال الصحراء الكُبرى[١٣]، وهو رأيٌ يؤكّد الصلات الإثنية القديمة بين كلّ من العرب والبربر بشكل لا جدال فيه. بينما يرى آخرون أنّ البربر ربّما يمتّون بصلةٍ مع سكان مناطق جنوب أوروبا[١٤]، وعلى أيّة حال يُعتقد أنّ البربر سكنوا الصحراء الكبرى منذ حوالي ٣٠٠٠ سنة[١٥].

ثانيًا: استخدامُ التقنيات الحديثة لإعادة تدوين تاريخ الصحراء الكبرى:

اهتمّ العلماء باستخدام بعضِ "التقنيات الحديثة" في تحديد عمر الأرض، وكذلك الصّخور، والحفريات، وغيرها بواسطة ما يُعرف بـ "النظائر المُشعّة"، والتي استخدمت فيما يُعرف بقياس "الزمن الجيولوجي"، كما استخدم العلماء والأثريون "المتحجرات"، أو "الحفريات القديمة" في ذاتِ الشأن[١٦]. وقد تمّ ذلك بقياس تحلّل العناصر المُشعة، وهي العملية التي تحدث بمعدل خطي متوقّع، وبذات الطريقة تمكّن العلماء من معرفة أنّ عُمر الأرض يرجع لحوالي ٤,٦ مليار (بليون) سنة[١٧]. ويُعدّ "الكربون-١٤"، أو "الكربون المُشع" من أهمّ تلك الوسائل الحديثة التي استُخدمت لتحديدِ تاريخ الحفريات القديمة التي قدْ يرجع بعضها لعشرات ومئات الآلاف من السّنين، كما استُخدم هذا النوع في تحديد عُمر الصخور القديمة أيضًا التي ترجع هي الأخرى لآلافِ من السنين[١٨]. وعلى هذا فإنّ التأريخ باستخدام "الكربون-١٤" يُعتبر إحدى "التقنيات الحديثة" المُهمّة في عملية التدوين التاريخي الخاصّ بالحفريات القديمة، والبقايا العضوية، وتعتمدُ هذه الطريقة العلمية على ما يُعرف علميًّا بعملية "الانحلال الإشعاعي"[١٩]. و"الكربون" من

(٤)سام إبشتين: الصحراء، ص٧٦-٧٧،جراية محمد رشدي: المرجع السابق، ص٢٨-٣٠.

(٥) كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ترجمة: مختار السويفي، هيئة الكتاب، ٢٠٠٢م، ص١٧.

(٦) المرجع السابق، ص١٧.

(٧) المرجع السابق، ص٢١.

(٨)وللمزيد عن القارة القديمة، وأصلها، انظر: D. G. A Whitten & J. R. V. Brooks: The Penguin Dictionary of Geology, Penguin Books, London, 1975, P. 211.

(٩)يُعتقد أنه منذ نحو مليون سنة تطور ما يُعرف بـ «الإنسان شبيه القرد» جنوب «الصحراء، ويقال إنه تطور منه «الإنسان المنتصب القامة» Homo Erectus (كولين ماكفيدي: المرجع السابق، ص29).

(١٠)الموسوعة الثقافية: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، دار الشعب،١٩٧٢م، ص٦١٥.

(١١)ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، شركة نوابغ الفكر، ٢٠٠٩م، ص٤٩٥.

(١٢)ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠١١م، ص٨١. وانظر، المقريزي: البيان والإعراب، رسائل المقريزي، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث، ٢٠٠٦م، ص١٤٤-١٤٥.

(١٣) كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ص٣٥.

(١٤) ويرى س. إبشتين أنه يحتمل أن البربر يمتون بصلة لسكان جنوب أوروبا، وهناك قبائل منهم، بعضهم أزرق العينين، أبيض البشرة، وبعضهم أسمر يقطنون الصحراء الكبرى (س. إبشتين: الصحراء، ص٧٧).

(١٥)س. إبشتين: المرجع السابق، ص٧٧.

(١٦)ياسين صالح كريم: الجيولوجية التاريخية، جامعة تكريت، العراق، د.ت، ص٣-٥.

(١٧) المرجع السابق، ص٢. بينما يذكر آخرون أن عمر الأرض يبلغ ٢٠٠٠ مليون سنة، أي ٢ مليون منذ أن انفصلت عن الشمس، وأن الحياة بدأت على الأرض منذ ٣٠٠ مليون سنة (ويلز: ج١، ٢١-٢٢).

(١٨)يقوم الإشعاع الكوني الذي يدخل الغلاف الجوي للأرض بإنتاج كربون-١٤، وتأخذ النباتات كربون-١٤ أثناء عملية إنتاج ثاني أكسيد الكربون، ويتحرك كربون-١٤إلى أعلى السلسلة الغذائية حيث تأكل الحيوانات النباتات، وتأكل الحيوانات المفترسة الحيوانات الأخرى، ومن ثم فمع موت الكائن الحي يتوقف امتصاص كربون-١٤. وللمزيد عن طريقة التأريخ باستخدام الكربون المشع، انظر: Hutchinson's New 20thCentury Encyclopedia: Edited by; E. M. Horsely, London, 1968, P. 212.

(١٩)The Cambridge Paperback Encyclopedia: Edited by: David Crystal, Cambridge University Press, P. 710.

العناصر غير الفلزّية، ويوجد في الطبيعة في صور متعدّدة، ومنها: زيت البترول، والجرافيت، والأخشاب، والفحم، والماس.. إلخ[٢٠]، وهو يعتبر من الموادّ الخاملة كيميائيًّا، ويقاوم فعل معظم الأحماض، وهو يحترقُ عند درجة حرارة ٣٥٠[٢١]. والتأريخ بواسطة "الكربون المشعّ" ربما يصل للتّحديد الزمني للحفريات، وغيرها حتى قرابة ٨٠ ألف سنة[٢٢]. وقد بدأ استخدام "الكربون المُشع"، أو ما يُعرف علميًّا بالتأريخ بواسطة "الإشعاع الكربوني" RadiocarbonDating خلال سنتي (١٩٤٨-١٩٤٩م) على يد "فيلارد ليبي" WillardLibby[٢٣]. كما استخدم العلماء في عملية القياس الجيولوجي طريقة أخرى باستخدام "البوتاسيوم-أرغون"، أو "البوتاسيوم-٤٠"، وهي التي يُطلَق عليها K-ArDating، ويُعدّ "العمر النصفي" له أطول زمنيًّا عدّة مرات من الكربون حيث قد يصل لقرابة ١,٣ مليار سنة[٢٤]، وهو ما يشيرُ لتعدد الوسائل الحديثة في عملية التأريخ. وقد ساعدت الاختبارات "الراديو- كربونية" في الكشف عن بعض مظاهر الحضارات القديمة التي ظهرتْ بالصحراء، ومن بينها ما كُشف عنه بالفيوم (مصر)، وهي جزء من الصحراء، حيث أثبتت دراساتُ "الراديو- كربون" أنّ شعوب العصر الحجري الحديث (النيوليثي) ضربوا خيامهم بجوارِ ضفاف بحيرة الفيوم، كما تُبيّن اختبارات "الراديو-كربون" أنّ هؤلاء السُكان المحليين قاموا بـ "الزراعة" في نطاق هذه المنطقة فيما بين (٤٥٠٠-٤٠٠٠ ق.م)[٢٥].

ويُعتقد أنّه منذُ ذلك التاريخ بدأت "الزراعة" كنشاطٍ اقتصادي مؤثر في حياة الإنسان الصّحراوي، ومِن ثمّ بدأ الناس يُقبلون عليها نظرًا لأهميتها في حياتهم، وكذا دورها في سدّ احتياجاتهم الأساسية، وعلى هذا انتشرت الأراضي الزراعية لعدّة مئات من الأميال بطول ضفتي نهرِ النّيل الأدنى، كما أنّهم أدخلوا أنماطًا مُتطورة من النشاط الزراعي، وأحسنوا استخدام آلات الحرثِ والثيران، وعلى هذا تحوّل الإنسان الصحراوي من نمط حياة "البداوة القبلية" إلى "مجتمع زراعي مستقر"[٢٦]. وقد كانت هذه المرحلةُ بمثابة نقطة تحول مهمة في حياة الإنسان، حيث صار أكثرَ استقرارًا، وأصبحَ منتجًا للطعام، وليس مجرد جامع له. ومن الأنماط الحضارية الأخرى في حقبةِ ما قبل التاريخ، أو ما يُعرف بـ "العصر الحجري القديم"، أو "الباليوليتي" Palaeolithic[٢٧] يظهر لنا نمطٌ من أنماط "الثقافات الأفريقية" ذات الخصوصية، ولا سيّما تلك التي برزت في شمال "الصحراء الكبرى"، ويُطلق عليها "الثقافة القابسية" Capsian Culture، نسبة لمدينة "قابس" (تونس)[٢٨]. ومِن جانب آخر كان للحضارةِ في شمال الصحراء تأثيرُها على بعض مناطق جنوب غرب أوروبا منذُ ما قبل التاريخ، إذ يؤكّد البروفيسور "فيرفيلد أسبورن" بعد العديد من الدراسات الحديثة التي قام بها؛ حدوث نوعٍ من الغزو الثقافي لبعض الأنماط الحضارية القادمة من مصر، ثمّ انتقلت عبر المناطقِ الشّمالية للصحراء الكبرى إلى أسبانيا[٢٩]. فإلى هذا الحد تكشف التقنياتُ الحديثة أنّه توجد بعضُ الطّرق الصحراوية كانت تربط بين شمال أفريقيا وجنوب غرب أوروبا منذُ أقدم العصور، وحتى ما قبل الإسلام بقرون عديدة، وقد تمّ ذلك التواصل بفضل التقارب الجغرافي بين سكّان كلّ من الصّحراء وسواحل شبه "جزيرة أيبريا" القديمة Iberia، وهي التي اشتهرت بعد ذلك باسم الأندلس إبان العصر الوسيط.

وتُشير الدراساتُ من خلال استخدام ذات التقنيات الحديثة إلى أنّ "الصحراء الكبرى" كانت قديمًا أرضًا خصبة، إذ تمّ الكشفُ في العديد من مناطقها الشاسعة عن بقايا بحيرات، وأودية، كانت تتجمّع بها الرسوبات التي تكوّنت إبّان حقبة العصور المطيرة القديمة التي شهدتها هذه الصحراء منذُ آلاف السنين، ومن أهمّ الأودية التي كشف عنها داخل الصحراء تلك التي تخرج من منطقة "الهجار" (الأحجار) بصحراءِ

(٢٠) مجموعة من الباحثين: الموسوعة الثقافية، ص٧٩٤.

(٢١) المرجع السابق، ص٧٩٤.

(٢٢)The Cambridge Paperback Encyclopedia: Op. Cit, P. 710.

(٢٣)Ibid, P. 710.

(٢٤)ياسين صالح كريم: الجيولوجية التاريخية، ص٣-٥. والبوتاسيوم من العناصر الفلزية، ويتميز بأن عنصر رخو، وهو كذلك يعتبر من العناصر شديدة النشاط، ولهذا يحفظ البوتاسيوم مغمورًا في الكيروسين، أو زيت البرافين لعزلِه عن الهواء. ومركبات البوتاسيوم واسعة الاستعمال، وهو يتّحد مع مباشرة مع العديد من العناصر اللافلزية، وتوجد بعض مركبات البوتاسيوم في الطبيعة (الموسوعة الثقافية: ص٢٣٨).

(٢٥) باسيل دافيدسون: أفريقيا القديمة، ص٢١.

(٢٦)باسيل دافيدسون: المرجع السابق، ص٢١-٢٢.

(٢٧) العصر الحجري القديم: تضم العصور الحجرية القديمة ٣ مراحل رئيسية، وهي العصر الحجري القديم (الباليوليتيك)، والعصر الحجري الوسيط (الميزوليتك)، والعصر الحجر الحديث المعروف بـ»النيوليتك»(وللمزيد، انظر ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ص٣٩،جبار حميدي الربيعي: مرجع سابق، ص١٩٢).

(٢٨)هـ. جـ. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، جـ١، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويش، المركز القومي للترجمة (سلسلة ميراث الترجمة)، القاهرة، ٢٠١٨م، ص٩١.

(٢٩) المرجع السابق، ص٩٢.

الجزائر، ثمّ تتجه تلك الأودية شمالًا حتى مُنخفض يُعرف بـ "منخفض تفرت"، ثمّ يصل جنوبًا حتى "بسكرة" بالجزائر[٣٠]. كما تؤكّد الدراساتُ أنّ الصحراء كانت تغطّيها غابات السافانا خلال العصر الحجري الحديث (العصر النيوليتي)، ومِن ثمّ فإنّه من الطبيعي أنّه كانت تجرى في هذه المناطق الصحراوية العديد من مجاري الأنهار[٣١]. ويرى الباحثُ أنّ هذه الأنهار القديمة تحول أكثرها إلى تلك الأودية المنتشرة في المناطق الصحراوي بشمالِ أفريقيا. وقد تعرّضت "الصحراء الكبرى" للعديدِ من "التغيرات المناخية" التي جعلتها على هذه الحالةِ الجافة، وندرة الأمطار التي لا تزال عليها هذه الصحراء في أيامنا، وتؤرّخ بداية "مرحلة الجفاف" التي أصابت الصحراء منذ حوالي الألف ٧ ق.م، وهو ما أدى لاختفاء الغابات ذات الأشجار الكثيفة التي كانت تغطي العديدَ من مناطق الصحراء الكبرى[٣٢]. وفي ذات الشأن تؤكّد "الدراسات الحديثة" أنّه في حوالي ٤٠٠٠ ق.م كانت نباتات "السافانا" تغطّي الصحراء الكبرى من سفوح "جبال الأطلس" (شمال المغرب) إلى أقصى المناطق الجنوبية، وكانت السافانا حلّت محلّ الغابات التي اختفت بسبب موجاتِ الجفاف، وكانت هذه المرحلة تقريبًا تمتدّ من الناحية الزمنية فيما بين ٤٠٠٠ ق.م وحتى ٢٠٠٠ ق.م. وعلى هذا تسببت التّغيراتُ المناخية وقلّة الأمطار في انخفاضِ منسوب مياه الأنهار، وكذلك البحيرات في "الصّحراء الكبرى"، وكذلك زاد هبوبُ الرياح الجافة على الأقاليم الصحراوية[٣٣]. بينما يُحدد "رولاند أوليفر" RolandOliver حدوث هذه التغيرات أو "الدورات المناخية" حسب تعبيره في المناطق الشّرقية من "الصحراء الكبرى" بالفترة من نهاية الألف ٥ ق.م، وبداية الألف ٤ ق.م[٣٤]. ومن المُعتقد أنّ موجات الجفاف الحادّة التي ضربت الصحراء الكبرى، امتدت حتى الألف الأولى ق.م، ومن ثمّ أخذت الصحراء شكلها الحالي الجافّ الذي تبدو عليه الآن.

وبفضل التقنيات الحديثة من ناحية أُخرى، كشف الباحثون سنة ١٩٥٦م عن وجود "لقاحات" في وسط مناطق "الصحراء الكبرى"، وتحديدًا في صحراء الجزائر، وتلك "اللقاحات" ترجعها التقنيات الحديثة من الناحية الزمنية لحقبةِ "العصر الحجري الحديث"، ومنها: السنديان، والصنوبر، والبلوط، والزيتون، والياسمين.. إلخ[٣٥]. ولا ريب أنّ تلك التقنيات العلمية ساعدت العلماء في وضع تصوّرٍ لشكل بعض المواقع الصحراوية، وكيف كانت الحياة بها منذ آلاف السنين الغابرة، ولعلّ منها موقع "المنية" (الجزائر)، حيث تمكن العلماءُ من وضع تصور للمنطقة منذُ العصور الجيولوجية القديمة، حيث كانت عامرةً بالسكان، وكانت بها بحيرة صغيرة، وكانت مُحاطةً بالكهوف، وكان السكان المحليون يعملون بالرعي بشكلٍ رئيس، وشيدت بيوتهم على الأماكن المرتفعة بجوار النتوءات البارزة من الكتلِ الصخرية، كما كان السكان هناك يؤثرون أن تُشرف بيوتُهم على الأودية حتّى يسهل الدفاع عن أنفسهم ضدّ أيّ اعتداء[٣٦]. كما تكشف الدّراساتُ أنّ الصحراء كانت بها حياة ثروة حيوانية متنوعة، وكانت الحيوانات على اختلافها، سواء المتوحشة أم المُستأنسة منها، تستقرّ في العديد من المناطق الصحراوية، وهو ما تؤكّده الرسومُ الصخرية ذاتها المنتشرة في ربوع الصحراء الكبرى، ومن أهمّ تلك الحيوانات: الفيل القديم (الماموث)[٣٧]، والزراف، والحمار الوحشي، والأسود، والضباع، والفهود، وغيرها من صنوف الحيوانات الأخرى[٣٨]. غير أنّه بسبب التغيرات المناخية، وخاصّة مع حلول الألف الأولى ق.م اختفت أكثرُ هذه الحيوانات، كما رحل الكثيرُ منها صوبَ الجنوب حيث المناطق الاستوائية، والتي تتميز بوفرة الغابات والغطاء النباتي[٣٩]. ويؤكد العلماءُ أنّ اكتشاف النفط والغاز الطبيعي في العديدِ من مناطق الصحراء الكبرى، لا سيّما في كلّ من الجزائر وليبيا ومصر يؤيد الرأي القائل بأنّ "الصحراء" كانت في الماضي غير ما تبدو عليه الآن[٤٠].

(٣٠) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص٢٨.

(٣١)المرجع السابق، ص٢٨.

(٣٢) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص٣٠.

(٣٣)المرجع السابق، ص٣١.

(٣٤) رولاند أوليفر: موجر تاريخ إفريقية، ترجمة: دولت أحمد صادق، سلسلة دراسات إفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٦.

(٣٥) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص٣١.

(٣٦)المرجع السابق، ص١٠١.

(٣٧) الماموث: وهو الفيل القديم، وكان يتميز بكثافة الشعر بشكل لافت عن الأفيال التي في أيامنا. ويعتقد أن أصل الماموث كان في الصحراء الأفريقية، وأنه اختفى منذ حوالي ١٢ ألف سنة. وللمزيد عن الماموث، انظر:
The Cambridge Paperback Encyclopedia: P. 533.

(٣٨) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص٣٦.

(٣٩)المرجع السابق، ص٣٧. وللمزيد، انظر أيضًا عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم، ص٥١-٥٢.

(٤٠) هنري لوت: لوحات تسيلي قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس، د.ت، ص٣٩.

كما قام الباحثون بدراسة "الفخار" في العديد من مناطق الصحراء باستخدام التقنيات الحديثة، ومن المعلوم أنّ الفخار من أبرز ما ميز حقبة العصر الحجري الحديث، فمن خلال دراسة نوع الطّين المستخدَم في عمل الأدوات والأواني الفخارية، وكذا من خلال شكل تلك الأواني، والرسوم والزخارف، تمكّن العلماء من وضع تتابع زمني للتطور الحضاري بصفة عامة، والفخار بصفة خاصّة، سواء في الصحراء الكبرى، وفي غيرها من المواقع الأثرية بالعالم[٤١]. ويجدرُ بالذكر أنّه تمّ العثورُ على آلاف من قطع الفخار أو قطع الأوستراكا في الصحراء الكبرى، وهذه البقايا الفخارية يعتبرها الباحثون بمثابةِ وثائق تاريخية، وأثرية مهمة لدراسة تاريخ سكان الصّحراء، وتطور أنماط الحياة والفنون لديهم[٤٢]. وبفضل الاكتشافات الحديثة بالمناطق الصّحراوية، وجدَ العلماء العديد من "التأثيرات الأفريقية" أو "السودانية المحلية" التي لا يزال تسكنها الجماعاتُ العربية والبربرية. ومن المعلوم أنّه يُقصد بلفظ "السودان"، أو "بلاد السودان" Land of Sudan خلال حقبة "العصر الوسيط" بأنها المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى، وتمتدّ من أقصى الغرب عند سواحل السنغال على "المحيط الأطلنطي"، وحتى سواحل البحر الأحمر، وكذلك أجزاء من ساحل المحيط الهندي[٤٣]. ولهذا يقول الإدريسي عن هذه البلاد وعلاقتها بالصحراء: "وأرض غانة تتّصل من غربيها.. وبشمالها بالصحراء المتصلة بين أرض السّودان وأرض البربر"[٤٤]. ويُرجح أن التأثيراتِ الأفريقية في مناطق "الصحراء الكبرى" تؤرخ إلى "العصر الحجري الحديث"، ويعتقد أنّ مُصطلح "العصر النيوليتي" الصحراوي لا سيّما خلال الحقبة المتأثرة بالتقاليد الأفريقية تمتدّ زمنيًّا فيما بين (٦١٠٠-١٠٠٠ ق.م)[٤٥]. كما تظهر الاكتشافاتُ الأثرية الحديثة في صحراء الجزائر تطوّرًا مهمًّا في صناعة "أدوات الزينة" خلال "العصر النيوليتي"، حيث كُشف عن أدوات زينةٍ من العظم، وعقود من الأصداف، وخلاخل من الأحجار، وغيرها من الأشكال[٤٦]. وتُشكّل تلك العلامات والحفريات التي توجد على جدران الصّخور الصحراوية أولى الوثائق التاريخية والجيولوجية عن تاريخ الحياة على الأرض، وكذلك الوجود الإنساني بالصحراء. وهي علاماتٌ لا تزال لغزًا يحتاج لفكّ شفرته، وإماطة اللثام عنه، ولهذا يطلق عليها العلماء مصطلح "سجلّات الصخور"[٤٧]. وهو سجلّ يرتبط بالتاريخ الجيولوجي للصّحراء قبل ظهور الإنسان على الأرض، أي منذ عشرات الملايين من السنين.

ثالثًا: الرّسومُ الصخرية وتنوعها في الصحراء الكبرى:

تُعدّ "الرسوم الصخرية" من مميزات "التراث الأفريقي" منذ أقدم العصور، إذ تركت الحضاراتُ الأفريقية أعدادًا هائلة من الرسوم التي تُعرف بـ "الفن الصخري" RockArt، وتلك الفنون القديمة التي تؤرّخ لآلاف السنين، وتنقسم بصفة عامة لأنماط متنوعة من الرسوم، والنقوش[٤٨]. وهي تصوّر أحوال وانطباعات أصحابها، وتُعبر عما يحيط بهم، وتصور تلك الرسوم حياة الإنسان البدائي منذُ آلاف السنين، وترجع في الغالب للعصر الحجري الحديث[٤٩]. ويُحدد بعضُ العلماء الحقبة التي تغطّيها الرسوم الصخرية بقرابة ٣٠ ألف سنة، تمتد تقريبًا من حوالي ٤٠ ألف سنة، وحتى ١٠ آلاف سنة ق.م[٥٠]. وتوجد ثلاثة تقسيمات كبرى للفن الصخري: فنّ "العصر الحجري الحديث"، وفنّ "عصر البرونز"، ثمّ فنّ "عصر الحديد"[٥١]. ويضمّ الفنّ الصخري نوعين: الرسوم والنقوش، وتتنوع المواد التي يتمّ النقش أو الرسم عليها، ومنها: الكهوف، والحوائط الصّخرية الثابتة، والألواح الصخرية، والعظام، والفخار.. إلخ[٥٢]. وبدأ الكشفُ عن الرسوم الصّخرية في شمال

(٤١) جراية محمد رشدي: المرجع السابق، ص٥٢.

(٤٢)المرجع السابق:، ص٩٠.

(٤٣)وعن بلاد السودان، يقول الرحالة المغربي ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ): «وتوجهتُ رسم السفر إلى بلاد السودان..» (ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ٢، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص٦٠٦)

(٤٤) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، جـ١، كتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٨م، ص٢٤.

(٤٥) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص٧٨.
H. J. Hugot: Recherches Pre-Historiques dans l’ Ahggar Nord–Occidental, Paris, 1963.

(٤٦)المرجع السابق، ص٩٥.

(٤٧)هـ. جـ. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، جـ١، ص٢٨. وتوجد في بعض البلاد في أوروبا نماذج قديمة جدًّا من الرسوم الصخرية, لا سيّما في فرنسا وأسبانيا، فقد كشف عن بعض الكهوف في هذه البلاد، وهي رسوم تصوّر حيوانات ووحوشًا، ومن اللافت أنّ الكهوف التي كشف عنها في شمال فرنسا وأسبانيا لا تصور رسومًا بشرية، بل تصوّر الحيوانات فقط، ولكن توجد في شرق أسبانيا رسوم تؤرّخ إلى الحقب المتأخرة للعصور الحجرية, وتظهر فيها بعض الرسوم البشرية (هـ. جـ. ويلز: المرجع السابق، ص٨٧).

(٤٨) حندوقة إبراهيم فرج: نماذج من الحضارات الأفريقية القديمة وآثارها، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٠.

(٤٩) المرجع السابق، ص٢٠.

(٥٠) عاطف معتمد: الفن الصخري كارتوجرافيا عصر ما قبل التاريخ، محاضرات في الفكر الجغرافي، بيت الجغرافيا، مارس ٢٠١٧م، ص٤.

(٥١)المرجع السابق، ص٤.

(٥٢)المرجع السابق، ص٢.

أفريقيا، وتحديدًا جنوب "وهران" سنة ١٨٥٠م[53]، كما عُثر على أولى النقوش الصّخرية بـ "وادي البرجوش" قرب "فزان" (ليبيا) على يد الألماني هنريش بارث[54].

وفي سنة ١٩٥٨م، قام "هنري لوت" بالكشف عن مجموعة من الرسوم القديمة تُصور رجالًا ونساء[55]. كما تصوّر بعضها حيوانات، ومناظر لأُناس يقومون بالرعي، وتظهر مناظر بعض الحروب والصراعات البدائية[56]. ويرى البعضُ أنّ اختلاف دلالات الرسوم الصخرية ربما ترجعُ لأنها توزّعت على فترات زمنية متعاقبة، يحددها البعض كالتالي: عصر الثيران، وعصر الرّؤوس المستديرة، وعصر الإبل[57]. وتعتبر"الهُجار" (الهقار) و"تاسيلي" من أشهر المناطق الصّحراوية بالرسوم، وكتلة الهجار التي تحيط بهضبة تاسيلي تعتبر مركزَ وسط الصحراء، وكان "كونراد كيليان" أول مَن قام بنشر رسم تخطيطي لها سنة ١٩٢٢م[58]. ويصف "هنري لوت" "تاسيلي" بما تضمّه من ثروة فنية هائلة من الفنون الصخرية بأنّها "تشكل معرضًا فنيًّا لعصور ما قبلَ التاريخ"[59]. واسم تاسيلي بلغة الطوارق يعني: "هضبة الأنهار"، وهي تمتد من شمال شرق الهجار بالجزائر وحتّى فزان (ليبيا)[60]. ويعتبر "هنري بارث" H. Barth من أوائل مكتشفي رسوم تاسيلي سنة ١٩٥٦م[61]. كما يُعتبر "وادي درعة" بالمغرب من المناطق المُهمة التي تكشف لنا جزءا من تاريخ الفنّ الصخري بما تضمّه من رسوم ونقوش مهمة[62]، وتعتبر منطقة "جبل أزلاك" شمال شرق "زاكورة" لها أهميّتها في هذا الشأن، إذ تضمّ أكثر من ١٠٠ نقش، وتمتد لحوالي ٥٠٠ م قرب "وادي درعة"[63].

وتؤرّخ أكثر الرسوم الصخرية بمناطق الصحراء لما قبل ١٠ آلاف سنة ق.م، وهي حقبة تمتدّ من العصر الحجري الحديث وحتى بدايات القرن الأول الميلادي[64]. ومن رسوم تاسيلي التي ترجع للألف ٥ ق.م تلك التي تصوّر امرأة صبغت باللون الأحمر، وهو اللونُ المعتاد لأغلب الشخوص بالصحراء، وهي ترتدي لباسَ رأس، وتضع بعض الزينة، ويلاحظ أنّ نسبة الرأس ورقبتها مقارنة بطول وعرض قامتها تبدو صغيرة[65]. كما تصور رسومٌ أخرى رجلًا وامرأة في صور مشتركة، وتبدو أنّها رسوم طقسية، ويبدو الرجل مرتديًا قناعًا أفريقيًّا خاصًّا بالطّقوس[66]. كما توجد جداريات تصوّر ممارسة "عبادة الأرواح"، حيث يقوم الراقصون بطقوس دونَ توقّف حتى يصيبهم التعبُ والإغماء، وهو ما يعني ذهابهم لـ "عالم الأرواح"، كما يظهر رجالٌ مسلّحون بالأقواس والسهام، ويرتدون أقنعة لحماية مَن يسقط مغشيًّا عليه[67].

ويُقسم العلماء الرسومَ الصخرية لعدّة مراحل زمنية على هذا النحو: أوّلًا: مرحلة الحيوانات المتوحشة، أو عصر "الجاموس القديم"، وهي تؤرخ لحوالي ١٠ آلاف سنة ق.م[68]. ثانيًا: مرحلة الرؤوس المستديرة، وتمتد منذ ٩ آلاف سنة ق.م، وخلالها برزت الحضارة القفصية، وكذلك الحضارة الوهرانية[69]. ثالثًا: مرحلة رعاة البقر، وتسمى أيضًا "عصر الثيران"، وتمتدّ ما بين الألف ٥-٤ ق.م، وكان إنسانُ الصحراء يعتمد آنذاك على جمع الحبوب، وصيد الحيوانات، والطيور، وصيد الأسماك[70]. وتصور الرسوم بصحراء الجزائر مجتمع رعاة البقر، وكانت كلّ جماعة أو قبيلة تعمل على زيادة قطعانها، ممّا أدى للتنافس والصراع مع بعضها البعض، وهو

---

(٥٣) جبار حميد الربيعي: الرسوم الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في ليبيا، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، عدد٣١، ٢٠١٧م، ص١٩٢.

(٥٤) المرجع السابق، ص١٩٢.

(٥٥) باسيل دافيدسون: أفريقيا القديمة، ترجمة: نبيل بدر وسعد زغلول، مراجعة: محمود الكيال، سلسلة من الشرق والغرب، عدد٣٩، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص١٠

(٥٦) المرجع السابق، ص١٠.

(٥٧) جبار حميد الربيعي: المرجع السابق، ص٢١٥.

(٥٨) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص٢٠-٢١.

(٥٩) هنري لوت: لوحات تاسيلي، ص٣٩.

(٦٠) جبار حميد الربيعي: الرسوم الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في ليبيا، ص١٩٤.

(٦١) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص١١١.

(62)Said Ben Harrai: Un Nouveau Site Rupstre dans la Vallee du Draa, 1re Rencontre Nationale sur l' Art Rupstre au Maroc, Agadir, Mai 2017, P. 14.

(63)Ibid, P. 14.

(٦٤) جبار حميد الربيعي: الرسوم الصخرية، ص١٩٢.

(٦٥) المرجع السابق، ص١٩٩.

(٦٦)المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٦٧) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص١١٠.

(٦٨)جبار حميد الربيعي: المرجع السابق، ص١٩٣. ومن جانب آخر يقسم البعض مراحل تطور الفن الصخري بالصحراء، كالتالي: ١- عصر الصيادين: ويتميز بنقوش جميلة وأسلوب واقعي، كما يتميز هذا العصر بتنوع الحيوانات التي صورت على حوائط الصخور، وجدران الكهوف. ٢- مرحلة الرعي: وتؤرخ لحوالي ٤٠٠٠-١٠٠٠ ق.م)، وتتميز هذه المرحلة بكثرة رسوم الثيران منفردة، أو تصور في قطعان، كما تصور حيوانات استوائية عدّة، كما تتميز هذه المرحلة بتصوير رعاة محاربين مسلحين بالفؤوس، ويعتقد العلماء بأن هذه الرسوم تحمل بعض التأثيرات المصرية (وللمزيد عن تلك التقسيمات، انظر عبد الصادق صالح: الفن الصخري في شمال الجزائر، ص١٥، جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص١١١، وانظر كذلك:

H. J. Hugot; le sahara avant lr desert, P. 244.

H. Lhot; A La Decouverte des Fresques du Tassili, P. 66.

(٦٩)عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ص٥١، وانظر جبار حميد الربيعي: المرجع السابق، ص١٩٣.

(٧٠)جبار حميد الربيعي: المرجع السابق، ص١٩٣.

ما نتجَ عنه قيام ما يمكن أن يكون تنظيمات شبه قتالية لحماية قطعانهم لا سيّما الأبقار[٧١]. رابعًا: عصر الخيل، يبدأ بعدَ منتصف الألف ٢ ق.م، ويطلق عليه "عصر الجرمنتيين" (فزان)[٧٢]. خامسًا: عصر الإبل، يرجع للقرون الأولى الميلادية، ويعتقد أنّ السبئيين نقلوا لشرق أفريقيا الخيولَ والإبل، وفي هذه الحقبة تمّت عملية "التصحر" في شمال أفريقيا، وأقبل سكان الصحراء على الإبل بدلًا من الخيول؛ لأنّ الإبل تناسب حياة الصحراء الجافة، وهو ما تؤكده الرسومُ الصخرية[٧٣].

ويرى الباحثُ أنّه مع بروز دور الإبل الصحراء بعد فترة الجفاف، بدت أهميةُ التجارة الصحراوية منذُ القرون الميلادية الأولى، ولذا نرى العديدَ من رسوم الإبل فيما يشبه القوافل التجارية. ويذهب البعضُ إلى أنّ الجماعات التي سكنت الصحراء تطوّرت في جزء منها لمجتمعات التجار المحاربين، واستخدام رؤوس الماشية في التبادل التجاري[٧٤]. ولا ريب أن "التجارة الصحراوية" لعبت دورًا مهمًّا في ازدهار الممالك الأفريقية جنوب الصحراء، لا سيّما مع شهرة غرب أفريقيا بالذهب، عرفت بـ "تجارة الملح الذهب"[٧٥]. ويجدر بالذكر أن بعض الرسوم القديمة تصوّر قوافل تجاريةً تعبر الصحراء، وهو ما يعني أنّ التجارة الصحراوية كانت معروفة منذُ القدم، وازدهرت قبل الإسلام، وهو افتراضٌ يمكنه أن يعيدَ فهم حركة التدوين التاريخي للصّحراء. ويؤيّد ازدهار التجارة عبرَ منذ ما قبل الميلاد فيما يذكر البعض أن الفينيقيين وهُم مشهورون بالتجارة لما سيطروا على شمال أفريقيا، وكونوا مملكة قرطاج (تونس)، فكان للفينيقيين علاقاتٌ تجارية مع البربر القاطنين بالصحراء الكبرى[٧٦]، واستفادوا من تطور الزراعة في بعض مناطق هذه الصحراء الشمالية، وهو ما ساهم في ازدهار الحركة التجارية التي قاموا بها[٧٧].

الخاتمة:

وبعدَ هذه الإطلالة، يمكن الخروجُ ببعض الاستنتاجات المهمة، ومنها:

- يرجع التاريخُ الجيولوجي للصحراء الكبرى لحقبةٍ زمنية بعيدة ترجع إلى آلاف السنين، وهو ما جعلها تشهد العديدَ من الحقب الجيولوجية المهمّة، والتي تركت أثرها في العديد من المناطق الصحراوية.
- تعتبر الصحراء الكبرى متحفًا جيولوجيًّا فريدًا، ومتنوعًا، وتعجّ المناطق الصحراوية بالحفريات، والرسوم، وكذا الأطلال الأثرية التي يشقّ علينا إحصاؤها، وترجع كلٌ منها لعصورٍ تاريخية وجيولوجية مختلفة.
- شهدت الصحراء تغيراتٍ مُناخية عبر آلاف السنين تسببت في حدوث تغيّرٍ كبير في شكلها، وطبيعتها، ومناخها، إذ حوّلتها من مناطق خضراء كثيرة المطر، تنتشر فيها الأنهارُ والبحيرات، والغابات إلى صحراء قاحلة، جافّة كما هي الآن، ويعتقد أنّ الصحراء أخذت شكلها الحالي منذ حوالي ٣ آلاف سنة.
- ونظرًا لثراء هذه الصحراء بالحقب الجيولوجية والتاريخية، لذا فمِن المهمّ دراسة تاريخها باستخدام التقنيات والوسائل العلمية الحديثة، ولعلّ أهمّها الكربون المشع، أو ما يُعرف بـ "كربون-١٤"، وكذلك باستخدام "بوتاسيوم-٤٠"، فهذه الوسائلُ الحديثة يمكنها أنْ تُحدّد بشكلٍ دقيق عمر الحفريات والصخور، وغير ذلك من المخلّفات الأثرية والجيولوجية التي يمكن العثورُ عليها في أقاليم الصحراء الكبرى.
- يعتبر "الفن الصخري" من أهمّ ما يميز الصحراء الكبرى، حيث عثر على عشرات الآلاف من الرسوم تمتد من صحراء مصر وحتّى صحراء المغرب، وهي تصوّر أحوال سكان الصحراء قبل مرحلة الجفاف، وتصور مناظر حياتهم اليومية، وطقوسهم، والحيوانات التي عاشت هناك منذ آلاف السنين الغابرة.. إلخ.

---

(٧١) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية، ص١٠٣.

(٧٢) المرجع السابق، ص١٩٤.

(٧٣)هنري لوت: لوحات تسيلي، ص١٢، وانظر كذلك جبار حميد الربيعي: المرجع السابق، ص١٩٤.

(٧٤) جراية محمد رشدي: المرجع السابق، ص١٠٣.

(٧٥)عرفت التجارة بذلك لأنهم كانوا يقايضون الملح بالذهب وعن تجارة الذهب في غرب أفريقيا, ولا سيّما في مملكة غانة، الحميري: الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص٤٢٥-٤٢٦.

(٧٦)رولاند أوليفر: موجز تاريخ أفريقية، ص٥٩.

(٧٧) المرجع السابق، ص٥٩-٦٠.

المصادرُ والمراجع

أوّلاً: المصادر:

١- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، جـ٢، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.

٢- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جـ١، كتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٨م.

٣- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، شركة نوابغ الفكر، ٢٠٠٩م.

٤- الحميري: الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص٤٢٥-٤٢٦.

٥- ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠١١م.

٦- المقريزي: البيان والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب، رسائل المقريزي، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث، ٢٠٠٦م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

٧- باسيل دافيدسون: أفريقيا القديمة، ترجمة: نبيل بدر وسعد زغلول، مراجعة: محمود الكيال، سلسلة من الشرق والغرب، عدد٣٩، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٨- جبار حميد الربيعي: الرسوم الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في ليبيا، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، عدد٣١، ٢٠١٧ م.

٩- جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتورة (قسنطينة)، الجزائر، ٢٠٠٨م.

١٠- حندوقة إبراهيم فرج: نماذج من الحضارات الأفريقية القديمة وآثارها، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١١- رولاند أوليفر: موجز تاريخ إفريقية، ترجمة: دولت أحمد صادق، سلسلة دراسات إفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٢- سام إبشتين: الصحراء، ترجمة: الدكتور مصطفى بدران، دار المعارف، طـ٦، ١٩٨٩م.

١٣-عاطف معتمد: الفن الصخري، محاضرات في الفكر الجغرافي، بيت الجغرافيا، ٢٠١٧م.

١٤-عبد اللطيف البرغوتي: التاريخ الليبي القديم، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.

١٥-كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ترجمة: مختار السويفي، هيئة الكتاب، ٢٠٠٢م.

١٦- هـ. جـ. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، جـ١، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويش، المركز القومي للترجمة (سلسلة ميراث الترجمة)، القاهرة، ٢٠١٨م.

١٧-هنري لوت: لوحات تسيلي ، قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس، دون تاريخ.

١٨- ياسين صالح كريم: الجيولوجية التاريخية، جامعة تكريت، العراق، د.ت.

١٩- الموسوعة الثقافية،مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٢م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

20-D.Whitten & J. R. V. Brooks: The Penguin Dictionary of Geology، Penguin Books، London، 1975.

21-Henri Lhot; A la Decouverte des Fresques du Tassili، Arthaut، Paris، 1973.

22-Hugot: Recherches Pre-Historiques dans l'Ahggar ، Paris،1963.

23------; le Sahara avant le Desert، Editions des Hesperides، Pars، 1974.

24- Gautier: le Sahara، Paris، 1928.

25- Hutchinson's New 20th Century Encyclopedia: Edited by; E. M. Horsely،

26- J. De Pois: Geographie de l'Afrique du Nord-Ouest، Paris، 1967.

27- Said Ben Harrai: Un Nouveau Site Rupstre dans la Vallee du Draa، 1re Rencontre Nationale sur l' Art Rupstre au Maroc، Agadir، Mai 2017.

28- The New American Desk Encyclopedia: New York، 1984.

London29- The Cambridge Paperback Encyclopedia: Edited by: David Crystal، Cambridge University Press، 1986.

• • •

أرشيفُ المستقبل وكتابةُ التاريخ في ظلّ التقنية الحديثة

الدكتور
المحجوب قدار

دكتوراه في التاريخ الوسيط
أستاذ باحث في تاريخ الغرب الإسلامي
المملكة المغربية
elmahjoubkeddar@gmail.com

مقدّمة

أضحى التطورُ السّريع الذي يعرفه العالم وما يرافقه من تحوّلات عديدة يفرض تحدياتٍ متزايدة على مختلفِ مناحي الحياة العامّة للبشرية، بما فيها طريقة التفكير والنّظر للأشياء وطبيعة العلاقات الاجتماعية وهيكلية العلوم ونمط الحياة اليومية. فالتقدّم الهائل الذي حقّقته التقنية في عالم اليوم أضحى يعد الإنسان بآفاق مستقبلية يصعب التنبّؤ بها على مختلف الأصعدة، لا سيّما مع ظهور أنماطٍ جديدة في الحياة اليومية للبشرية في مقابل اختفاء مظاهر وأشياء أخرى. ومن الطبيعي أن يكون للتغيّرات المرافقة لهذه التقنيات الحديثة آثارٌ مهمّة أيضًا على طبيعة العلوم ومنهجيتها، لا سيّما العلوم الإنسانية منها. ذلك أنّ معظم العلوم الإنسانية تستند إلى الوثيقة، بما فيها علمُ التاريخ الذي يقوم أساسًا على الوثيقة كمصدرٍ أساسي في إعادة بناء الوقائع التاريخية وتحليلها وتفسيرها وفق منطق معيّن، إلّا أنّ الإشكال أنّ عالمَ اليوم أضحى بدونِ أوراق أو يكاد. فبعدما كانت الوثيقة الورقية مركزية في عملِ المؤرخ أصبح مفروضًا على هذا الأخير التعامل مع نوعٍ جديد من الوثائق، مع ما تحمله هذه العملية من مخاطرَ وتحديات. وفي مقدّمتها معيارية الوثيقة الإلكترونية، وشكلها، ونوعها ومصدرها إلى غير ذلك من الخصائص. من جهة أخرى فالسّرعة التي يسير فيها عالمُ اليوم في تدفّق المعلومات تطرح على المؤرخ إشكالية أخرى؛ وهي الزّخم الكبير في المعلومات إلى حدّ التخمة، بعدما كان يعاني في وقتٍ سابق من ندرة المصادر. المتغيرات الجديدة ستفرضُ على مؤرخ الغدِ أيضًا أن يكون على درايةٍ كبيرة بالتقنيات الحديثة، إذ لن يكون هناك مكانٌ للباحثين في العلوم الإنسانية، ومنها التاريخ إلّا بالانخراط في عالم التقنية من بوابة الوعي بها. وبناء عليه فالسّؤال الأكبر في هذه الورقة إذن يتعلّق بمشروع كتابةِ التاريخ على ضوء أرشيف البيانات الضخمة والمعلومات المتسارعة؟ ثمّ ما إيجابيات الأرشيف المستقبلي الذي سيعتمدُ عليه المؤرخون المستقبليون؟ وما التّحديات التي قد تعوق عملهم؟

ا- فكرة الوقت في زمن التقنيات الحديثة المتسارعة

من الواضحِ أنّ التطور المتسارع للتكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على مختلف مجالات الحياة قد أثر على فكرة الوقتِ ومفهوم الماضي[1]، صحيح أنّ الوقت يبقى هو نفسه من حيث عددِ ساعات اليوم وأيام السنة، لكن السّرعة التي يسير بها عالمُ اليوم هي التي أعطتْ معنًى آخر لفكرة الوقت. ووفقًا لبعض علماء النفس، فإنّ الطريقة التي نتفاعل بها مع التكنولوجيا يمكن أن يكون لها تأثير عميق على الطريقة التي نعيش بها الوقت، فالجلوس أمام أجهزةِ الكمبيوتر طوالَ اليوم، نواجه باستمرار ساعة تخبرنا عن الوقت، والاعتماد المفرط على التكنولوجيا والتحقق باستمرارٍ من البريد الإلكتروني والشبكات الاجتماعية، والتشتّت الذي تحدث لنا عن طريق تنبيهات أجهزتنا المحمولة، كلّ ذلك يؤثّر على الطريقة التي ندرك بها بالوقت، بل وأيضًا على الطريقة التي نفكر بها[2].

إنّ تدفق المعلومات والأخبار في عصر التّسارع أضحت تتمّ في كلّ دقيقة وثانية، بل في كلّ جزء من أجزاءِ الثانية، مما جعلَ الماضي يدفن تحتَ طبقات غير محدودة من المعلومات المتسارعة، ولعلّ هذا ما

-(1)Ravinder Kaurp، Archives and sources writing history in a paperless world: Archives of the Future، Oxford University Press، History Workshop Journal Issue 79، 2015، p 244- 245.

-(2)John Boyd and Philip Zimbardo، The time paradox: understanding and using the revolutionary new science of time، FREE PRESS، New York، 2008.

يجعل مراجعة فكرتنا عن الماضي نفسه ملحّة أكثر من أيّ وقت مضى. ولا شكّ أنّ المؤرخ سيضطر في العصر الرقمي إلى التفاعل مع الحاضر المعاصر إذا أراد أن يكتب ماضيه المستقبل[٣].

فبعدما كانت التحولاتُ الكبرى في الماضي تحدثُ على مسافات زمنية ممتدة، أصبحنا نرى كيف أن التحولاتِ أصبحتْ تحدث بوتيرةِ أسرع أكثرَ من المتوقع. فالمتأمّل في الماضي البشري سيجد أن التحولات كانت تسير ببطء كبير إذا ما قورنتْ بالزّمن الراهن، على الأقلّ إلى حدود الثورة الصناعية خلال القرن ١٨م، ومنذ هذه الفترة الأخيرة بدأت تتسارع الأحداثُ بشكل تدريجي، لكن النقلة النوعية في هذا التحول كانت مع بروز تيار العولمة، وما رافقه من ظهور للأنترنت وآليات التواصل الحديثة. فإذا كانت الحربُ العالمية الثانية قد ساعدت على الدّخول في عصرِ ما يسمّى بالعلوم الكبيرة، فيمكن اعتبارُ الألفية الجديدة عصر البيانات الكبيرة بامتياز[٤]، مع أنّ الفارق الزمني بين نهاية الحرب العالمية الثانية وبدايةِ الألفية الجديدة لا يتعدى نصف قرن. وهكذا فتأثر فكرة الوقت وإدراكنا للزمن قد ارتبطَ بشكل أو بآخر بالتطور التكنولوجي أساسًا. ذلك أن التكنولوجيا الحديثة قد اختزلتِ الوقت، وأخضعته لما يشبه الضّغط، وهذا من شأنه أن يغيّر من مفهوم الماضي في العصر الرقمي.

٢- في الحاجة إلى تعريف الوثيقة التاريخية في العصر الرقمي

لطالما كانت الوثيقةُ مدار سجالٍ مستمرّ بين المدارس التاريخية المتعددة سواء على مستوى ماهيتها أو طبيعتها. فإذا كانت مكانة الوثيقة جوهريةً في عملية التأريخ عند روّاد المدرسة المنهجية[٥]، فإنّ مدرسة الحوليات قد أزالتِ الصفة الجوهرية عنِ الوثائق على اعتبار أنّ التاريخ أكبر وأشمل من الوثائق التي تركها ودونها، إذ يمكن الاستنادُ إلى معلوماتٍ لانهائية في بناءِ التاريخ، بما فيها المفردات والرموز التي يمكن استنباطُها من المناظر الطبيعية، ومِن تركيبِ الآجر، ومن أشكال المزارع، ومن الأعشاب الطفيلية، وغيرها[٦].

والملفت للانتباه أنّ مدرسة الحوليات لم توسعْ من مفهوم الوثيقة فقط، بلْ جعلت حقلَ التّاريخ أكثرَ انفتاحًا على باقي العلوم الاجتماعية والإنسانية كعلمِ الاجتماع والآثار والديمغرافيا وغيرها[٧]، زيادة على كونها وسعتْ من مفهوم الزمن، إذ ركّزت أكثر على مفهومِ التأريخ للفترةِ الطويلة أو المدى الطويل، وهو التاريخ البنيوي[٨]. أمّا تيار التاريخ الجديد فقد استمرّ على نفْس نهج الحوليّات في توسيع مفهوم الوثيقة التاريخية لتشمل إلى جانبِ المكتوبة بجميع أجناسها الوثائق التصويرية بما فيها الصورُ والأفلام، ونتائج البحوث الأثرية والروايات الشفوية وغيرها من الوثائق[٩].

لكنّ علاقة المؤرخ بالوثيقة في العصر الرقمي، والعالم الشبكي المفتوح المصدر، ستشهد مزيدًا من التعقيد، إذْ أصبح المؤرّخ أمامَ نوع جديد من الوثائق هي مِن نوع الوثيقة "المتدحرجة" المتحركة المتعددة الأبعاد التي تحلّ مكان الوثيقة الصامتة الساكنة أو المحدودة الأبعاد. وتزداد أهمية هذه الوثيقة الجديدة في كوْنها تتجاوز المستوى القومي أو الدولتي إلى المستوى العالمي على مستوى التّداول، كما تتجاوز المستوى الهرمي إلى المستوى الشبكي المفتوح على مستوى الإنتاج[١٠]. كما تكمنُ أهميتها في قدرتها على تشكيلِ الواقع وتغييره وفقًا لمتغيرات جديدة أعطتِ القدرة للجميع على الإسهام في إنتاجِ المحتوى، فتغريدات وتدوينات المؤثّرين على مواقع وصفحات التّواصل الاجتماعي، وباقي العالم الافتراضي أضحت تسهمُ اليوم بشكلٍ كبير في تشكيل الرأي العام، حيث تظهرُ في هذا النوع من

- (3)Kaurp، Archives and sources، p 252.
- (4)Lisa Gitelman، "Raw data" is an oxymoron، Infrastructures Series،The MIT Press، Cambridge، Massachusetts، London، 2013، p 3.

(٥) - هرنشو، علم التاريخ، ترجمة وتعليق: عبد الحميد العبادي، سلسلة المعارف العامة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧، ص ١٢٤-١٢٥. حبيدة محمد، المدارس التاريخية، دار الأمان، الرباط، ص ٤٢.

(٦) - عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط. ٤، ٢٠٠٥، ص ٨١.

(٧) - التيمومي الهادي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط. ١، ٢٠١٣، ص ١٧٩- ١٨١.

(٨) - وجيه كوثراني، تاريخ التاريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط. ٢، يونيو ٢٠١٣، ص ٢١٢- ٢١٣.محمد جمال باروت، تحديات الوثيقة التاريخية بين المفهومين التقليدي والرقمي، ضمن ظاهرة ويكيليكس جدل الإعلام والسياسة بين الافتراضي والواقعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط. ١، سبتمبر ٢٠١٢، ص ٣٢٣.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بروديل ميّز بين ثلاثة مستويات من الزمن التاريخي المديد، هي زمن التاريخ الثابت، أي تاريخ الإنسان في علاقاته بالمحيط الذي يعيش فيه، وهو زمن بطيء الجريان والتحول، ثمّ الزمن الاجتماعي، ثمّ التاريخ التقليدي أو التاريخ الحدثي وهو يقاس بتاريخ الأفراد. انظر: وجيه كوثراني، تاريخ التاريخ، ص ٢١٢- ٢١٦.

(٩) - باروت،تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٣٢٤. فتحي ليسير، مؤرخ الزمن الراهن، ص ٢٩٥- ٢٩٦. وحيد قدورة، «الحاجة إلى الأرشيف السمعي البصري لإنتاج الوثائقيات بين الحفظ والرقمنة»، مجلة الإذاعات العربية، العدد ٢، ٢٠٠٧، ص ٤٣.

(١٠)- باروت، تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٣٣١.

الوثائق أدوارَ اللاعبين كما تحضر فيها السيرورة كما حدثت[١١].

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ التحول الذي طال الوثيقة الورقية لم يهمّ الشكل فقط؛ بل شمل المفهوم أيضًا، وهذا جوهرُ التحول، فالوثيقة الإلكترونية كيانٌ جديد ينتج نفسه بأدوات معرفية مختلفة جذريًّا عن ثقافة الورق والمطبعة[١٢]. دون أن ننسى أنّ التحوّل إلى الوثيقة الإلكترونية لا يلغي أهميةَ الوثيقة الورقية، بل ستستمر هذه الأخيرة إلى جانبِ الأولى، وإن تقلّص حجم تداولها بشكل كبير. فاليوم وبدلًا من الطباعة والتوزيع، نقوم بالتوزيع ثمّ الطباعة. أوْ بعبارة أخرى، نحن نقومُ بإرسال الملفّ إلكترونيًّا إلى المستلم، الذي يقوم بعد ذلك بطباعته[١٣]. لكنْ يبدو أنّ حديث البعض عن مكتب بدون أوراق قد بات أمرًا وشيكًا[١٤].

من جهة أخرى أضحى الحاسوبُ بوصفه أداة العالم الشبكي الجديد يفرضُ نفسَه بقوة كوسيلة ضرورية للمؤرخ في سياق الوثيقة الإلكترونية الافتراضية، وإذا كان البعضُ قد اعتبر الحاسوب مجرّد أداة لـ "جعل التاريخ أكثر علمية لأنّه موثق بدقة أكثر" في إطار التاريخ الكمي والجدولي، فإنّ البعض الآخر رأى "إنّ مؤرخ الغد يكون مبرمجَ حاسوب، أو لا يكون"[١٥]. وعمومًا فالانتقال من الورق إلى الأرقام، والعالم الشبكي قد فرض على المؤرخ ضرورة ملازمة الحاسوب، والتجوّل بين صفحات المواقع، عوض التموضع بين جنبات المكتبات ورفوفها المكتبية والورقية[١٦].

إنّ الاتجاه العام نحو الرقمنة في كلّ مناحي الحياة العامة يجعل العالم مقبلًا أكثر على عالم مفتوح المصدر، ولعلّ هذا ما يجعل من إعادة تعريف الوثيقة أمرًا ملحًّا، لا سيّما في سياق ولادة الوثيقة الرقمية والوثيقة التفاعلية وما يطرحه ذلك من تحديات التّزييف وقلب الحقائق، كما يُلزم المؤرخ بإعادة النظر في أدوات اشتغاله لمواجهة إشكاليات عصر التقنية

(١١) - المرجع نفسه، ص ٣٣١- ٣٣٢

(١٢) - المرجع نفسه، ص ٣٣٦

-(13)Abigail J. Sellen and Richard H. R. Harper، The Myth of the Paperless Office، Massachusetts Institute of Technology، 2002، p 14.

-(١٤)see: Abigail J. Sellen and Richard H. R. Harper، The Myth of the Paperless Office، Massachusetts Institute of Technology، 2002.

(١٥) - باروت، تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٣٢٩- ٣٣١

(١٦) - المرجع نفسه، ص ٣٣٥.

الحديثة وعصر المعلومة[١٧].

٣- أرشيفُ المستقبل وإشكالية البيانات الضخمة

جرتِ العادة في أعراف كتابةِ البحوث الأكاديمية إشارة الباحث سواء في المقدمة أو في الخاتمة إلى أهمّ الصعوبات التي واجهته أثناء إنجازه لبحثه، وغالبًا ما كانت أكثرُ الصعوبات التي يتفق فيها معظم الباحثون هي ندرةَ المصادر والمراجع، وصعوبة الحصول عليها. ولمْ يكن هذا التّعبير الأكاديمي مجرّدَ تعبير مجازي، بل كان في معظم الحالات تعبيرًا واقعيًّا يعكس وضعَ الندرة وصعوبة الوصول إلى المعلومة. لكن يبدو أنّ واقع الندرة قد أضحى يتغيّر بشكل ملحوظ، إلى درجة أنّ الأمر قد يصبح معكوسًا مع العصر الرقمي، أي الانتقال من مشكل النّدرة إلى مشكل الكثرة إلى حدّ التُّخمة. والأمرُ لا يتعلق طبعًا بكثرة المعلومات عن كلّ المواضيع بقدر ما يتعلق الأمرُ باتّساع أفق المحفوظات والموارد التي يمكن للباحثِ أن يبحث فيها عن المعطيات.

فالعالمُ الشبكي الآخذ في التمدّد لم يزدْ من وثيرة التشابك والاتصال على المستوى العالمي فقط، بل رفع من حجم تدفّق المعلومة بشكل هائلٍ لم يسبقْ له مثيل، إذ تشير الأرقامُ إلى أنّ محرك جوجل لما أنشئ سنة ١٩٩٨ كان يتلقى ١٠٠٠٠ عملية بحث يوميًّا، تضاعف هذا الرقم بعدَ ستّ سنوات بأكثر من عشرين مرة. أمّا الأرقام الرهيبة فهي التي سيشهدها العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، فبحلول سنة ٢٠١٤ سجل نفس المحرك ٤٠ ألف عملية بحث في الثانية، و٣،٥ مليار طلب بحث في اليوم، و١،٢ تريليون طلب سنويًّا. ويمكن تفسيرُ ذلك بالتزايد الكبير في عددِ مستخدمي الإنترنت، إذِ انتقل عددُهم من ١٦ مليون سنة ١٩٩٦ إلى ٢٩٣٧ مليون في مارس ٢٠١٤، ثمّ إلى ٤٥٧٤ في مارس ٢٠٢٠[18].

ولا شكّ أنّ هذه الأرقام تعكس الزحفَ الرقمي الهائل الذي أصبح واقعًا، متجاوزًا بذلك كلّ التوقعات، وكان من الطبيعي أنْ يصاحب هذا التوسع الرقمي الكبير انفجارٌ مهول على مستوى تدفق المعلومات، فالطابع المفتوح لهذا العالم الجديد يسّر للجميع إمكانيةَ الإسهام في المحتوى على المنصات المتعددة. ويزداد الأمر تعقيدًا مع وسائل التواصل

(١٧) - باروت، تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٣٣٦.

-(18)https://www.internetworldstats.com/stats.htm (accessed 30 Apr. 2020)

الاجتماعي المتعددة، إذ يصعبُ التحكم بالتدفق الهائل للرسائل والمعلومات والوثائق على مستويات متعدّدة. لا سيّما مع الأرقام الهائلة التي تشير إليها الإحصائيات، إذ بلغ عددُ الحسابات النشطة في الفايسبوك بتاريخ ٣٠ أبريل ٢٠٢٠ أكثر من ٢٤٨٧ مليون حساب، بينما تجاوز عدد التغريدات في تويتر أكثر من ٨٩٤٩ تغريدة في الثانية الواحدة، أمّا انستغرام فتحمل عليه حوالي ٩٨٧ في الثانية، وبلغت المشاهدات على اليوتيوب أكثر من ٨٣٧٩٤ مشاهدة في الثانية الواحدة، بينما سجّل جوجل أكثر من ٨٢٤٢٠ عملية بحث في الثانية الواحدة، ويتمّ إرسالُ أزيد من ٢٩٠٥ مليون رسالة في الثانية على الإيمايل[١٩].

وممّا يسترعي الانتباه أنّ البيانات الضخمة المتراكمة اليوم جرّاء الاتصال الشبكي لم تعدْ حكرًا على الأشخاص والمتداولين فقط، بل أضحتْ ملكًا للكثير من الجهات، إذ توظّفها السلطات الحكومية وغير الحكومية في مجالاتٍ متعددة، فعلى أساسها تبنى القراراتُ السياسية الحديثة من قبَل هذه السلطات. كما أنّها تمثل أساس بروتوكولات الصّحة العامة والممارسات الطبية، والبيانات التي تدعم إستراتيجيات الاستثمار والأدوات المشتقة للرأسمال. فضلًا عن كونها تشيرُ إلى ما نعرفه عن الكون، وتساعد في التنبيه إلى ما يحدث لمناخ الأرض من تغيّرات[٢٠]. وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا إنّ البيانات الضخمة هي التي مكّنت الصين من القضاء على فيروس كورونا المستجد قبل غيرها[٢١].

لقدْ أسهمت هذه الثروةُ الرقمية في إحداثِ التحوّل أيضًا من العصر الهرمي الذي تتحكم فيه النخبة إلى العصر الشبكي الذي تنزلقُ فيه سلطة المعلومات والوثائق من قبضة النّخب المسيطرة، وما يعنيه ذلك من تدويل الإنتاج والتوزيع بواسطةِ الشركات المتعددة الجنسية وما بعدها، ولا مركزية الإنتاج والتوزيع والتشغيل في العالم.

- (19)https://www.internetlivestats.com/ (accessed 30 Apr. 2020)

-(20)Lisa Gitelman ، “ Raw data ” ، p 2.

(21)-https://www.liberation.fr/debats/2020/04/05/la-revolution-virale-n-aura-pas-lieu_1784260 (accessed 30 Apr. 2020)

استخلص الفيلسوف الألماني ذو الأصل الكوري الجنوبي في مقال له أنّ الأسيويين قد تمكنوا من احتواء الفيروس اعتمادًا على المراقبة الرقمية واستغلال البيانات الضخمة، إذ تجنّد علماء الكمبيوتر والمتخصصون في البيانات الضّخمة إلى جانب علماء الفيروسات والأوبئة في مواجهة الوباء. فقد قامت الصين بتركيب 200 مليون كاميرا على أراضيها بنظام متطوّر للغاية، يمكن من التعرف على الوجه في كل مكان، في المتاجر والشوارع والمحطات والمطارات، تقوم هذه الكاميرات بفحص كلّ مواطن وتقييمه، كما تقيس درجة حرارة الأفراد وتقوم بالإخطار عن الأشخاص ذوو الحرارة المرتفعة بشكل غير طبيعي، كما استعانت أيضًا بالطائرات بدون طيار لمراقبة الحجر الصحي، إذ بمجرد ما إنْ يحاول شخص خرق الحاجز إلّا وتقترب منه طائرة بدون طيار وتأمره بصوتٍ تلقائي بالعودة إلى بيته. وبالرغم من انتهاكها لحدود الخصوصية الفردية بشكل سافر وغير محدود إلّا أنها قد مكنت من إنقاذ أرواح البشر. انظر الرابط أعلاه.

والواقع أنّ الانتقال من العصر الهرمي المغلق إلى العصر الشبكي المفتوح قدْ واكبه تحوّل مهمّ على مستوى انْسيابية الوثائق ووفرتها، إذ تمّ الانتقالُ من عصر الندرة في الوثائق إلى عصر الوفرة، سواء على مستوى حجم المعلومات أو سرعة توزيعها، وتداولها عبر شبكات الاتصال. كما أنّ التكنولوجيات الحديثة قدْ مكنت الباحثين من تجاوز وساطة البيروقراطية التي كانت تفرضُها الموارد الورقية والكتبيّين المتحكمين بمنافذ الوثائق[٢٢]. الأكثر من ذلك أنّ التحوّل الطارئ قد أتاح للمتأثّرين فرصة صياغة الوثيقة أو المعلومة بطرائق منهجية جديدة، وهكذا تمّ الانتقالُ أيضًا من عالم الإنسيكلوبيديا إلى مرحلة الويكيبيديا، مع ما يعنيه ذلك من تراجع للمكانة التقليدية للمؤرخ في الوصول إلى الوثائق والتحكم بها[٢٣].

٤- تحدياتُ أرشيف المستقبل ومهام المؤرخ

على الرغم من أهميةِ الإمكانات التي يمكن أن يوفّرها أرشيف المستقبل، إلّا أنّه يطرح في المقابل مجموعة من الإشكالات، فالتحولُ من عصر الطباعة إلى العصر الرقمي أضحى يفرض على المؤرخ مهامَّ أخرى في مقدّمتها صعوبة مواكبة التقنيات الجديدة، والوثيرة المتسارعة لتوليد البيانات وتراكمها وتداولها وتناولها، واتساع نطاقها. فالبياناتُ تتراكم بكميات مذهلة، إلى درجة أنّ قواعد البيانات اليوم تتعامل يوميًّا ليس فقط مع تيرابايت ولكنْ مع بيتابايت من المعلومات[٢٤]. الشيء الذي قد يفرض سؤال كيفية التعامل مع هذا الأرشيف الهائل من الوثائق الرقمية غير المحدودة وغير المادية[٢٥]. من جهة أخرى يبدو أنّ استخدام المعلومات الديناميكية وطرق البحث التقنية الجديدة التي تتجاوز الفهارسَ الجامدة وطرق البحث التقليدية قد تعد بالكثير على مستوى تيسير عمليات

- (22)Kaurp، Archives and sources، p 251

(٢٣) - باروت، تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٣٣٣- ٣٣٤.

-(24)Lisa Gitelman ، “ Raw data ”، p 2.

وهي عبارة عن وحدات تخزين المعلومات: 1 تيرابايت تساوي 1000 جيغابايت، بينما 1 بيتابايت تساوي 1000000 تيرابايت.

(٢٥)- باروت، تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٢٤٤.

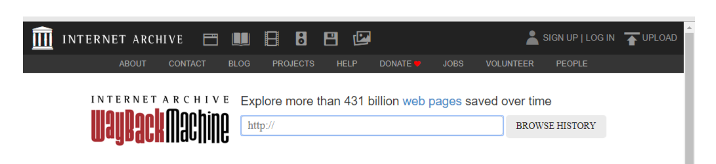
البحث في قواعد البيانات الضخمة[26]، إذ تمكن هذه التقنية الجديدة من البحثِ عن كلمة معينة بين ملايين الكتب في ثوانٍ معدودة، وهو الأمرُ الذي كان بعيدَ المنال مع الأرشيف التقليدي. كما أتاحت هذه العمليةُ للباحثين إمكانيةَ توسيع نطاق البحث حول العالم.

ومعَ أهمية ما يتميّز به العصر الرقمي من انفتاحٍ كبير إلّا أنه يجعل التحكم ببعض المعطيات أمرًا صعبًا بفعلِ التّشفير المفروض عليها، وبالتالي لا يمكن الولوجُ إلى تلك المعطيات إلّا بفكّ رموز التشفير عن طريق إفصاح أحدِ الأطراف عنه، أو عن طريق التسريب كما حدث مع موقع ويكيليكس Wikileaksوالذي سمح بالنفاذ إلى الأرشيفات السرية من دونِ وساطة المؤسسات الأرشيفية[27]، أمّا الطريقة الثالثة فهي التي قد تتمّ عبر القرصنة التي يحترفها مخترقو الأنظمة والبرامج. ولا شكّ أنّ هذا الواقع الرقمي قد يفتح الأمرَ أمام إنتاج وثائق مزيفة لخدمة أغراض سياسية أو اقتصادية أو انتخابية أو تنافسية، أو ما شابه ذلك، مما سيجعل من استغلال هذه الوثائق الرقمية محفوفًا بالمخاطر، إذ يسهّل التدخل فيها والتلاعب بها من خلال إضافة أشياء وإسقاط لأخرى[28]، ولعل هذه ما سيعقّد من مهمّة المؤرخ في النقد الداخلي والخارجي للوثيقة الجديدة، ويعززها في الوقت نفسه[29].

المتتبّع لأخبار الشبكة العنكبوتية سيدرك مشكلًا من نوع آخر سيصطدم به مؤرّخو المستقبل، وهو مسألة اختفاء الكثير من المواقع، فإذا كان ظهورُ مواقع جديدة إشارةً إلى زيادة مصادر المعلومة، فإن اختفاء البعض منها يشير إلى فقدانِ مصادر مهمّة كان من الممكن أنْ تؤمن العديد من الإشارات التي قد تفيد المؤرخ. وفي هذا السياق يمكن الإشارةُ إلى أحدِ المواقع الإلكترونية الذي اكتسى شعبية كبيرة في الهند بين سنتي ٢٠٠٧ و٢٠٠٩[30]، فقدْ وفّر للمواطنين منصة مشتركة للتّعبير عن سخطهم من الحكومة الفاسدة وسبل مقاومتها، وبعد قرابةِ السّنتين اختفى الموقعُ بدون سابق إنذار، ولم يعدْ أمام المتصفّح للموقع سوى عبارة "الخدمة غير متاحة"، حدث هذا الأمر بعد أنْ أصبح الموقع يعجّ بالعديد من الوثائق والصور والفيديوهات والنقاشات التي كانت ستساعد مؤرخَ المستقبل في فهم تيارات السياسة والإعلام وطبيعة المجتمع في الهند خلال تلك الفترة[31].

ووعيًا بخطورة ضياع الأرشيف الرقمي فقد ظهرتْ بعض المحاولات التي تستهدف الحفاظ على السجلات والمحفوظات الرقمية، مثل موقع www.archive.org غير الربحي الذي بدأ سنة ١٩٩٦، وموقع www.alexa.com الربحي. وبالموازاة معَ ظاهرة اختفاءِ بعض المواقع ظهرت بعضُ التقنيات التي تقوم بنسخ وتخزين لقطاتٍ دورية لصفحاتِ الويب وفهرستها في قاعدة بياناتها، بحيث يمكن التعرفُ مثلًا على شكل أي موقع، وبعض محتوياته منذُ نشأته، وإلى حدود اليوم، مما سيوفّر إمكانية رصد تطور محتوى الإنترنت وتغيراته عبر الزمن.

وقد حمل موقع أرشيف الإنترنت على عاتقِه هذه المهمّة من خلال آلة Wayback Machine.



صورة ١: واجهة Wayback Machine

لكنّ اللقطاتِ التي يتمّ التقاطُها للمواقع من طرفِ هذه الآلة تبقى قليلة في بعض الحالات، وقد تفوت الأحداث المهمّة، أمّا نسبة الاستردادِ بالنسبة للمواد المفقودة فتبقى ضعيفةً بشكل كبير[32]. من المبادرات المهمّة أيضًا في حفظ الأرشيفِ الرقمي ما قامت به بعضُ الدول مثل الدنمارك، ويتعلق الأمرُ بموقع www.netarkivet.dk، التي أطلقتْه المكتبة الملكية الدنماركية في عام ٢٠٠٥ بهدف الحفاظ على التراث الثّقافي الدنماركي في العصر الرقمي، لكنها تركّز على ما كتب باللغة الدنماركية في مختلف المجالات، من خلال أربع عمليات جمع في السنة، ومع أنّها توفر أرشيفًا غنيًّا للمستقبل، إلّا أنّها تبقى بدورها انتقائية، ولا يصل التقاطُها إلى عمقِ واتّساع الإنترنت الكامل باللغة الدنماركية[33].

ومع تقديرنا لمحاولاتِ الحفاظ على أرشيف الإنترنت،

(26)- Wolfgang Ernst، Digital Memory and the Archive،Electronic Mediations، Volume 39،University of Minnesota Press، London، 2013، p 81.

(٢٧) - فتحي ليسير، «مؤرخ الزمن الراهن في العالم العربي ومعضلة الصادر ملاحظات عامة حول الحالتين التونسية والليبية»، مجلة أسطور، عدد ١١، يناير ٢٠٢٠، ص ٢٨٩.

(٢٨)- باروت، تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٣٣٤.

(٢٩) - المرجع نفسه، ص ٣٣٤.

- (30)www.lead.timesofindia.com

-(31)Kaurp، Archives and sources، p 245.

- (32)Kaurp، Archives and sources، p 249.

- (33)ibid، p 249.

إلّا أنّها تظلّ قليلة جدًّا في مقابل الاتساع المتزايد لنطاقِ هذا الأخير، الشيء الذي يهدّد بفقدان المعرفة التي تمّ إنتاجها بنفس السرعة التي تمّ إنتاجُها بها، لا سيّما مع الطبيعة الهشة للمعلومات المتاحة على الإنترنت[٣٤].

أمّا استغلالُ بيانات وسائل التواصل الاجتماعي فيطرح إشكالاتٍ أخرى، فهي ليست متطابقة أو موحّدة في أيّ شاشتين، الشيء الذي يجعل هذا الجانبَ من الإنترنت المتاح للجمهور بشكلٍ قياسي مختلف تمامًا عنِ المصادر التقليدية مثل الصحف والمجلات والكتب[٣٥]. لا سيّما وأنّ كلّ مضامين وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة رقمية (صور، وثائق، نقاشات، تفاعلات...)، فضلًا عن عمليات الحذف التي تطالُ هذا النوع من البيانات، وما يطرحه ذلك من إشكالات. وممّا يزيد من أهمية بيانات هذه الشبكات بالنسبة لمؤرخي المستقبل قدرتُها الكبيرة على تكثيفِ العلاقات الافتراضية بين الناس على النّطاق العالمي الواسع، وإسهامها الكبير في صنع الرّأي العام، وخلق شبكات التّعبئة العامة حول مواضيع وأحداث معيّنة تتجاوز المستوى التجاري إلى التأثير في القرارِ السياسي، بل إنّ جزءا كبيرًا من الاحتجاجات والحملات السياسية أصبح يجري على هذه المواقع والتّطبيقات الإلكترونية بالأساس، ويكفي أنْ نتذكّر في هذا الصدد دورَ مواقع التواصل الاجتماعي في بروز الربيع العربي بدءا من سنة ٢٠١١ وإسقاط العديد من الأنظمة السياسية التي عمرت لعقود.

ومعَ الزحف الرقمي على كلّ ما هو ورقي أضحتْ بعضُ البيانات تتميّز بطابع الازدواجية، إذ يتمّ إخراجها بالصيغتيْن الورقية والإلكترونية، دونَ وجود المطابقة الكلية بين الصيغتين، إذْ غالبًا ما تضمّ الصيغة الإلكترونية مُعطيات أكثر، وأوسع مما قدْ يربك المتتبّع لمثل هذه البيانات الأرشيفية. إلّا أنّ الاتجاه العام الذي أصبحت تفرضه سيرورة التطوّر ومتطلبات السوق وسرعة التداول واتّساع نطاقه؛ قد فرضَ طغيان الرقمنة أكثر فأكثر. ذلك أنّ معظم الصحف ودور النشر قد أرغمتْ على الانتقال إلى الصيغة الإلكترونية لقلّة تكلفتها وقدرتها على الانتشار الواسع، مما سيجعل كلَّ الأرشيف افتراضيًّا بشكل شبه كلي في المستقبل.

مِن المشاكل الأخرى التي يطرحُها أرشيف المستقبل مسألةُ ملكية البيانات والمناقشات وخصوصية المستخدم، فإذا كانت المحفوظاتُ التقليدية تُصان من طرف الجهاتِ الحكومية، فإنّ البيانات الرقمية أصبحت عرضةً للسيطرة عليها من قبَل الشركات الخاصة. ومما يزيد من خطورة الأمر أنّ تتبع هذه الشركات للمستخدمين لا يقفُ عند حدود المعلومات التي يتداولها المستخدمون على مستوى السّطح الرقمي، بل يصل إلى مستوى البيانات العميقة، التي تستغلّها لتتبع سلوك المستخدم مما يهدّد عنصرَ الخصوصية الفردية. فالمعلومات التي كانت تجمعها الحكومات عن طريق الاستقصاءات والدراسات خلال القرنين ١٩ و٢٠م أصبحت تقوم بها الشركات عنْ طريق تتبع الكلمات المبحوث عنها في محركاتِ البحث من أجل الترويج للإعلانات، وخدمة الأغراض التّجارية والربحية، حيث تمكن التقنيات الحديثة من تتبّع أنماط استهلاك الأشخاص وميولاتهم ورغباتهم، ليس على مستوى الاستهلاك فقط؛ بل حتى على مستوى الأفكار والتوجهات الأيديولوجية[٣٦].

وفي الوقت الذي أصبح فيه الإنترنت يطوقُ مختلفَ حياتنا، مشتملًا على آثار الإنسان الفكرية والحضارية المختلفة، نرى أنّ السجال مازال محتدمًا حول مدى سلامة الاعتماد على المعلومات الوارد في الشبكة العنكبوتية مِن عدمها، وهو سجالٌ له ما يبرره، بالنّظر لما أشرنا إليه من مخاطر التزييف التي قد تخضع له الوثيقة الإلكترونية. وإذا كانت بعضُ الأطراف قد أجازت الاستناد إلى معلومات المواقع الإلكترونية المفتوحة شريطة التقيد ببعض الشّروط مثل الإشارةِ إلى تسجيل تاريخ المشاهدة، فإنّ أطرافًا أخرى ومن ضمْنها بعض الجامعات الألمانية تحضر على طلاب الدراسات العليا الاعتماد على معلومات هذه المواقع تحذيرًا صارمًا[٣٧].

وتأتي مسألةُ السرقة العلمية من بين التّحديات الأخرى التي تطرحها البياناتُ الضخمة أيضًا، إذ يصعب ضبطها بالطّريقة التقليدية، بالنظر للحجم الكبير للأرشيف الذي ينبغي البحث فيه. ولأنّ التكنولوجيا الحديثة تتيح إمكاناتٍ كبيرة لحلّ الكثير من المشكلات، فقد أمكن التعامل مع هذا المشكل عن طريق برنامج Turnitin، وهو عبارة عنْ خدمة أمريكية تجارية عبر الإنترنت لكشف الانتحال، والتحقق من المحتوى المحتمل أن يكون غيرَ

- (34)ibid، p 249.
-(35)Kaurp، Archives and sources، p 248

-(36)Kaurp، Archives and sources، p 248. Lisa Gitelman، "Raw data"، p 3.

(٣٧) - باروت، تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٣٣٥.

أصلي من خلال مقارنة الأوراق المقدّمة بالعديد من قواعد البيانات باستخدام خوارزمية خاصّة، تقوم بمسْح قواعد البيانات الخاصّة بها، بما فيها قواعد بيانات ملكية أكاديمية كبيرة تربطها معها اتفاقيات ترخيص، إلى جانبِ نسخة من الإنترنت المتاح للجميع، حيث تستخدم الشركة زاحف الويب لإضافةِ محتوى باستمرار إلى أرشيف البرنامج. مما يجعل منه يتجاوز وظيفته لكشف الانتحال إلى كونه أحد بدائل حفظ الأرشيف الرقمي العالمي، بالرغم من بعض الانتقادات التي وجهت للبرنامج.

الملفتُ للانتباه أنّ عملَ المؤرخ قد يتّسع وفق هذه التطورات الحديثة، فبعدما كان يشمل عمله زيارة الأرشيفات، فهو مطالبٌ اليوم بأنْ يعمل أمين محفوظات أيضًا، لا سيّما وأنّ الأرشفة الممنهجة تبقى بعيدة المدى[٣٨]، وهذا في اعتقادي تطوّرٌ مهمّ في مشروع كتابة التاريخ في القرن الواحد والعشرين؛ مع ما يطرحه هذا الأمر من تحدّيات التخزين، فالتخزين السحابي يبقى غيرَ موثوق، أمّا التخزين الشخصي فيتطلب إمكانيات مادية كبيرة، وإنْ كان بدوره غير آمنٍ بدرجة كبيرة بحُكم الطابع الهشّ لهذه الآليات. وإذا كانت بعضُ الدول المتقدمة مثل الدنمارك والنرويج يوفّران التمويل العام الكامل للحفاظ على المعلومات الرقمية، بتخزينها لكتابة التاريخ في المستقبل، فإنّ مشروع كتابة التاريخ في جنوب الكرة الأرضية يبقى ضعيفًا بشكل كبير، إذ لم تجر إلّا محاولات قليلة للحفاظ على الحاضر الرقمي[٣٩].

مؤرخُ المستقبل تبعًا لما سبق أصبحَ ملزمًا أيضًا بتعلّم مهارات التعامل مع الأرشيف الرقمي، علاوة على إتقان التعامل مع التكنولوجيات الحديثة، بما فيها الطرقُ والأساليب التقنية الجديدة التي تمكنه من الوصول إلى المعلومة بسرعة أكبر، إلى جانب الانفتاح على بعض البرامج والتطبيقات المساعدة في معالجة البيانات المتعددة، وقبلَ كلّ شيء عليه أن يجدّد من مناهجه وأدوات بحثه، لا سيّما وأنّ موقع المؤرخ في بناء التاريخ قد تعرّض لمنافسة شديدةِ في عصر انتشار المعلومات والتدخل فيها[٤٠].

خاتمة

لقد أفرزتِ الثورةُ الرقمية الهائلة التي عرفها العالم تحوّلًا مذهلًا على مستويات متعددة، تحولات طالت المقاييس والأساليب المعتادة، قضتْ على أشياء كانت مألوفة، وأسهمت في ظهور أشياء أخرى جديدة. وإذا كانت البياناتُ الضخمة إحدى أهمّ إيجابيات هذه الثورة، فإنها أثقلتْ عاتق مؤرخي الراهن والمستقبل بتحديات جديدة، فالانتقالُ من الوثيقة الورقية المألوفة إلى الوثيقة الرقمية المستجدة أصبح يفرض على هؤلاء التفكير في طرائق جديدةٍ في التعامل معها، سواء على مستوى تقنيات النقد الداخلي أو الخارجي للوثيقة في سياق العصر الرقمي، في أفق الكشفِ عن زيف الوثائق والخروج بأقلّ الأضرار من عصر أصبحت الوفرة الوافرة أكثر خصوصيّاته بروزًا. وقبلَ ذلك على المؤرخين أنْ يفكروا في تعريف شامل لهذه الوثيقة الجديدة، تعريفًا يكفل الإحاطة بمختلف أشكالها المتعددة، ومستوياتها المختلفة، فضلًا عن بيان ضوابط التعامل معها.

لقد باتَ على مؤرخ المستقبل إذا أراد أنْ يحافظ لنفسه على مكانةٍ مُعتبرة ضمن باقي فروع العلوم الإنسانية أن يجدّد مناهجه، ويشحذ همّته لصقل معرفته بالتكنولوجيا الجديدة، ليس معرفة العوام بها بل معرفة المتخصّصين، بالشّكل الذي يمكنه من مواكبة هذا العصر، وإلّا سيجد نفسه متجاوزًا. أمّا مسألة أرشيف المستقبل فيبدو أنّ مشكلة الحفاظ عليه تتطلّب أكثرَ من حلّ تقني، وإلّا سيبقى مهدّدًا بالاختفاء.

• • •

-(38)Kaurp, Archives and sources, p 251.

-(39)ibid, p 251.

(٤٠) - باروت، تحديات الوثيقة التاريخية، ص ٣٢٩.

التاريخُ والمؤرّخون في ضوء مستجدات العصر

أ.د/ صالح حسن المسلوت

دكتوراه في التاريخ الوسيط
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
ورئيس قسم التاريخ والحضارة الأسبق في كلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالزقازيق

ليسَ من المستغرَب أنْ يكون ثلثُ تراثِ الفكر العربي في التاريخ، كما أنّه ليس من الغريب- أيضًا- أنْ يحتلّ التاريخُ بين فروع المعرفة الإنسانية مكانًا صدرًا، فإلى ما قبل الحرب العالمية الأولى كانت المؤلّفاتُ في التاريخ تكوّن خُمسَ المكتبة العالمية، وفي عصرنا هذا- رغم اتّساع ميادين المعرفة- مازالت مؤلفاتُ التاريخ تحتلّ موقعًا كبيرًا وضخمًا ممّا يُنشر كلّ عام، خاصّة إذا أضيف إلى ذلك النوعُ الجديد من الكتب التاريخية التي يؤلّفها غيرُ المتخصّصين من صحفيين وأطباء وأدباء.. إلخ.

ممّا يدلّ على أنّ التاريخ مازال أكثرَ فروع المعرفة الإنسانية قربًا إلى عقول وقلوب الناس. وفي عصرنا هذا- في ظلّ التكنولوجيا الهائلة- تغيّر كلّ شيء في عالم العلم والمعرفة، فعلى سبيل المثال فإنّ الطائرة التي كانت تعدّ عجيبةً في هندستها بالنّسبة لوسائل النقل التي كانت تستخدَم في العصور الوسطى، إذا قورنتْ بطرازِ طائرات اليوم التي يضبطُ فيها كلُّ شيء إلكترونيًّا؛ يجعلها وسائل نقل متخلّفة، وقِسْ على ذلك كلَّ ما يُستخدم الآن من أدوات. هذا كلّه أدّى إلى تغيير حاسم في مفهوم الزمن وحسابِه، وعلاقة الإنسان به، والعلوم والمعارف الإنسانية كلّها كان لا بدّ أن تتأثر بذلك، فتراجع في المكانةِ والأهمية كلُّ ما كان يحتاج إلى وقتٍ طويل في تجويده ودقّته وتذوّقه مثل؛ الشّعر والقصص والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، وما إلى ذلك، فمثلًا تراجعت القصيدةُ وتخلّصت في بعض الأحيان من الوزنِ والقافية، والقصصُ خرجتْ عن النّطاق الدرامي المعروف، وعلم النفس الذي كان مفخرةً من مفاخر القرنِ التاسع عشر الميلادي، وارتبط باسْم سيجموند فرويد؛ لم يأتِ في النهاية بنتيجةٍ لها قيمةٌ علمية، والتحليلُ النفسي انتهى إلى مُصطلحات وتعريفاتٍ تبهر القارئ ولا تؤدّي إلى شيء، وأمّا علم الاجتماع فانتقلَ من دراسة الجماعاتِ البدائية إلى مُشكلات الحياة الخارجية والعضوية للجماعات البشرية، ومحاولة إيجادِ حلول لها.

ووسطَ هذا التطوّر التكنولوجي الهائل والشّامل الموجود اليوم، لم يكن لنا نحن المؤرخيِن بدٌّ من أن يتطوّر علمُ التاريخ، وإلّا ذبل ودخلَ في جُملة العلوم المهمَلَة؛ لأنّه لا يقوم بوظيفة نافعة للإنسان والجماعات في عالم اليوم، ولكن مستجدات عصرنا التكنولوجي فتحتْ للتاريخ- ولنا معشر المؤرخين- أبوابًا واسعة للعمل والتجدّد والتطوير لمُسايرة هذا العصر، ذلك لأنّ الأحداث فيه أسرعت في سيْرها وتعاقبها، حتى أصبحت سيْلًا متدفّقًا، بل يستحيل- أحيانًا- ملاحقته. وقد كان المؤرخون في الماضي يقفون بدراسة التاريخِ الحديث عندَ الحرب العالمية الأولى فأصبحنا الآن ندرس ما بعدَ ذلك، ونسمّيه تاريخًا معاصرًا، وتخطّى البعضُ منّا ذلك إلى خطوةٍ متقدمة في التأليف والتدريس بما يسمّى بالتاريخ الجاري، بل أصبح لزامًا على المؤرخين أنْ يسبقوا الزمن، ويتطلّعوا إلى المستقبل، ويحاولوا استكشافَ آفاقه، وتحدّث بعضُهم عمّا يسمونه بالتاريخ الاستطلاعي، وبهذا طوّر وجدّد علمُ التاريخ نفسَه، وعاش عصرَه الآني، وجعل نفسَه علمًا نافعًا، ونجا بنفسِه من الخمول والموت، خاصّة أن الكثيرَ من العلوم الحديثة اقتطعتْ مساحاتٍ واسعةً كانت قبلَ ذلك داخلة في نطاق الدراسات التاريخية. فالعلومُ السياسية مثلًا تكاد تستقلّ بالتاريخِ المعاصر والجاري، وتدّعي لنفسها الحقَّ في دراسة التاريخ المعاصر واستكشاف المستقبل.

لو أخذْنا مصرَ وحدها نموذجًا، وفكّرنا في تدافع وتلاحق الأحداث فيها من ثورة ١٩١٩م حتى الآن لتملّكنا العجبُ من السرعة التي لا تصدَّق في وقْع الأحداث وتعاقبها، ولو أننا اقتصرنا على المدّة القصيرة الواقعة

من حريق القاهرة في ٢٦ يناير إلى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م لخيّل إلينا أن الأحداث في تلكَ الفترةِ الوجيزة جدًّا تعدو عدْوًا كبيرًا، حتى إنّ وزارة من الوزارات لم تدُمْ إلّا يومين اثنين، والأحداث الآن أصبحتْ تتغيّر يوميًّا؛ بل لا أبالغ إنْ قلت إنّها تتغير كلّ ساعة، فمن ١٩٥٢م حتى كتابة هذه السطور وقعتْ في مصر مِن الأحداث أضعافُ ما حدث فيها في خلال عصري المماليك والعثمانيّين معًا، أي إنّ أحداثَ سبعين عامًا تقريبًا زادت كمًّا وكيفًا، زادت عن الأحداث التي وقعت في الفترة من ١٢٥٠م حتى الآن؛ أي سبعة قرون تقريبًا.

في مثلِ هذه الظروف من تغيّر الوقائع وتتابع الأحداث، كان لا بدّ أنْ تتغير طبيعة علم التاريخ ومناهجه وغاياته ووظيفته، فلم يعدْ من الممكن أن نؤرّخ لعصرنا كما نؤرّخ مثلًا لحروب طروادة؛ لأنّ المؤرخَ لو فعل هذا، والأحداثُ من حوله تتتالى وتتعاقب، لم يلبثِ التاريخُ أن يفقد أهميته، ويصبح دورُه أثرًا بعد أنْ كان عينًا، ولو أنّنا مضينا في دراسته والتأليف فيه على أنّها حكايات ماضية، جميلة أو قبيحة، مقبولة أو مرذولة، ذات معنى أو غير ذات معنى؛ لأصبح التاريخُ ترفًا، وليس ضرورة ملحّة.

والذي يدلّنا على حيوية التاريخ أنّه استطاع أنْ يجاري العصر، ويتطوّر ليحتفظ لنفسه بمكان متقدّمٍ بين العلوم، ومِن هنا- ونظرًا لظروف عصرنا الرّاهن بمستجداته- اكتسب التاريخُ أهميةً جديدة، فمعاملاتُ الدول بعضُها مع بعض زادتْ زيادةً لم تكن تخطرُ على بال، واستقلّت وأصبحت أممًا لها كيانٌ دولي وقومي، وأراض عذراء كانت مجرّد أعلامٍ جغرافية أصبحت أوطانًا قومية ووحدات سياسية تعيش فيها اتّحاداتٌ قبلية، أصبحت اليوم دولًا لها حدودٌ ومكانة وسياسات وعلاقات.

أمامَ هذا الكم التكنولوجي الرهيب القائم اليوم، لم يكن من المُمكن أن يظلّ علمُ التاريخ علمًا ماضيًا لأن الماضي نفسه- كمفهومٍ قائم بذاته- قد انتهى، وأصبح الزمانُ كلّه بلا فواصل، وهذا بدأ عندما أنشأ الله- سبحانه وتعالى- الكون، وهو مستمرٌ في سيْره، والنجوم والكواكب والمجرات كلّها مسخرات بيدِ بارئ هذا الكون سبحانه وتعالى. ومادام الأمرُ كذلك فإنّ المؤرخ- راصدَ الزمان وما يقعُ فيه- يتحول إلى شريكٍ له دورُه الواضح في صُنع الحياة. فالمؤرخُ يرسل بصره إلى مجالات مَن قضى من عمر هذا الكون، ولا يقف عندَ تجارب أقدم الأمم، بل هو لا بدّ أنْ يشارك، ومِن هنا اتّسعت مسئوليات المؤرخ، فأصبح لزامًا عليه أن يعرفَ من العلوم المتقدمة ما يُعينه على فهْم هذا العصر الذي يزداد كلّ يومٍ فتنة وجاذبية، أي لا مفرّ له من أن يديرَ بصره في الواقع الرّاهن، وما فيه من ظواهر سياسية وحضارية وعلمية، ثمّ هو لا بدّ أن يرسل ببصره إلى الغد مع الزمن السائر.

والغدُ أو المستقبل أصبح اليومَ علمًا يسمّى بالتخطيط، ونحن لا نستغني عن التاريخ لمصر مثلًا إلى ٢٠٥٠م، وما بعدها. وهذا تخطيط، ولكنّه- أيضًا- تاريخ، نتيجة لهذا اتّسعت آفاقُ التاريخ ومطالبُ دراسته ومسئولياتُ المؤرّخين، فلم يعدِ المؤرّخ حارسًا على تراثِ الماضي ولا سادنًا لمعابده، وإنما هو عضوٌ عامل في حياةِ البشر، يدرس أحوالَه في ماضيه وحاضره ومستقبله. ومعابد التاريخ الماضية أصبحت جزءا من مُنشئات الحاضر، فمَن ذا الذي يقول إنّ المتحف المصري، أو متحف الآثار الإسلامية في القاهرة؛ قطَعٌ من الماضي؟ إنّها حاضر، وكلُّ ما فيها حيّ ينبض، والمؤرخ الحقّ هو الذي يعرفُ كيف يتسمّع هذا النبض ويقيسُه ويدرسه.

مِن هنا، أصبح المؤرخ الواسعُ الأفق المُدرك لمسئوليّاته عضوًا مشاركًا في صنع شكل الحياة على الأرض، واستلزمَ ذلك أنْ تسقط عنه القيودُ التي كان أهلُ المنهج التاريخي يقيّدونه بها في الماضي، فلا بأسَ عليه في أنْ يؤرخ لمَا يجري بين يديه دونَ انتظار خمسين أو ثلاثين عامًا كما هو متّبع الآن، بل لا حرجَ عليه في أنْ يسبق الزمنَ الراهن، ويلقي ببصره إلى الغد، ويشارك في التّأريخ له، أي يجتهد في استطلاع الغد، وإمكاناته، بناءعلى ما يعرف من الماضي والحاضر، فهو بصفته مؤرّخًا رجلٌ متخصّص، وتخصُّصه هو الإنسانُ والزمان والمكان، وتفاعل كلّ منها مع الآخر، فهو إذا تحدّث تحدّثَ عن خبرة وتخصّص، له قدره ومكانته عند وزن الأشياء.

إنّ المؤرخ إذا أدركَ حقيقةَ مسئوليّته كمؤرخٍ أصبح من أكابرِ المتخصّصين، ومِن أهمّهم، ورأيه له قدرُه ووزنه؛ لأنّه يصدر عن دراسةٍ وتفكير وفهْمٍ وإخلاص، وتجرّدٍ عن المزاج والهوى، واحترامٍ كامل لتخصّصه، واعتمادٍ تامّ على الله، ثمّ ضميره العلمي، هذا الضمير العلمي يلزمُه بما يلزم به كلّ مشتغلٍ بالعلم في هذا العصر من دقّةٍ بالغة وأمانةٍ كاملة وصدقٍ خالص، فالدقة هي أساسُ العلم، وهي ما أعدّها (التكنولوجيا) لأنّ التكنولوجيا هي علمُ الإتقان والتجويد.

وختامًا.. أوجّه نداء لزملائي وأساتذتي وتلاميذي من

مؤرّخي المستقبل، وأقول: أنتَ أيها المؤرخ حرٌّ في أنْ تؤرّخ لما تريد، ماضيًا كان أو حاضرًا أم مستقبلًا، خاصًّا بشعبك أو بلدك، أم عامًّا متعلّقًا بغير شعبك وبلدك؛ أي بالإنسانية كلها، فأنت أيها المؤرخ أعرفُ النّاس بشعبك وبلدك، وشعورك بهما شاملٌ، فأنت إذا تحدّثت فباسْم شعبك، ولكنْ بضمير الإنسانية كلها، غيرك مسئول عن الحاضر، أمّا أنت أيّها المؤرخ فمسئولٌ عن الحاضر والمستقبل، على أساس أنّك أعرفُ الناس بالماضي، وأنت عالمٌ يتحدّث بلغةِ العلم وضميره، ولستَ واعظًا ولا قاضيًا يتصوّر بأنه يضعُ الماضي وأهله في قفص الاتّهام ويحكم؛ وإنّما أنت عارضٌ لقضايا التاريخ، وباسط رأيك، وتارك لغيرك الحرية في أنْ يحكم كما يريد، ولو كان رأيُه نقيضًا لرأيك فلا بأسَ عليك هنا؛ لأنّك قلت ما قلتَ صادرًا فيه عن ضميرك، ملتزمًا بالمنْهج العلمي من الدقة والإتقان، فكلّ كلمة تقولها ينبغي أنْ تكون مقدرة بميزان الدقة التاريخية؛ أي (تكنولوجيا التاريخ)، وأنتَ في النهاية مشكورٌ مأجور إذا تحدّثت بضمير سليم، ونيّةٍ حسنة، وتجرّد كامل، ومن هنا تجيء أهميةُ رأيك وقيمتُه، ومن هنا- أيضًا- يكون مقامُك بين أهل العلم والعمل، واعلم أيّها المؤرخ أنّك تخدم الناسَ بعملك وصدقِك فيما تقول وتكتب، وأنت إذ تخدمُ الناس فإنّ الله مجازيك على هذا الصّدق بقدْر ما عندك من صفاءِ قلب، والقلوبُ ميزان الأعمال، وفيصلُ القيم، وصفاؤها أساسُ العلم والنور والتقدّم والرخاء، ومن ثمّ فهي من مقاييسِ الحضارة، وما قيمةُ تاريخ يكتب بلا قلب؟ وما قيمةُ علمٍ يُطلَب لغير وجه الله سبحانه وتعالى؟!

وأخيرًا.. تذكّرْ قولَ المولى- عزّ وجلّ: {فكأيّن من قرية أهلكناها وهي ظالمةٌ فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصرٍ مشيد، أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} (الحج: ٤٥/٤٦).

وبعد.. فلعلّي بعدَ هذا العرض الموجَز أكونُ قد وفّقت في عرض قضيتي. أسأل الله- سبحانه وتعالى- أنْ ينفع بما كتبنا، فهو سبحانه من وراء القصد، وهو على كلّ خير مُستعان. وصلّ اللّهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

• • •

إشكاليةُ رقمنةِ الأرشيف بالمغرب

عزوز توفيق

باحث في سلك الماجستير
كلية الأدب والعلوم الإنسانية - الرباط

تعاني العديدُ من أرشيفات دولِ العالم العربي مِن غياب الرقمنة الإلكترونية، رغم التطوّرات التي عرفها العالمُ في المجال التكنولوجي، الذي يسمح بسهولة الاطّلاع على الأرشيفات، ويكون رهن إشارة الباحثين والدّارسين وتوفير الوقت والجهد. إذ لا يمكن لأرشيفٍ أن يكون بمعزلٍ عن التيارِ الرقمي الذي غزَا كافة الميادين والمجالات، ورقمنة الأرشيف أو حفظ الوثائق الأرشيفية، وتضمن هذه العملية الحفاظَ على الأرشيف وصيانته من الضياع، سواء عن طريق الترجمة، أو تحويل الصور الى أرقام ثنائية[١].

إنّ إقامة مشروع رقمنة الأرشيف بالمغرب يحتاجُ إلى تقنيات متطورة، وخبراء في مجال المعلوميّات، ومن قوانين وتوصيات لصيانة الأرشيفات المرقمنة، وتكون تحت وصاية الدولة، أو مراكز الدراسات كالجامعات والمعاهد...، كانت الجزائر أول الدول المغاربية تهتم بهذا الجانب من خلال تأسيسها للمديرية العامة للأرشيف الوطني في ولايتي الجزائر ووهران[٢].

حتّى المغرب، بدأ يحاول تبني هذه الرقمنة بصيانةِ الأرشيف من خلال القانون رقم ٦٩,٩٩ بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٧م، فقد وضعت الوزارةُ الوصية، رهن مؤسسة أرشيف المغرب مبنى للمكتبة خاصّ بالتقنيات المخصصة للحفاظ على الأرشيف منذ سنة ٢٠١٢ بشراكة مع الاتحاد الأوروبي بميزانية تقدّر بثلاثة ملايين درهم[٣].

أ: دراسات سابقة حول مسألة الأرشفة الإلكترونية:

ليست مسألةُ الأرشفة الإلكترونية، وعلى عكس ما كان يعتقد البعض أنّها وليدة اليوم؛ بل طرحتْ منذ الخمسينيّات من القرن الماضي بالولايات المتحدة الأمريكية، وتمّ تبنيها بسرعة مِن طرف الدول الأنجلوسكسونية مباشرة بعد ذلك.

أهمّ الدراسات حول جانب الرقمنة التي قام بها أرشيف direction des archives france، التي أثارت الانتباه الى شبكة الإعلام الآلي، ولا سيّما شبكة الإنترنت من أجل تسهيل الولوج بالنّسبة للجمهور والقراء، يرجع تقنية الأرشفة الرقمية في فرنسا إلى سنة ١٩٦٩م، بالضبط مع رقمنة مداولة السمعية والبصرية للمجلس العام بفرنسا، لقد وصلت إلى حدود سنة ١٩٩٧م حسبَ الإحصائيات ٣٢٨ عملية رقمنة لأرصدة أرشيفية[٤].

تعدّ إسبانيا بدوْرها من الدول التي قامت بمجهودات مهمّة في عملية الرقمنة الإلكترونية، حسبَ ما تشير إليه التقارير، حيث قطعت أشواطًا في مجال رقمنة الأرشيفات الخاصّة بالكليات في جلّ المدن الإسبانية، نموذج أرشيف مدريد وإشبيليا حيث عملت الحكومةُ الإسبانية منذ سنة ٢٠٠٠م تقريبًا على رقمنة جلّ المكتبات، وزوّدتها بالموارد الرّقمية، وطلب الإرسالات عبر الإنترنت، وتقديم خدمات على الباحثين وعموم القراء الإسبان والأجانب[٥].

أمّا في العالم العربي- كما تشير الملتقيات الدولية- فإنّه بدأ يهتمّ بالأرشيف نموذج تونس التي يبدو

(١)- ختير فوزية، رقمنة الأرشيف: الإشكالية والتنفيذ منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر، قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية، وهران ٢٠٠٨،ص: ٣٦.

(٢)- نفسه ، ص: ١١٤.

-(3)www.archivesdumaroc.ma

-(4)derction des archives de France, rapport d'activité des services paris, daf, 1998, p66

(٥)- عبد الحميد أحساين، الاستعمار الإسباني بالمنطقة الشمالية بين سنتي ١٩٢٠- ١٩٤٠، تصورات ورؤى مستقاة من تقارير فرنسية، مجلة الذاكرة الوطنية، العدد ١٥، المغرب وإسبانيا بين التقارب والتباعد (1907-1940)، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2010، ص: 63

أنّها متقدّمة مع باقي الدول المغاربية في رقمنة الأرشيف في الوقت الحالي، على مستوى الترتيب العالمي، إنّ النقاش في مسألة رقمنة الأرشيف داخل المغرب وخارجه يثير إشكالاتٍ في تدبير الأرشيف، وقد أكّد الملتقى الدولي حول الرصيد الوثائقي المكتوب والسمعي البصري في دورته التاسعة الذي أقيم بالجزائر سنة ٢٠٠٥، والذي حضر فيه عددٌ من الباحثين المغاربة أمثال جامع بيضا، حيث أشار الملتقى إلى المهامّ التي يجب أن تعمل بها المؤسسات الأرشيف على صيانتها لخدمةِ الصالح العام من القراء بالعالم العربي[٦].

لعلّ أشهرَ الدراسات التي قام بها، حيث قام بتجميع الدّراسات حول الأرشيف بالمغرب العربي، وذكر مختلف الندوات العلمية والأكاديمية، يشير في الندوة العالمية للفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف حول التقنيات الحديثة لتسيير الأرشيف، وربْطِه بالمحيط الرقمي، كما تطرّق المتدخّلون إلى محدودية تطبيق هذه العمليات في المغرب والجزائر وتونس في ظلّ غياب خبراء مختصّين في هذا المجال، ويجب تكوين معاهد للرّقمنة والتوثيق تحت إشراف الجامعات داخل البلدان المغاربية[٧].

ب: الأشكال الجديدة للأرشيف:

رغمَ التطوّر التكنولوجي الحاصل في الإعلام والاتصال، تعاني المكتبات الوطنية المغربية والمؤسّسات من غياب الرقمنة. فقد برزتْ في الآونة الأخيرة أشكالٌ جديدة للأرشفة، كنموذج: فهرس الذاكرة المغناطيسية والصور، وفيديوهات تضمّ ملفات مكتوبة أو مرقونة.

إنّ ظهور الأشكال الجديدة للأرشيف دفعَ المغرب إلى تغيير محتوى النصوص التّشريعية، والحثّ على وضْع قواعد الفهارس الإلكترونية، وذلك للحفاظِ على الوثائق النّادرة بكيفية سريعة، من خلال إبرامِ مجموعة من الاتفاقيات بين المغرب وبعض الدول الأوروبية المبنيّة على أسس قانونية، كما يشير المؤرخ جامع بيضا في العدد ٦٩ من مجلة زمان بقوله: "إنّ إغناء الخزانة المغربية بالوثائق والأرشيفات النادرة، والتي كانت بحوزة فرنسا في الفترة بين ١٩١٣ و١٩١٨م عبرَ ملفّات مرقمنة بشكل يتّسم بالدقة والتجديد في الوسائل المتبعة لحمايته من الضياع أو الافتراق، في إطار الاتفاق المبرم بين مؤسسة أرشيف المغرب ونائب مدير شئون شمال إفريقيا والشرق الأوسط جون باتيست مع حضور وزير الخارجيتين المغربي والفرنسي"[٨].

ج: معالجة الأرشيف الرقمي:

إنّ أهمّ العمليات المعالجة التي تتمّ حول الأرشيف الرقمي، هي عملية التقييم. يتمّ من خلالها الفصلُ بين الوثائق الصّالحة للحفظ، والوثائق التي يمكن إقصاؤها، وذلك مرتبط بمدى صلاحيةِ الوثائق، ويخضع الأرشيف إلى عملية فرزٍ من أجل تحديد الوثائق التي ستحفظ نهائيًّا، التي لم تعدْ لها أيّ قيمة إدارية أو تاريخية، تحمل بطريقة سهلة، تكون على المدى المتوسط والمدى البعيد:

- حفظ لمدّة زمنية مؤقتة.
- حفظ إلى الأبد.
- إقصاء فوري.

تعدّ مرحلةُ التقييم من المراحل المهمّة في عملية رقمنة الأرشيف، هذه العملية مرتبطةٌ بشكل كبير بالحفظ، إذْ تبرمج المواردَ الرقمية بهذه الطريقة في التعامل مع الأرشيف، وكذلك حسبَ القيمة أولية وثانوية، والتي تستعمل في إنجاز بحوث الأكاديمية التي تتطلب وثائق ذات بُعدٍ تاريخي، سواء في مراحل تاريخية معينة أو مرتبطة بالتاريخ الرّاهن[٩]

تشيرُ لجنة griggcommitté jemes في تقرير خاص بتقييم الأرشيف البريطاني حولَ شمال إفريقيا، استحضرتِ الوثائق ذات القيمة التاريخية والقيمة الإدارية والقانونية، يتمّ تصنيفها الى خمسة مقاييس:

- الوثائق القديمة النادرة لا بدّ من حفظها.
- الوثائق اللازمة لعمل مؤسسات الدولة.
- الوثائق الخاصة بالقوانين دول شمال إفريقيا.
- الوثائق الخاصة بممتلكات الإنجليز في المغرب والجزائر، أي الدول المغاربية.
- الوثائق الديبلوماسية.

---

(٦)- ختير فوزية، مرجع سابق، ص:220.

(7)- BE, Selim, la inurmérisation des archives nationales, in cputidond'oran du 20/12/2005

(٨) - جامع بيضا، أرشيف المغرب يتسلم وثائق مرقمنة، مجلة زمان، العدد ٦٩، يونيو ٢٠١٤، ص: ٦٠.

(٩) - أزير ميمون، وثائق الأرشيف الإسباني الخاصة بمنطقة الحماية الاسبانية بالمغرب، منشورات مركز الدراسات الأندلس وحوار الحضارات ٢٠١٩، ص، 260.

عمومًا، فالمختصّون في الأرشيف يقومون بتصنيف الأرشيف حسب المقياس التاريخي والقانوني، والإداري والثقافي[١٠]:

- التّصنيف: يتمّ رصدُ الأرشيف وترتيبه حسب المواضيع التي يعالجها، ثمّ بعد ذلك يعمل أصحابُ المصلحة داخل الأرشيف بفهرسة السجلات وجرد السائل والبحوث، فالتصنيف يعتبر إجراء علميًّا عمليًّا حسب القسم والصنف وحسب تنظيم معيّن لمجموع الملفات، بهدف تسهيل عملية البحث للقراء والباحثين في التخصصات التاريخية والقانونية وغيرها من التخصصات[١١].
- هناك الترتيبُ المادي للأرشيف يأخذ بعين الاعتبار احترام الأرصدة، معَ ترتيبِ يراعي موضوعَ الأرصدة من زوايا علمية، لكن استخدام النظريات في عملية الفهرسة والرقمنة تكون في بعض الأحيان عائقًا أمام الباحثين في التفحص، لذلك عمل أصحابُ المصالح داخل الأرشيف بتحديد المواضيع، ثمّ الفترة المدروسة بشكلٍ كرونولوجي يراعي فيه الحقب التاريخية في الدراسات التاريخية للأرشيف، لأجل مواجهة المشاكل في الترتيب الرقمي للأرشيف حسب المواضيع ذات بعدٍ ضخم من الوثائق، القيام بإحداثِ الفضاءات الشاغرة من إجراء عمليات الإقصاء تستعمل مباشرة بدفعاتِ جديدة وحديثة، حاليًا تشتغل بها مؤسسة أرشيف المغرب، خصوصًا وثائق القرن ١٩م الخاصّة بتاريخ المغرب، هذه العملية تسهل البحثَ، وتقصي الوثائق للباحثين في أسلاك الماستر والدكتوراه[١٢].

يشير Cadaly Serge إلى عملية تسيير الأرشيف ليس خدمة الباحثين في التاريخ وخدمة المؤرخ فقط؛ بل لأجل إحياءِ الذاكرة الجماعية والفردية للمجتمعات والإنسانية جمعاء، لذلك فالأفكار التي يحملها الأرشيفُ هي الموروث الثقافي، يضيف قائلًا أمّا الوثيقة تصبح أرشيفًا مباشرة بعد إنتاجها؛ لذلك تتطلب صيانتها والمحافظة عليها[١٣].

هناك أصنافٌ للأرشيفات المفتوحة مثل الأرشيف الأنجلو ساكسون الذي يتيح للقراء والباحث إمكانية الاطّلاع على الأرشيف عبر الإنترنت لتطوير المعلومات العلمية، لكن المغرب نجد ضعفَ التكوين عند الباحثين وغياب اللغات الأجنبية تكون في بعض الأحيان عائقًا أمام الباحثين في الاطّلاع على المعلومات الجديدة[١٤].

• • •

(١٠) - ختير فوزية، مرجع سابق، ص: 234.

(١١)- شعيب الحاج، تسيير أرصدة المصالح الولائية للأرشيف، منشورات كلية العلوم الاجتماعية بوهران، الجزائر، ٢٠١٠، ص: ٣٢٠.

(١٢)- www.archivesdumaroc.ma

(13)- Cadaly serge, sictionnaire encyclopedique de l'infoemation et de la communication, paris, Nathan, 1970, ص : 40.

(١٤)- أحمد اشعبان، مشاكل تاريخ الدخان والتدخين بالمغرب: تاريخ استعمال الغلايين الفخارية نموذجًا، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ٢٠١٠، ص ص: ٧٩- ٨٠.

شبكاتُ التّواصل الاجتماعي ونشرُ المعرفة التاريخية

صفحة الباحث وليد موحن التاريخية نموذجًا

وليد موحن [1]

لقد عرف العالمُ تطوّرات عدّة عبر عدّةِ مراقٍ وتجلّيات انتقلت فيها المعرفةُ من عوالم المخطوط والمكتوب إلى باب المرقون والمسْموع، مع ما حمله ذلك من حواملَ رقمية جديدة، ومعطيات تليدة لا مشاحة أنّها أفادت جمهرةَ المؤرخين وعمومَ الباحثين، وخاصّة منهم الطلبة.

بحيث أضحى لا مناصَ للباحث سوى النّهل مع عالم الرقمنة، والإبحار في عوالم الإنترنت، وتبادل الآراء والمعارف والاطّلاع على آخر ما جادت به قريحةُ الباحثين نشرًا وبحثًا ومناقشة.

ولم يخرجِ المؤرّخ من هذا الفلك والتجلّي، بل إنّه انغمسَ انغماسًا كبيرًا في هذا الباب عبر بثّ المعلومات، ونشرها في الصفحات، وتأسيس المنتديات، وصياغة الفيديوهات، وخلق مضامير للنّقاش العلمي الرّصين عبرَ استغلال آخر ما باحث به التكنولوجيات الحديثة.

وإنْ كان باب «الإنترنت» بابًا عارمًا وطافحًا بالمعلومات يصعب حدّها، وزيارتها في مجملها، وسبْر أغْوارها مشتملة؛ فإنّنا سنركّز بين ظهراني هذا المقال على شبكاتِ التواصل الاجتماعي، ودورها الرّيادي في بثّ المعرفة التاريخية، ونشرها.

لا مندوحة أنّ الفيسبوك ارتبطَ منذ مدّة طويلة بكونه مرتعَ «التسلي والترويح عن النفس»، فإنّه في الآونة الأخيرة أضحى منارة مشعّة بالمعرفة التاريخية الرصينة والمنهجية، والتي تفيد جمهرة الباحثين، وتحقّق لهم غاياتٍ بحثية أكيدة، لا محيد عنها: نشرًا، وبحثًا، وتنقيبًا، ومناقشة، وتعريفًا، ومساعدة.

ويكون ذلك عبرَ عدّة مراقٍ أساسية:

- الصفحات التاريخية التي تهتمّ بنشر المعرفة التاريخية، وتقديم المساعدة لعموم الدارسين.
- صفحات علمية تحظى بشهرةٍ واسعة، وتبثّ برامج رقمية غايتها التعريف بمسارات تاريخية، وشخصيات بيوغرافية.
- حوارات ونقاشات مباشرة عبر الفيسبوك، وبتقنيات التواصل المباشر.

وإنْ كان كذلك يحقّ لنا قبل الغوصِ في الموضوع طرحُ الإشكالات التالية:

ما هي الفائدةُ المرجوّة والغايات المنشودةُ في نشر المعرفة التاريخية عبر تقنية الفيسبوك؟

هل يمكننا جعلُ الفيسبوك منصةً تاريخية تتميز بالرصانة والأكاديمية؟

1- التاريخُ وعالم الإنترنت نبراس للمعرفة:

لا يمكن لأيّ باحث أو دارس أنْ يستغني في وقتنا الحالي عن العالم الرقمي، وما يتوفر عليه من مُعطيات تكون نبراسًا في رحاب العلم، ومكمن الفكر، وقد سبق للمؤرّخين المغاربة أن نبّهوا- ومنذ بداية الألفية- إلى الأهمية الإستراتيجية للرقمنة والإنترنت، وعلى رأسهم المؤرّخ النحرير «إبراهيم القادري بوتشيش»[2] في كتابه الذّائع الصيت في المضمار والموسوم «مستقبل الكتابة التّاريخية في عصر العولمة والإنترنت»، وبرغم من أنّ الكتاب صدرَ، ومنذ مدّة يسيرة ترْبو عن عشرين سنة؛ فإنّه مازال يتمتّع براهنيته، ومتانة طرحه، وغنى بابه، وطابعه الاستشرافي المحض، لإدماج عالم الإنترنت في أغوار البحث التاريخي.

وإذا كان البحثُ التاريخي قد حقّق هذه القفزة النوعية منذُ عصر ابن خلدون- القرن 14م- فإنّه على غرار

(١) طالب باحث في سلك الدكتوراه, جامعة الحسن الثاني, المحمدية

(٢)مؤرّخ مغربي اهتمّ بتاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط, كما سلط الضوء بشكل كبير على دور الرقمنة في سماء البحث العلمي ومضمار الكتابة التاريخية. انظر: مقاله كيف يمكن تجديد دور المثقف في عصر رقمي وعالم متغير, المنشور ضمن جريدة المصادف العدد, ٤٥٠٢, ٢ فبراير, ٢٠١٩.

مُختلف البحوث الاجتماعية الأخرى، عرف بدوره تحولاتٍ كثيرةً مع مدرسة المادية التّاريخية ومدرسة الحوليات الفرنسية إلى جانب المدرسة الأمريكية. غير أنّ الأثر الملفت للانتباه هو ما برزَ خلال العقدين الأخيرين من ثورةٍ معلوماتية هائلة عكستها شبكةُ الإنترنت.

والجديرُ بالملاحظة أنّ ثمّة علاقةً واضحة بين الشبكة المعلوماتية والبحث التاريخي، ذلك أنّ عمل المؤرخ يرتكزُ بالأساس على المعلومة، أو ما يسمّى بـ «المادة التاريخية» التي تشكّل حجر الزّاوية في بحثه، وهو نفس ما يقوم به الإنترنت، الذي يهتمّ بالمعلومة كذلك. وتأسيسا على هذا القاسم المشترك والمتكامل في نفس الوقت، فإنّ واقع الشبكة المعلوماتية يصبح قويًّا في حقل البحث التاريخي.[3]

ومِن الإيجابيات التي توفّرها الشبكة الرقمية في سماء المعرفة التاريخية نذكر:

- تسهيل المرام المعرفية بحثًا، وتنقيبا، وترجمة، ومحاورة، وتصنيفًا.
- خلق جسور التعاون بين جمهرة الباحثين والدارسين في لواء المعارف التاريخية.
- إمكانية الاطّلاع على الوثائق والأرشيفات دون تكبّد عناء السفر والتنقل.
- توفير قاعدة معطيات ثرة وغنية من المعارف والدراسات.
- إيصال الأفكار والمعلومات والمعطيات إلى أكبر عينة من الباحثين والمختصين في شتى بقاع المعمورة.

ولا غرْو أنّ هذا ليس سوى نقطة في وادٍ، وغيض من فيضٍ من المعارف التي توفّرها الشبكة الرقمية وعوالم الإنترنت للباحث في كلّ الحقول المعرفية والدراسات الحقّة والإنسانية، لا سيّما منها التّاريخية. لقد ساهم الإنترنت دونما شكّ في تدعيم البحث العلمي وتجويده، وإضفاء طابع علمي أكاديمي محْض في رحابه، شريطة التعاطي معه بعلمية تامة، وروح نقدية، وتوخّي الأمانة العلمية التي تعدّ بحقّ أسّ البحث العلمي في مختلف رحابه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الجامعات في العالم العربي، ينبغي أن توفّر لطلبتها عدة تكنولوجية لازمة من أجل انْدماجهم في هذا الباب، والتجلّي الذي لا مناص منه ألبتة:

-2 المعرفة التاريخية والوسائطُ الاجتماعية هل تكون بوابة للمعرفة التاريخية الرصينة:

لقد أضحتْ وسائلُ التواصل الاجتماعي وسائطَ لا محيصَ عنها لكلّ نفر الباحثين لمنافعها العامة إنْ كانت تستخدَم بطريقة إيجابية غايتها الأساسية المعرفة العلمية، خاصّة بعد تنامي التّكنولوجيات، وغزوها لكلّ الهواتف، واقتحامها لكلّ البيوت.

وانطلاقًا من ذلك، برزت في وسائل التواصل الاجتماعي خاصّة «الفيسبوك» ثلّةٌ من المجموعات التي ترنو نشرَ المعرفة التاريخية، وبثّ المحتويات المعرفية، ونشر الإصدارات الجديدة في مضاميرِ المعرفة التّاريخية «صفحة الدكتور نبيل ملين»، «صفحة القرون الوسطى»، «صفحة لمحات مِن تاريخ المغرب»، «صفحة الباحث وليد موحن التاريخية»، وغيرها من الصفحات الثرّة والمفيدة والغنية التي تتميّز بعدّة سمات أساسية، ومنها:

- خلق محتويات رقمية ترصدُ محطات يانعة من تاريخ العالم العربي، ومحطاته الأساسية 4
- توفير البحوث والدراسات وتيسّر سبل الحصول عليها.
- خلق نقاشات معرفية تاريخية بين الباحثين والدارسين من مختلف المشارب التاريخية والجنسيات العالمية.
- خدمة البحث التاريخي: نشرًا، وذيوعًا، وفكرًا، وبحثًا... بحيث أضحى لا مندوحة لكلّ المشتغلين في دروب المعرفة التاريخية هو الانخراط في هذه المجموعات الفيسبوكية الهادفة من أجل الاستفادة من ما تحويه من معرفة أكاديمية، وكتب رقمية، ونقاشات غنية، تنير الباحث، وتفيده في سماء وعوالم المعرفة التاريخية.

وإن كان كذلك سنأخذُ نموذجًا في هذا المضمار، وهو عبارة عن تجربةٍ ذاتية في مضمار نشر المعرفة التاريخية، واستغلال الحوامل الرقمية بطريقة مثلى، وفيها إفادة جمة لأكبر عينة، وسعة معرفية يستفاد من رحيقها، وما تبوح به من: كتب، أفكار، معطيات.

3- الفيسبوك في خدمة المعرفة التاريخية الأكاديمية صفحة الباحث وليد موحن نموذجًا:

بادئ ذي بدء، لا بدّ أن نشير إلى أنّه ضمن هذه الورقة البحثية، لا نودّ أن نشهر هذه الصفحة، وإنّما نربو

---

(٣)بوتشيش, إبراهيم القادري, البحث التاريخي والإنترنت, مجلة أمل, العدد ٢١, ص, ٥٧

(٤)خلق معطى القراءة والكتابة عبر الوسائل التقنية الحديثة نقاشًا كبيرا ومستفيضًا بين منافح عليه ومعارض له. انظر: في الصدد في العالم العربي بين الورقي والرقمي [نص مطبوع]: أشغال الندوة الدولية حول: «الكتاب وأزمة القراءة في العالم العربي» يومي ٩ و ١٠ مايو ٢٠١٥ بمدينة تازة المغربية

تعريفها، وطريقة اشتغالها، وتقديم إحصائيات حولها، لكي نبرز دورها في نشر المعرفة التاريخية، ولكي يسير على نهجها بقيةُ الباحثين من خلال إنشائهم لصفحة تشعّ نورا من المعارف ليس فقط في المعرفة التاريخية، وإنّما في كلّ تجليات وقوام المعرفة العلمية.

أهدافُ الصفحة

مِن الأهداف الأساسية التي وضعنها صلب اهتمامنا في الصفحة، نذكر:

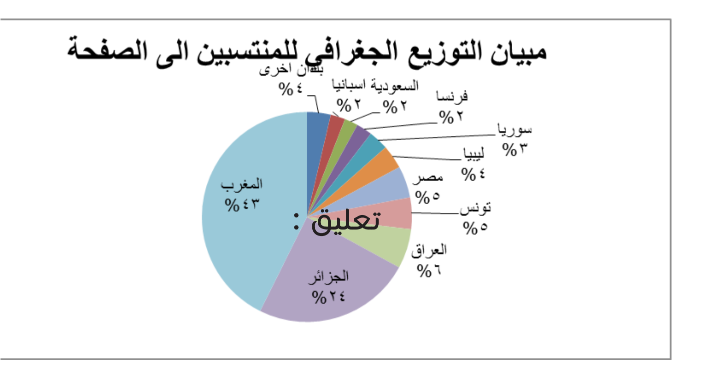
- تقديم يد العون والمساعدة للباحثين في الوطن العربي عامة والقطر المغربي على وجه الخصوص.
- نشر ما في جعبتنا من وثائق وكتابات وأرشيفات بصيغة رقمية، وفي إطار ما هو مسموح به لنفيد الباحثين.
- الإجابة عن الاستفسارات العلمية والمنهجية التي تواجه الدارس في إطار إنجاز بحثه.
- تسخير المعرفة الرقمية في خدمة البحث التاريخي الجاد والرصين.
- تقديم المعرفة التاريخية لغير المختصين في عالم التاريخ.

وغيرها من الأهداف العلمية والتّثقيفية التي تعدّ من صلب اهتمامات الصفحة التي لم يمر سنة على تأسيسها.

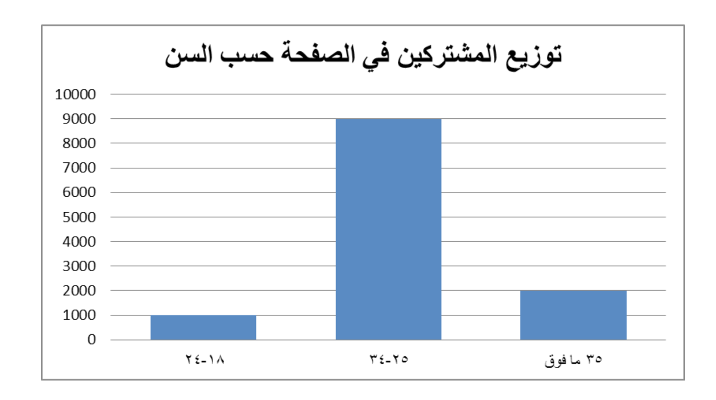
نوعيةُ المحتويات الموضوعة في الصفحة

إنّ غاية الصفحة رصدُ المحتوى التاريخي المحض، من مقالات، أبحاث، نشرات، دوريات، ترنو المعرفة التاريخية، وتركّز بصفةٍ جلية على التاريخ المغربي بكوننا ننتمي إلى مجاله، والانفتاح على باقي المجالات الجغرافية، خاصّة منها العربية والأوروبية، وكذا تقديم كتب تتناول المدارس التاريخية، والعلوم المساعدة للتاريخ، وتوظيف التقنيات الرقمية والحوامل الإلكترونية خدمة لهذا المنهج، في انتظار تطويره، والتحسين من أداء الصفحة، التي تظلّ جهدًا شخصيًّا فقط، قابلًا للنّقد والتطوير.

والغاية من ذلك جعْل الفيسبوك منصّة للمعرفة الرقمية، ومواكبة التاريخ للمستجدات والتطورات التكنولوجية، وخدمة المحتويات المعرفية التاريخية، وإيصالها لأكبر عيّنةٍ من الباحثين الراغبين في الوصول إلى مصادر ومراجع في إنجاز بحوثهم، وتعينهم في مسار تكوينهم، وتكون لهم نبراسًا في قبس علمهم.

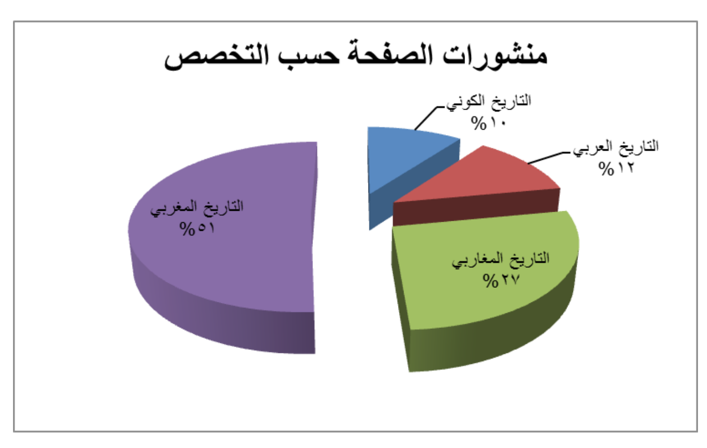


من الطبيعي أن يكون المنتسبين الى الصفحة ينتمون في غالبيتهم الى المغرب والجزائر ،ذلك ان محتواها يستهدف بالأساس التأريخ المغاربي عامة ،والمغربي على وجه الاخص ،مع ضمان تواجد نسبة متفاوتة من المشتركين الذين ينتسبون الى مدارات جغرافية أخرى ،وتراجع نسبهم له تفسير بكون الصفحة محتواها ليس عام ،وانما يتناول المجال التاريخي القح فقط ،وقد بلغ عدد المشتركين في الصفحة ما يربو 12000 مشترك في ظرف زمني لا يتجاوز السنة من يوم تأسيس الصفحة .



التعليق :

ان الفئة الساحقة من أعضاء الصفحة ينتمون الى الفئة السنية المتراوحة بين 25 -34 ولا غرابة في ذلك حيت أن هذه الفترة وفي الغالب يكون فيها البحث بصدد رسالة الماجستير أو اطروحة الدكتورة ،وهي الفترة السنية التي يبلغ فيها نضج الباحث مرمى عظيم ،وأيضا تشكل النسبة السنية 35 ما فوق نصيبا بكون أصحابها وفي غالبهم ينتمون الى فئة الاساتذة الباحثين .كما تشكل الفئة 18-24 فئة الطلبة الجامعيين الجدد ،والذين لهم نصيبُ في منشورات الصفحة .



التعليق :

ان اغلب منشورات الصفحة تركز على التاريخ المغربي ،بكوننا ننتمي الى مجاله ،وأن جل أعضاء الصفحة من رحابه ،ونظرا لتخصصنا في دروبه ،مع اعطاء اهمية كبرى للتاريخ المغاربي ،دون نسيان باقي الفروع التاريخية من تاريخ عربي ومجال كوني ،هذا مع ايلاء اهمية للفروع المعرفية الاخرى ،والعلوم المساعدة للتاريخ .

استنتاجات عامة .

لا مندوح ان التاريخ في ظل التقنيات الحديثة ،وفعالية التواصل ضمن وسائل التواصل الاجتماعية أصبح ذا وزن وقيمة كبيرة وسهل التواصل بين نفر الباحثين والدارسين قاطبة في مختلف البقاع العلمية كما لاحظنا في جدول التوزيع الجغرافي للمنتسبين الى الصفحة ،وكما أوضح الرسم الثاني أن جل روادها من فئة الشباب الذين لهم قصب السبق في استخدام التقنيات الحديثة ،نظرا لكونهم عاشوا تحولاتها ،واستقدوا من دواليبها ،ونقبوا في خباياها ،وجعلوا منصات التواصل الاجتماعي بوابة معرفية قويمة لتبادل المعارف ،وتلاقح الافكار ،ونشر الثقافة التاريخية الرصينة والممنهجة :

على سبيل الختام :

ان البحث التاريخي عاش مخاضات كبيرة وتحولات عميقة مست طرق البحث فيه ،من الوثيقة مع رواد المدرسة الوضعانية ،الى اتساع مدلولاه مع مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد ،وصولا الى عالم العولمة والتقنية وما أضفته من مسحة وطابع علمي رصين يتسم بالسرعة وسهولة والانتشار على نطاق واسع ،وقد شكلت شبكات التواصل الاجتماعي نبراسا لذلك ،عبر عدة صفحات على موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" التي جعلت من المعرفة التاريخية معرفة تتميز بالانسيابية والنقاش .

ان وسائل التواصل الاجتماعية تعد بحق رحيق أساسي ينبغي أن يستفيد منه المؤرخ بشكل كبير ،نظرا لاتساعه ،وسهولة التواصل في بابه ،ووصول أصداءه الى مختلف النطاقات الكونية والجنسيات العالمية .

ان الاهتمام بوسائل التواصل الاجتماعي ودورها في بث المعرفة التاريخية لا مناص منه للمؤرخين اذ اردوا الاندماج في التقنيات الحديثة وادماجها في بوتقة الفكر التاريخي النير خاصة وسائل التواصل الاجتماعي التي تعد مجالا رحبا وواسعا لنشر التاريخ وبث النقاش في مواضيعه .

• • •

علمُ التّاريخ في ظلّ التقنيةِ الحديثة

محمد يحيى المضواحي

باحث في التاريخ والعلوم الإنسانية، صنعاء

- مقدّمة

علمُ التاريخ يعتبرُ من أوائل العلوم المهتمّة بالإنسان منذُ عصور ما قبل ابتكار الكتابة، وإلى يومنا الحاضر، ولكلّ عصر سالف تقنيتُه الخاصّة في التدوين والبحث والدراسة، ولعهدنا الحاضر تقنيتُه التي باتَ لزامًا على كلّمؤرّخ وباحث وطالبِ مواكبتُها، محاولًا عبرها تيسير البحث والدراسة ليصل لنتائجَ أكثر عمقًا.

- أهميةُ التقنيةِ الحديثة في البحث

كما أُشير لكلّ زمكان تقنيته، ولعصرنا الحاضر تقنياتٌ عدّة تستغلّ في البحث العلمي والتدريس في جميع المجالات، وعلمُ التاريخ أحدُ هذه العلوم الآخذة بالتّقنيات المعاصرة، فمن خلالها يسّرت أمورٌ كثيرة على المؤرّخ الباقرلبطون التاريخ، وقربته من الحقيقة النسبية، وكسرت الزمكان الذي كان يعاني منه المؤرّخ في العقود المنصرمة، وأمّا الطالب؛ سواء أكان في المدرسة أو الكلية، فمِن خلال التقنية الحديثة يمكننا جذبُ انتباهه بشكل أكبر عن السابق.

- إشكالياتُ عدم مواكبة التقنية

يواجه المؤرخُ غير المواكبِ للتقنية الحديثة العديدَ من الإشكاليات، فقد لا يستطيع الوصول لنتائج مُرْضِيَة خلالَ دراساته وأبحاثه كمَن يستخدم التقنيات الحديثة، وقد لمس الباحثُ ذلك من خلال معرفتِه لمؤرّخين يعتمدون على تقنياتٍ سالفة، وأدركوا مؤخّرًا أهميةَ التقنيات الحديثة، فراحوايبحثونَ عن مَن يعينهم ممّن يجيدون التقنيات الحديثة، وهنالك الطلابأيضًا-بحكم البيئة الريفية أو حتّى المدنية-ممّن لم تتحْ لهم الفرصة، أو لأنهم لم يلتفتوا لتعلّم كيفية استخدام التقنيات الحديثة؛ تراهم يقفون عاجزينَ أمام وظائفهم المدرسية والجامعية.

وتتباين المقدرةُ في مواكبة التقنيات الحديثة، فمِن دولة إلى أخرى نجدُ ذلك التباين، وهنا قد يأتي دورُ المؤسّسات غير الحكومية، أو جهد المؤرخ منفردًا في مواكبة التقنيات الحديثة.

- إشكالياتُ استغلال التقنية الحديثة

سهّلت الشبكةُ العنكبوتية فتحَ المواقع ووسائل التواصل الاجتماعي الخاصّة بالمرئيات والتدوين، ومنها مَن يهتمّبالتاريخ، وفي الغالب نجد ممّن يتناولون المواضيع مجرّدَ هواةٍ للتاريخ، فعبر هذه التّقنية تنشر الكثيرُ من الأساطير والشّائعات والأكاذيب دونَ بذل مجهودٍ للبحث عن ما يتمّ طرحُه، والأسطورة تتمتّع بشعبية وشيوع، وتترسّخ حتى لو أثبت الواقعُ هشاشتها، دون الالتفاف للدراسات العلمية، ولكوْن تقديم المعلومات عبرَ الهواة إمّا مختصرة أو مسلية وذات تأثيرات مرئية.

كما لا يخفى على أحدٍ كثرةُ التزوير ودقّته في ظلّ التقنية الحديثة.

- تقديمُ علم التاريخ عبْرَ التقنية الحديثة

التّقنياتُ الحديثة متعددة، والتّالي- ذكرًا لا حصرًا- ثلةٌ من أبرز التقنيات التي يمكن للباحث والمؤرّخ المعاصر مواكبتها لتسهيل عملية البحث والتدريس:

- الشبكة العنكبوتية (INTERNET)

تعدّ الشبكة العنكبوتية (INTERNET) ثورةًتكنولوجية بمعنى الكلمة، فقد حوّلت العالم لقرية صغيرة، فمن خلالها يتمكّن المؤرخ من الوصولِ لعددٍ من الأمور البحثية وما يتعلّق بها، ومن خلالها- كذلك- يمكنه الوصولُ للمجلات العلمية المحكّمة والمقالات العلمية المتناثرة عبر المواقع والموسوعات الشّاملة للمعارف، وكذلك شراء الكتب عبر الأسواق الإلكترونية، قاطِعًا بذلك الزمكان للوصول إلى الأبحاث والمقالات، وهي إشكالية كان يعاني منها الباحثُ منتظرًا يعدّ الأيامَ لوصول المجلة،أو ما يوازيها؛ للاطّلاع على الأبحاث والمقالات التاريخية.

كما أصبحتْ في الآونة الأخيرة تعقدُ الندواتُ

والاجتماعات والمحاضرات بشكل مباشر، بل قد ينهي الطالب مرحلته الدراسية الجامعية عبرَ الشبكة العنكبوتية دونَ اللجوء للحضور لقاعات الدرس، ويأتي ذلك في حالةِ تسجيله الدراسة عن بُعْد في إحدى الجامعات البعيدة عن بلده، والتي قد يتعذّر السفر إليها.

- الأدواتُ والتطبيقات (Tools and Applications)

كثيرةٌ هي الأدواتُ والتطبيقات التي توفّرها الشبكة العنكبوتية، والتي قد تفيد المؤرخَ في أبحاثه وتدريسه ، ويمكن ذكر أبرزها:

١- برنامج القارئ للكتب الإلكترونية (ADOBE ACROBAT READER):

مِن وجهة نظر الباحث أنّ تقنية الكتب الإلكترونية (ADOBE ACROBAT READER) من أبرز التقنيات الحديثة التي أعانت المؤرخَ في جمع المادة العلمية من مخطوطات وكتب ومجلات، خاصة في حالة عجزه عن السّفر لجمع المادة أو عدم توفّرها في بلده، وندرك كيف كان المؤرخ قبلَ عقود يقلع على متن الطائرة، ويسافر برًّا وبحرًا لجلب المادة العلمية مِن دور المخطوطات والمكاتب، وإنْ لم يستطعِ السفر لعدم وجود مانعٍ أو لعجز قدرته الشّخصية؛ قد ينتاب بحثه النقصانُ ممّا يسبب إشكالية في عدم قدرته على الوصول لدلائل واضحة، واليوم دون الحاجة لذلك كلّه يمكن للمؤرخ جلبُ المادة العلمية عبر هذه التقنية[١].

٢-أداة الكتابة الإلكترونية والعرض لإيصال المعلومات (Office) :

تجمع أداة الكتابة الإلكترونية وايصال المعلومات (Office) العديد من الخيارات، وما يهمنا خياران:

أ- أداة الكتابة الإلكترونية (word):

مِن مميزات التقنية الحديثة سهولة وصولها- في الغالب- لعامة الناس، فلم تعدْ حكرًا على مؤسسة ما[٢]، ومن تلكم التقنيات برنامج الكتابة الإلكتروني (word)، فيمكن للمؤرّخ كتابة أبحاثه ودروسه عبرَ هذا البرنامج وتنسيقها وتنظيمها قبيل طباعتها، فلم يعدْ بحاجة لمَن يقوم له بذلك.

ب- أداة العرض لإيصال المعلومات (PowerPoint):

قد يعزّز نشاط الطالب شرح علم التاريخ عبرَ أداة (PowerPoint) إلى جانب الكتابة على اللّوحة، فيمكن عبرَ هذا البرنامج شرحُ الدّروس، كما يمكن استخدامه من قبل المؤرّخين في حالة وجود عمل موحد فيما بينهم لشرح أمر ما.

٣- الترجمة الآلية من جوجل (Translate) :

قد نتعامل في دراساتنا وتدريسنا مع مصطلحاتٍ ونصوص للغات عدّة، وبرنامج الترجمة الآلية من جوجل (Translate) يختصر علينا الكثير، وعلى الرّغم من الترجمة الحرفية التي يقدّمها، إلّا أنّه لا غنى عنه، إلى جانب قواميس اللغات.

٤-(Google Earth) :

معلومٌ للمؤرخ أنّ الجغرافيا لا غنًى عنها في دراسة وتدريس التاريخ، فإنْ كان التاريخ هو الممثّل فالمسرح هو الجغرافيا.

وخلال دراستنا وتدريسِنا نعرج كثيرًا على إمبراطوريات ودول وبلدان وأقاليم قد نعجز عنِ السّفر إليها لدراستها بشكلٍ شامل، ولهذا يمكننا استخدام تقنية (Google Earth) المزوّدة كذلك بميزة 3D، فمِن خلالها يمكننا دراسةُ التضاريس التي أقيمت عليها الأحداث، وزيارة المواقع الأثرية لدراستها، وقياس المسافات الجغرافية المساعدة في البحث.

ولا يغني ذلك عنْ زيارة المواقع واقعيًّا لا افتراضيًّا، ولكنْ قد تكون تقنية (Google Earth)- كما أزعم- قد سدّت الكثيرَ من النقص في ظل العجز لعدم توفر الإمكانيات للسفر والترحال.

- وسائلُ التواصل الاجتماعي:

كما أُشير- سابقًا- عنْ تحول العالم في ظلّ التقنية الحديثة لقرية صغيرة، لا من الناحية المعلوماتية؛ بل حتّى من ناحية التعارف والتواصل، ولهذا تبرز وسائل التواصل الاجتماعي كأداةٍ مهمّة لربط المؤرخين مع بعضهم، وكذلك التلاميذ، لتبادل المعارف والمعلومات والخبرات والكتب والأفلام.. إلخ .

في التالي، ذكرٌ لأبرز تقنيات التواصل الاجتماعي التي قد تفيد المؤرخ وطلاب علم التاريخ :

١- فيسبوك (facebook) :

تعتبر هذه المنصةُ هي الأعلى من حيث الارتيادِ من قبل العرب، ففي دهاليزها الكثير من الصّفحات والمجموعات المهتمّة بعلم التاريخ، فتبرم الصداقات الافتراضية ويتمّ تبادل الخبراتِ والنصائح، وكذلك الكتب والمواقع الإلكترونية، فمن خلالها يكتسب المؤرخ والطّالب خبرات غفيرة من أساتذة وطلاب تتباين بلدانهم ورؤيتهم وقراءتهم للتاريخ، هذا التنوع في رأيي ثراء.

---

(١) لا ينكر المقال تلك الجوانب السلبية من رفع الكتب الإلكترونية عبر الشبكة العنكبوتية من اختراق لحقوق النشر وزعزعة السوق المالية للكتب والتي يعتمد عليها الكثير من الكتاب ودور النشر والمطابع.

(٢) إلاّ كما أشير سابقًا عن تباين الإمكانيات الفردية والرسمية.

٢- البريد الإلكتروني (E-email) :

تقنيةٌ كسرت الزمكان، فلم نعدْ بحاجة للانتظار نعدّ الأيام والساعات متى يصل البريد، فمن خلالِه يمكن بعث وإرسال الكتب والأبحاث الإلكترونية مع الزملاء المؤرخين، وكذلك الطلاب.

٣- المنصة المرئية الإلكترونية (youtube) :

تكمنُ أهمية هذه المنصّة بالسماح للأفراد بفتح قنواتهم الخاصّة، فلم يعدِ الأمر حكرًا على مؤسّسات أو شركات، ويمكن انتقاء البرامج من قبل المتابع، والقنوات المهتمة بعلم التاريخ مِن الكثرة بمكان تجعل المؤرخَ والتلميذ يستزيد من علمه، سواء أكان من البرامج الوثائقية أو الأفلام، أو حتى المحاضرات لكبار المؤرخين.

٤- (Whatsapp) :

هذه المنصةُ للمراسلات الإلكترونية تعتبر أكثرَ شخصنة من سابقاتها، ولها ميزة التواصل السّريع وتبادل الوثائق والمعلومات والكتب والبرامج، إمّا عبر مراسلات شخصية أو عبر مجموعات تجمع المؤرخين أو الطلاب.

٥- عقد الاجتماعات والمحاضرات بشكل جماعي ومرئي:

في ظلّ التقنيات الحديثة واكبت الكثير من المؤسسات العلمية والجامعات ذلك عبر فتح منصّة التعليم الإلكتروني عن طريق الحضور بشكل مرئي ومباشر، وأعتقد أنّ تطبيق (Zoom) هو الأكثر استخدامًا في عقد المحاضرات والدروس والاجتماعات الجماعية عن بعد، وهذه التقنية تفيدُ المؤرخين في عقد ندواتهم واجتماعاتهم، وكذلك تفيد الأستاذ والطالب، وخاصّة الملتحقين بالتعلم عن بُعد، وفي ظلّ الجائحة المعاصرة لفيروس كورونا تستمرّ كثيرٌ من المؤسسات والجامعات تعليمها وتواصلها عن بُعد.

- الأجهزة:

للوصول لكلّ ما ذُكر سابقًا مهمّ جدًّا امتلاكُ أجهزة حديثة، ويفضل أنْ تكون ذات تقنية عالية، وأبرز تلك الأجهزة نشير إليها كالتالي:

ا- الحاسب الآلي (Computer) :

أصبح امتلاكُ الحاسب الآلي (Computer) من الأولويات المقدمة على كثير من الأمور، فكثير من التقنيات الحديثة قدْ لا يستطيع المؤرخ الوصول إليها إلّا عن طريقه، ويفضّل أن يكون محمولًا، فهو يعوّض حمل الكثير من الكتب والأوراق في تنقلاته.

٢- الأجهزة الذكية (Smart phones) :

باختلاف أنواعها وأحجامها، أضحت التقنيةُ التي توفّرها الأجهزة الذكية لا تقلّ كثيرًا عن الحاسوب في الأهمية، فيمكن تعويضُ الكتاب الورقي غير المتوفر من خلال القراءة عبر الأجهزة الذكية، والبعض منها يقارب حجمه حجم الكتاب.

٣- الذاكرة المحمولة (SD memory cards &usb flash drive) :

كذلك تتباين أحجامُها وسعتها التخزينية، وهي تُغنينا عن حمل الأوراق والكتب[3] في تنقّلنا من مكان إلى آخر، ويمكن تبادلُ المعلومات والمادة العلمية والمرئية عبْرَه.

٤- التلفاز والعارض الضوئي (TV and projector) :

يمكن استخدامُ هذين الجهازيْن في الدّراسات التي تجمع عددًا من المؤرخين، وكذلك في التّدريس، عبرَ عرض المادة العلمية من كتب إلكترونية وصور مخطوطات وآثار وصور لأحداث مؤرّخة وأفلام، فمِن خلالها يتمّ المشاركة وإثراء المعلومات واستيعابها.

٥- الماسح الضوئي (Scanner) :

تُستعاض هذه التقنية كاسرة الكثير من الحدود في حالة أريد إرسال أوراق لمكان بعيد، فيمكن إدخالُها عبْرَه وتحويلها لصيغة صور أو PDF وإرسالها عبر البريد الإلكتروني أو أيّ من وسائل التواصل الاجتماعي، لتسهل الصعب وتقرب البعيد.

٦- الطابعة (Printer):

لم تعدْ هذه الآلة حكرًا على أحدٍ ما، فبالإمكان اقتناؤها في المنزل أو للجامعة أو لمؤسّسة بحثية، واستخراج ما كتب إلكترونيًّا إلى ورق.

٧- الكاميرا (Camera) :

ويفضّل أن تكون ذات تقنية عالية، فالمؤرخ يهتمّ بمخلفات الإنسان، وهذه التقنية تسمح للمؤرّخ بتصوير هذه المخلفات ليتسنّى له عقب عودته دراستُها، كما تستخدم لتصوير المخْطوطات ورفعها بعد ذلك، وندرك أنّ للكاميرا دورًا كبيرًا في نقل التاريخ المصور الثّابت والمرئي منذُ اختراعها في القرن19م.

وختامًا، ندرك أهمية التقنية الحديثة، وندرك تباينَ استخدامها ما بين الأفراد وكذلك المؤسسات والدّول، كلّ بحسب قدرتِه المادية والفنية، كذلك وعلى الرّغم من عدم تعقيد وصعوبة التقنيات المستخدَمة في علم التاريخ- كما أحسب- إلّا أنّه لا يزال هنالك عجزٌ في الوصول إليها والتعامل معها، فموضوعُ علم التاريخ في ظلّ التقنية الحديثة مهم إدخاله كفصل من فصول مناهج البحث التاريخي.

---

(٣) يؤكد الباحث على أهمية الكتب الورقية، والغناء هنا يأتي في الحمل والتنقل.

كيف يمكنُ للباحث المؤرخ أنْ يستفيدَ من منصّات التواصل الاجتماعي الأكاديمية ؟

زكرياء البدراوي

طالب باحث بسلك الدكتوراه
جامعة القاضي عياض- كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مراكش (المغرب)

شهد العالمُ العربي خلالَ العقد الأخير- كباقي أنحاء العالم- توسّعًا غير مسبوق في قاعدةِ المتّصلين بشبكة الإنترنت العالمية[1]*، وكذا في أعداد مستعملي منصات التواصل الاجتماعي «كفيسبوك» (Facebook)، «تويتر» (Twitter)، «يوتيوب» (YouTube)، و"إنستغرام" (Instagram) وغيرها.... ففيسبوك مثلًا الذي يحتلّ صدارة الشبكات الاجتماعية عالميًّا وعربيًّا، استخدمه خلال سنة ٢٠١٩ أكثر من ١٥٠ مليون عربي، جاءت مصرُ في الصدارة (بحوالي ٣٩ مليون مستخدم) ثمّ الجزائر (٢٢ مليونًا) والمملكة العربية السعودية (١٨ مليونًا) ثمّ المغرب (١٧ مليون مستخدم)[2]، وتنوّعت استعمالاتُها بين أغراض التواصل، الترفيه والتسوق، الدعاية التجارية والسياسية، التعلم والبحث العلمي.

وإنْ كنّا لا نملك إحصائيات دقيقة حول استعمالات منصّات التواصل الاجتماعي لأغراضِ البحث العلمي في الوطن العربي، فإنّ دراسات أنجزت بمراكز أبحاث وجامعات غربية حولَ مجتمعاتها، بيّنت أنّ هذه النسبة لا تزال ضعيفة جدًّا بالمقارنة معَ باقي الاستعمالات. إذ لا تتعدّى في أحسن الأحوال 6%، ثلاثة أرباع هذه النسبة تمثّل شريحة من الباحثين فضّلوا استعمال منصاتِ تواصل اجتماعي أكاديمية لعدم ثقتهم في علميةِ وجودة المحتوى المتداوَل في الشبكات الاجتماعية المعروفة، أو لاعتقادهم بضرورة الفصل بين حياتهم الافتراضية العامة والعلمية[3].

مِن هنا، ورغبةً منّي في المساهمة في إنارة الطريق أمامَ الباحثين العرب في حقل الدّراسات التاريخية، لا سيّما المبتدئين منهم، للانخراط الفعّال في مجتمع المعرفة العالمي؛ فإنّني حاولتُ من خلال هذه الورقة الموجزة أن أقدّم تعريفًا لبعض منصات التواصل الاجتماعي الأكاديمية العالمية والعربية، مع تبيان أوْجه الاستفادة التي يمكن للباحثِ العربي أن يجنيها من الانتساب إليها.

أوّلًا: مفهومِ منصات التواصل الاجتماعي الأكاديمية:

مازال مفهومُ منصّات التواصل الاجتماعي الأكاديمية (academic social media platforms) مفهومًا غيرَ ثابت في الأدبيات المختلفة، نظرًا لتداخل الآراء، والاتّجاهات في دراسته، وكذا للتطورات السريعة والمتلاحقة التي يشهدها عالم تقنيات الاتّصال والإعلام، إلّا أنّه من خلال استعراضنا لبعض أهمّ التعريفات التي قدمها باحثون متخصّصون في قضايا المعرفة الرقمية يمكن استجلاء الملامح الكبرى لهذا المفهوم.

فقد عرّفتها الباحثة(Retta Guy) بأنها «تلك الخدمات الإلكترونية المتاحة على الويب Web والتي صمّمت بغرض تمكين الباحثين والمتخصصين من إنشاء حسابات شخصية Accounts لهم تتضمّن سيرَهم ومساراتهم العلمية واهتماماتهم البحثية، وتتمّ عملية الاتصال بين الأفراد بغرض التواصل، التعاون، مشاركة المحتويات بينهم. هذا وتتيح معظمُ هذه المواقع خدماتِها للأعضاء المشتركين بها فقط، إمّا بشكل مجاني جزئيًّا أو كليًّا، حيث يستطيع الباحثُ بمجرد التسجيل أن يشاهد ويحمّل ما يشاء من الأوراق البحثية والمقالات مباشرة أو عن طريق طلبها من أصحابها، وأغلب هذه المنصّات تكون مرتبطةً بالبريد الإلكتروني للباحث المشترك لإشعاره بكلّ جديد»[4].

في حين عرّفها الباحثان (Michael Haenlein & Andreas Kaplan) بأنها «مجتمعات علميةٌ افتراضية على شبكة المعلومات العالمية تعتمد على مزايا وتقنيات WEB 2.0 والتي يستطيع الباحثون من خلالها تبادلَ المحتويات الأكاديمية والبحثية والمعلوماتية، وكذا الأفكار والخبرات والتجارب بحرية، من خلال وسائط متعددة كالنصوص والصور والمقاطع الصوتية

والمرئيـة»[5].

وإجمالًا يمكن القـول بأنّ منصاتِ التواصل الاجتماعي الأكاديميـة هـي «شـبكات تواصـل اجتماعـي مشـابهة للشّبكات الشهيرة مثل فيسبوك، لكنّها مقدّمة بسمات وأدوات خاصـة تخـدم الباحثيـن الأكاديمـيّيـن فـي كافـة أنحـاء العالـم، وفـي شـتى التخصصـات العلميـة، عبـر التعريف بهـم وبأعمالهـم ومشـاركة اهتماماتهـم البحثيـة مـع بعضهـم البعـض"[6].

ثانيًا: أهـمّ منصّات التواصـل الاجتماعـي الأكاديميـة العالميـة والعربيـة:

أحصـى موقـعُ «تايمـز هايـر إديوكيشـن» (Times Higher Education) فـي بحـث أنجـزَه بالتعـاون مـع «جامعـة سالفورد» (University of Salford) ما لا يقلّ عـن ١٣٠ منصةَ تواصل اجتماعـي؛ أكاديمية وعامـة، تعدّ الأكثـر اسـتخدامًا مـن طـرف الباحثيـن المتخصّصيـن فـي مهامهـم البحثيـة عبـر العالـم[٧]*.

وإذا مـا اسـتثنينا المنصـاتِ الاجتماعيـة العامـة، فإننـا نجـد أنّ أكثـر المنصـات الأكاديميـة المتخصّصـة أهميـةً فـي العالـم مـن حيث أعـداد منتسـبيها وزوّارها والأوراق البحثيـة المتضمنـة بهـا؛ المنصـات الثمانـي التاليـة:

«ريسـيرش غيـت» (ResearchGate)، أكاديميـا دوت إديـو (Academia.edu)، «فرونتيـرز» (Frontiers)، «ريسـيرش آيـد» (Research ID)، «ألتميطريـك» (Alt-metric)، «فيـغ شيـر» (Figshare)، «سـيتولايك» (Ci-teulike)، «مانـدلاي» (Mendeley)،.... وسـنكتفي بالوقـوف عنـد تعريـف المنصـات الثـلاث الأولـى فقـط لأهميتهـا واتسـاع انتشـارها.

١- منصة "ريسيرش غيت" (ResearchGate)

تأسّسـت هـذه المنصـة سـنة ٢٠٠٨ علـى يـد الطبيبيـن الألمانييـن (Ijad Madisch) و(Sören Hofmayer)، بتعـاونٍ مـع مواطنهـم عالـم الحاسـوب (Horst Fickenscher)، وبحسـب مؤسّسـي هـذه المنصـة، فـإنّ فكـرة إنشـائها قـد نبعـت بـادئ الأمـر مِـن إحساسـهم كباحثيـن مبتدئيـن بالحاجـةِ إلـى ربـط علاقـاتِ صداقـة وتعـاونٍ مـع باحثيـن مـن بلـدانٍ آخرى؛ يقاسـمونهم إنجازاتهـم وهمومهـم المعرفيـة[٨].

وسرْعان ما ستحظى المنصةُ بإقبال وتفاعل كبيرَيْن من قِبل الطلبة الباحثين والأساتذة من مناطق مختلفة عبرَ العالم، إذ يقدّر عـددُ أعضائها المسجّلين اليوم أكثر مـن ١٧ مليـونَ عضـو، مـن 193 دولـة، وتجمـع بيـن ١٤٠ مليون باحث، منهم ٧٩ عالمًا حاصلًا على جائزة نوبل، وتحتـوي علـى أزيـد مـن ١٣٥ مليـون ورقـة علميّـةٍ فـي كلّ التخصصـات، وبجميـع اللغـات تقريبـا[٩]*.

وتوفّـر منصـة «ريسـيرش غيـت" للباحثيـن عـدةَ مزايـا منهـا مشـاركة المنشـورات البحثيـة والوصـول إلـى الملاييـن منهـا، ومشـاركة بيانـات الباحـث، ومراسـلة الباحثين الأعضاء لطلب الحصول على نسخةٍ كاملة من أعمالهـم البحثيـة. كمـا تتيـح إمكانيـة التواصـل والتّعـاون مـع الأقـران والمتخصّصيـن والزمـلاء والمؤلفيـن، وطـرح الأسـئلة وحـلّ المشـكلات البحثيـة، ومشـاركة التحديثات حـول المشـاريع البحثيـة التـي يعمـل الباحـث علـى تنفيذهـا، وتحتـوي- أيضًـا- علـى بوابـة للتوظيـف تسـاعد الباحثيـن علـى إيجـاد وظيفـة متصلـة بمجالهـم البحثـي. كما تقدّم للباحثين الأعضاء قياساتٍ إحصائية تهمّ عـددَ القـراءات لمنشـوراتهم البحثيـة والاقتباسـات التـي تمـت منهـا[١٠].

٢- منصّة «أكاديميا دوت إديو" (Academia.edu)

بعـدَ حصـول البريطانـي «ريتشـارد برايـس» (Richard Price)- الحاصـل علـى الدكتـوراه فـي الفلسـفة مـن جامعـة أكسـفورد- علـى تمويـل سـنة 2007 قـدره 600.000 دولار مـن رؤوس أمـوال بريطانيـة وأمريكيـة، شرعَ فـي العمـل علـى تنزيل فكرتـه فـي إنشـاءِ منصّـةٍ اجتماعيـة للأكاديمييـن تمكّنهـم مـن نشـر أعمالهـم البحثيـة ومراجعتهـا مـن طـرفِ الأقـران، وتحفيـز البحـث الأكاديمـي فـي العالـم[11]، إذْ بحلـول شـهر شـتنبر 2008 سـتنطلق رسـميًّا هـذه المنصـة، التـي اسـتطاعت فـي ظـرف ٦ سـنوات فقـط أن تجمـع أكثرَ مـن ١٠ ملاييـن باحث مسـجّل، وأن تضمّ أزيد مـن ٢,٩ مليـون ورقـة بحثيـة مـن مختلف التخصّصـات، وأنْ تسـجل 46 مليـون زائـر شـهريًّا، ليرتفـع هـذا الرقـم ويصـل فـي أبريـل ٢٠٢٠ لأزيـد مـن ١٢٤ مليـون باحـث، و25 مليـون ورقـة علميـة، وحوالـي ٧٥ مليـون زائـر فـي الشـهر[21]*.

وتُمكّن منصةُ "أكاديميا دوت إديو" الأعضاء من إنشاء حسـابات شـخصية، ومشـاركة أوراقهـم البحثيـة، وطلـب تقييمها مـن قِبَل الزمـلاء، وذلـك وفـق سياسـات الموقـع الخاصـة بأرشـفة المجلات البحثيـة التـي يتـمّ تحميلهـا أو مشـاركتها، وتتيـح لهـم- أيضًـا- إمكانيـة متابعـة باحثيـن آخريـن والتواصـل معهـم، وتتنـوّع تخصصـات الأبحـاث المضافـة علـى الموقـع لتشـمل- تقريبًـا- كافـة العلـوم، بما فيهـا العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، ويخصـص أيضًـا نافـذة لعـرض الوظائـف الشـاغرة فـي المجـال البحثـي لـدى مؤسسـات التعليـم العالـي الأكاديميـة وأقسـامها

المختلفـة[٣١].

٣- منصة «فرونتيرز» (Frontiers)

تأسّست من طرف الأخوين «هنري ماركرام» (Henry Markram) و «كاميلا ماركرام» (Kamila Markram) عالمـي الأعصاب فـي المعهـد الفيدرالـي السويسـري للتكنولوجيا سـنة ٢٠٠٧، لنفـس الدواعـي التـي تأسّسـت مـن أجلهـا المنصتـان السـابقتان[41]، وبحسـبِ الموقـع الرسـمي للمنصـة، فإنّهـا اسـتطاعت أن تسـتقطب إلـى حـدود أبريـل ٢٠٢٠ أكثـرَ مـن ١٠٠ ألـف مـن خيـرةِ الباحثيـن، ينتمـون لأزيـد مـن ٦٠٠ تخصّـص معرفـي تغطـي جميـعَ أصناف العلوم، كما أنها سجّلت ما يزيد عن ٥٠٠ مليون مشـاهدة وتحميل لمحتواها الـذي تجاوز المليون ورقة علميـة[51]*.

وقـد صنّفـت منصـةُ «فرونتيـرز» خـلال الثـلاث سـنوات الأخيـرة ضمـن أكبـر الناشـرين مفتوحـي الوصـول، وأسرعهم نموًّا في العالم. وحصلت على العديدِ من الجوائز ومراتب العضوية بعددٍ من المؤسسات العلمية المرموقـة فـي العالـم، تقديرًا لها؛ لحرصها علـى ضمان أعلـى معايير الجـودة، وأفضل الممارسات الأخلاقيـة[61]*، كمـا عقـدت اتفاقيـات نشـرٍ وتعـاون مـع عـددٍ مـن الجامعـات والمجـلات العلميـة الشـهيرة[71]*.

وبالانتقـال مـن المسـتوى العالمـي إلـى مسـتوى وطننـا العربـي، فـأوّل مـا نلاحـظ هـو أنّ تصنيـفَ موقـع «تايمـز هايـر إديوكيشـن» السـابق الذكـر، لـم يتضمّـن أيّ منصـة اجتماعيـة أكاديميـة عربيـة علـى الإطـلاق، غيـر أنّ هـذا لا يعنـي انعـدامَ وجـود تجـارب فـي هـذا البـاب. فمنذُ سـنة ٢٠١٠ ظهـرت محـاولاتٌ فـي بعـض الجامعـات العربيـة بالمغـرب، الكويـت والأردن وتونـس، لخلـق شـبكاتِ تواصل بين طلبتها الباحثين وأساتذتها وخريجيها، غير أنّ معظمهـا للأسـف لـم يطـوَّر، بـل إنّ بعضهـا توقـف بعـد ذلك بوقت قصير بشـكل كلـي.

كمـا بـرزت- أيضًـا- محـاولاتٌ مـن خـارج المؤسسـات الجامعيـة أثمـرت خلـق منصـاتٍ عربيـة تحاكـي منصـاتِ التواصـل الاجتماعـي الأكاديميـة العالميـة، مـن أشـهرها علـى سـبيل المثال لا الحصر: منصـة «أريـد» (Arid) التـي انطلقـت فـي سـنة 2015 كأول وأكبـر منصّـةٍ مـن نوعهـا بالعالـم العربـي، بالإضافـة لـ «بوابـة الباحـث العلمـي» (Arab Researcher Gate) ومنصـة «الباحـث العلمـي» (researcher scientist) و«المبتعـث»... وغيرهـا، إلّا أن نشـاطها والإقبال عليها عمومًا مـازال محـدودًا، بالمقارنة مـعَ مثيلاتها الغربيـة.

ثالثًـا: كيـف يمكـن للباحـثِ المـؤرخ العربـي الاسـتفادة مـن منصـات التواصـل الاجتماعـي الأكاديميـة:

تحوي منصاتُ التواصل الاجتماعي الأكاديمية الكثيرَ مـن المزايـا التـي تعيـن الباحـث العربـيَّ فـي مشـاريعه البحثيـة، وتُوجِـد لـه حلـولًا فعّالـة لعـدد مـن المشـكلات التـي تواجهـه.

أولـى هـذه الميـزات، أنّهـا تتيـح للباحـث العضـوِ فرصـة إنشـاء صفحتـه الشـخصية التـي تتضمّـن معلومـاتٍ عنـه، إضافـةً لتخصيـص مكانٍ فـي حسـابه حيـث يمكنـه عـرض أفـكاره وتجاربـه المهنيـة، وإحصائيات تتعلـق بمعـدّل نشـر أعمالـه البحثيـة والاقتبـاس منهـا، وهـذا يعـزّز شـهرته فـي الوسـط البحثـي.

عـلاوةً علـى أنّهـا تدمجـه بشـكلٍ مباشـر مـع عـددٍ كبيـر مـن الباحثيـن الذيـن يقاسـمونه اهتماماتـه البحثيـة، خاصّـة منهـم أولئـك الذيـن يسـتعملون نفـسَ لغتـه أو لغاتـه فـي البحـث، وتربطـه معهـم بشـكلٍ آلـي. فـإذا أخذنـا- علـى سـبيل المثـال- منصّـة «أكاديميـا دوت إديـو» التـي تعتبـر الأكثـرَ اسـتعمالًا مـن طـرف باحثـي وأسـاتذة الدراسـات التاريخيـة فـي الوطـن العربـي، لا سـيّما مـن دول المغـرب العربـي (المغـرب وتونـس علـى الخصـوص)، نجـد أنّ هـذه المنصـة قـد وفّـرت خدمـةَ إشـعار الباحثيـن عـن طريـق بريدهـم الإلكترونـي بـكل جديـد، يهـم مواضيـع الأبحـاث التـي سـبق لهـم القيـام بهـا بالمنصـة أو الكتابـة حولهـا، أو فـي مواضيـع قريبـة منهـا. فـإذا بحثنـا فـي المنصـةِ مثـلًا مُسـتعملين عبـارة «الاسـتعمار الفرنسـي بالمغـرب» فـإنّ المنصـة سـتقترح علينـا بشـكلٍ أوتوماتيكـي كلَّ الدراسـات والقـراءات والأوراق العلميـة التـي اهتمّـت بالظاهـرة الاسـتعمارية، ليـس فـي المغـرب فقـط؛ بـل علـى الصّعيـد العالمـي، وبـكلّ اللغـات التـي سـبق للباحـث العضـو أنِ اسـتعملها فـي إجـراء بحوثـه، أو كتـب بهـا إحـدى الورقـات التـي قـامَ بتنزيلهـا بالمنصـة. وسـتبدأ هـذه الأخيـرة فـي إشـعاره بشـكلٍ تلقائـي عبـرَ بريـده الإلكترونـي بـكلّ ورقـة أو مقـالٍ جديـد ينـزل علـى المنصـة فـي موضـوع أبحاثـه السـابقة، أو قريبـة منهـا.

بالإضافـةِ إلـى هـذه المزايـا، فـإنّ أغلـب منصـات التواصـل الاجتماعـي الأكاديميـة، وعلـى رأسـها «ريسـيرش غيـت»، التـي كانـت سـبّاقة لهـذا الأمـر؛ قـد أتاحـتْ لمنتسـبيها إمكانيـة الحصـول علـى زمـالات بحـثٍ لمـا بعْـدَ الدكتـوراه، وفـرص عمـل، وإجـراء تداريـب فـي جامعـات دوليـة مرموقـة، وفـي مقـاولات ومؤسّسـات دوليـة. فبالنسـبة للباحثيـن فـي حقـل الدّراسـات التاريخيـة كثيـرًا مـا نجـد

على هذه المنصّات فرصًا للانضمام إلى فرق بحثية في الأركيولوجيا أو التراث الشعبي...، أو مِنَحًا مموّلة لتداريب في جامعات أجنبية أو عروض أبحاث ممولة جزئيًّا أو كليًّا.

إنّ هذه المزايا- وغيرها- من شأنها أن تعينَ الباحث المؤرخ العربي على إغناء رصيده المعرفي، وعلى تكوين شبكةِ علاقات علمية واسعة تفتحُ أمامه آفاقًا علمية أرحب، وتدمجه بشكلٍ فعّال في مجتمع المعرفة العالمي. إلّا أنّ الطموح يبقى أكبر لنرى في المستقبلِ القريب مبادراتٍ جديّةً لخلق منصّاتٍ عربية خالصة، تقوم بنفس أدوار منصّات التواصل الاجتماعي الأكاديمية العالمية، أو على الأقلّ توسيع نشاط المنصات الموجودة حاليًا بربطها بالجامعات، وبنيات البحث والدوريات والمجلات المحكمة في الأقطار العربية، لتشمل أكبرَ عددٍ مُمكن من الكفاءات والباحثين والأكاديميين بالوطن العربي.

الهوامش

*1 وصلت هذه النسبة مثلًا في دولة الإمارات العربية المتحدة لـ 92% سنة ٢٠١٩.

2 من تقرير إخباري لقناة «الحرّة»، الإنترنت في الشرق الأوسط.. حقائق وأرقام، الرابط:
/https://www.alhurra.com/tech/2019/02/06
الإنترنت-في-الشرق-الأوسط-حقائق-وأرقام

3 Mike Moran, How do academics use social mee dia?, In Teaching, Learning, and Sharing: How Today’s Higher Education Faculty Use Social Media, April 2011, pp. 14-15.

4 Retta Guy, “The Use of Social Media for Academic Practice: A Review Of Literature,” In Kentucky Journal of Higher Education Policy and Practice: Vol. 1 : Iss. 2, 2012, p 3.

5 Michael Henlein & Andreas Kaplan, Users of the world, unite! The challenges and opportunities of Social Media, Business horizons, 2010, p 53.

6 Hagit Meishar-Tal & Efrat Pieterse, Why Do Academics Use Academic Social Networking Sites?, International Review of Research in Open and Distributed Learning, Volume 18, Number 1, p 2.

*7 يمكن الاطّلاع على خلاصة هذا البحث عبر الرابط التالي:
https://www.timeshighereducation.com/a-z-social-media

8 Hagit Meishar-Tal & Efrat Pieterse, Why Do Academics Use Academic Social Networking Sites?, Op.cit. p 2.

9 *للمزيد من الإحصائيات يمكن الرجوع للموقع الرسمي لمنصة «ريسيرش غيت»، على الرابط التالي:
https://www.researchgate.net/about

10 Hagit Meishar-Tal & Efrat Pieterse, Why Do Academics Use Academic Social Networking Sites?, Op.cit. pp. 2-3.

11 Steven Ovadia, ResearchGate and Academia.edu: Academic Social Networks, In CUNY La Guardia Community College, City University of New York (CUNY), 2014, pp 166-167.

12*للمزيد من الإحصائيات، يمكن الرجوع للموقع الرسمي لمنصة « أكاديميا دوت إديو»، على الرابط التالي:
https://www.academia.edu/about

13 Steven Ovadia, ResearchGate and Academia.edu: Academic Social Networks, Op.cit. p. 167.

14 Frontiers (éditeur), In Wikipédia, https://fr.wikipedia.org/wiki/Frontiers_(%C3%A9diteur)

*15 للمزيد من الإحصائيات، يمكن الرجوع للموقع الرسمي لمنصة «فرونتيرز»، على الرابط التالي:
https://www.frontiersin.org/about/about-frontiers

*16 مثلًا حصولها على عضوية لدى: «لجنة أخلاقيات النشر العالمية» (Committee on Publication Ethics)، و»رابطة الناشرين المهنيين والمتعلمين» (The Association of Learned & Professional Society Publishers)، و“اتحاد الناشرين العلميين مفتوحي الوصول” (Open Access Scholarly Publishers Association).

*17 من بينها: مجلة “نيتشر” (Nature)، ومجلة «ساينتيفيك أميركان” (Scientific American)، ومنظمة «جاكوبس» (Jacobs Foundation).

• • •

دورُ التّقنية الحديثة في إيصال الوثائق التاريخية للباحث في ظلّ انتشار الأزمات

محمد زيطان

باحث بسلك الدكتوراه
كلية الادب والعلوم الإنسانية
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان
mourad.zitane2005@gmail.com

إنّ التاريخ باعتباره علمًا لا يتمثّل في استعادة الماضي كما حدث فعلًا؛ لأنّ ما بقي من هذا الماضي لا يُمكننا من تمثّله واستعادته كحقيقة نهائيّة إلّا بالاعتماد على الوثيقة. وفي ظلّ هذه الأزمة غير المسبوقة التي يشهدُها العالمُ مع انتشار فيروس كورونا تلعب التقنيةُ الحديثة دورا مهمًّا وحيويًّا في إيصال الوثائق للباحث في كلّ بقاع العالم، وحتّى مجمعة من المكاتبات والخزنات العالمية، وضعت رهن إشارة الباحثين مواقع خاصّة للولوج إلى الوثائق التاريخية والمخطوطات؛ حيث في المغرب على سبيلِ المثال، ولأوّل مرةٍ تضع المكتبة الوطنية رهنَ إشارة الباحثين منشوراتِها من كتبِ ومجلات ووثائق لتحميلِها بالمجان، من هنا تشكّل الدورُ الأساسي للتقنية الاتّصال في هذا الوقت خصوصًا، وذلك من أجل تمكينِ الباحثين من الاطّلاع على المعلومة، والبقاء على اتّصال بما يجري في الساحة الثقافية.

وتعتبر التقنيةُ بمثابة عاملٍ أساسيّ في تدبير مثل هذه الأزمات، وذلك بدور الفعال والأساسي، وذلك من خلال سرعة الاتصال واختراق الحدود وتقليل المسافات، أو ما يسمّى « ظاهرة الاختزال السريع لبُعْدي الزمان والمكان»[1]، ويمثّل هذا بجلاءٍ من خلال التعامل مع هذه الأزمة؛ لأنّ علاقةَ الإنسان بالتّقنية قديمة، وذلك من الأدوات التي كان يستخدمها في الحصول على الطعام، وحماية نفسه من الوحش، وتطوّرت بالتطور الإنسان نفسه، حتّى تمّ ابتكارُ شبكة الإنترنت في أوروبا، وتحوّل العالم معَ الوقت إلى قريةٍ صغيرة بشكلٍ حقيقي يزداد الاعتمادُ فيها على التقنية الحديثة في شتّى نواحي الحياة من أجل التواصل واكتساب الخبرات والمعارف.

وما نلاحظه في هذه الأزمة أنّ التقنية مرادفٌ للحياة المختصرة على كوكبِ الأرض، حيث لا يمكن إتمامُ أيّة مهمّة بحثية دون التواصل مع الآخرين، أو البحث في المكاتبات والخزائن.

لهذا تعتبر التقنيةُ مساعدةً أساسية من أجل توفير جهدِ الباحث، إلى جانب الوقت والمال.

والتّعاونُ مع العلوم الإنسانية باعتبار علمِ التاريخ فرعًا منه، ومع العلوم التّطبيقية؛ مصلحةٌ متبادلة، ونفع عظيم لكلّ فروع العلم، وأمرٌ ضروري في تقديم البحوث العلمية في كلّ المجالات، وتدبير الأزمات.

لأنّ الباحث لا بدّ أن يستمرّ في البحث، رغم كلّ الظروف، وبفضل التقنية والتطوّر التكنولوجي الذي يشهده العالمُ كان له دورٌ طلائعي في تدبيرِ هذه الأزمة، التي باتَ فيها العالم في حالةِ حربٍ ورعب وصراع معَ عدوّ لا مرئي بالعين المجردة.

وبفضلِ التقنية، وكذلك الفضيلة والأخلاق التي تمتّع بها الشعوب؛ تمّ إتاحة فرصة للباحثين من توفير مجموعةِ من الوثائق التي كان يصعبُ الحصولُ عليها، حتى قبل الجائحة لأنّها لم تكنْ متوفّرة على المواقع الإلكترونية. من هنا يمكن القولُ من إيجابيات كورونا أنّها أتاحتْ للباحث- وخصوصًا في الحقل التاريخي- الاطّلاعَ على مجموعة من الوثائق والمخطوطات دون عناء، ووضعها رهن إشارة الجميع. وأيضًا حتّى من الناحية المادية للباحث لأنّه مثلًا كان من الصّعب على الباحث مثلًا أنْ ينتقل من المغرب إلى الأرشيف العثماني في تركيا، أو بعض المكاتبات الكبرى في أوروبا. ولكنْ بعدَ انتشار هذه الجائحة تبيّن أنّ الأخلاق عنوانُ الشّعوب، وهذا كان حاضرًا في الأديان السماوية جميعها، وأيضًا حتّى في المذاهب الفكرية والفلسفية اليونانية والغربية، وهو متجلّ بوضوحٍ في التعاملِ مع تدبير هذه الأزمة.

وفي هذا الصّدد نجد أنّ التقنية الحديثة تلعب دورًا مهمًّا في مرافقة الأزمة عبرَ جميع مراحلها، وذلك بتوفير كلّ الموادّ التي يحتاجها الباحثُ في إعداد بحثه،

(1) Harivey : the canditian agmadernity axgord 1989p229 .

وباتتِ المعلوماتُ والتعاون وخدماتُ الاتصال بما فيها الهاتف والحاسوب؛ أكثرَ أهمية من أيّ وقتِ مضى، حيث الوسيلة الوحيدةُ للبقاء على تواصلِ مع العالم؛ حيث- أيضًا- باتَ بإمكان التلاميذ والطّلاب استخدامُ التقنية في العملية التعليمية عن بُعدٍ عبرَ الوصول إلى الموادّ الدراسية بالصوت والصورة والنقاش والتفاعل أيضًا مع الأستاذ.

فعلًا، رغم وقتٍ قياسي استطاعَ هذا الفيروس أن يقدّم مجموعة من الدّروس والعبر لمُختلف بقاع العالم، حيث أفرزَ لنا قيمًا جليلة وحميدة كان هذا العالم يفتقدُها في زمنِ الحداثة والإغراق في الماديّات إلى زمن القيم والرحمة.

وهذا الفيروس حقًّا أبانَ الضّعفَ البشري، وأكّد أنّ الإنسان مهما قوي، وحصل على السّلطة والجاه يبقى كائنًا ضعيفًا، وقوة الإنسان تكمن في التّسامح والتضامن والتعاون حتى نتخطّى هذه الأزمة.

والدليلُ على القيم الإنسانية العالمية ذلك هو أنّه مجموعة من المؤسسات سهّلت الولوجَ إليها مجّانًا من المنزل دونَ عناء بعدما كان من الصّعب أنْ توفّر للطالب المعلومة في زمن قبل الجائحة.

وبما أنّ البحث التاريخي يحتاج إلى معارفَ متنوعة، ونحن في فترة لا تسمحُ بالخروج من المنازل كان للتقنيةِ الحديثة فضلٌ كبير في إيصال المعلومة للباحث، وذلك بوضْع مجموعةٍ من المواقع رهنَ إشارة الباحث حيث يقول ابنُ خلدون في هذا الصّدد «التاريخ محتاجٌ إلى مآخذَ متعدّدة المعارف، متنوعة، وحُسنِ نظر، وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ، وينكبان به عن الزلّات والمغالط» و«في باطنه نظرٌ وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلمٌ بكيفية الوقائع وأسبابها عميق».[2]

ومِن فوائد التقنية على البحثِ التاريخي كتابةُ نصّ البحث متنًا وهوامشَ حسبَ الطريقة التي يفضّلها الباحث، وتغييرها بالسرعة مع إمكانية التغيير والتّعديل.

الترتيبُ البيبلوغرافي حسبَ الحروف الأبجدية وغيرها من الفوائد، حيث أصبحتِ التقنية في حدّ ذاتها مصدرًا إضافيًّا من مصار البحث حيث اختراق الحدود وتقليص المسافات.

معَ هذا الوباء أصبح المؤرّخ زائرًا للمواقع والمكتبات والخزانات العالمية من بيته دونَ الرحلات العلمية التي كان تكلّف الكثير.

فعلًا، جميعُ المؤسّسات كان لها دورٌ فعّال في التعامل مع الأزمات ومواكبة العلمي، بما فيه المكاتبات، ولعبتِ التقنية دورًا أساسيًّا في تدبير هذه الأزمات من خلال مساعدة الباحث، وتمكينه من الحصول على الوثائق. من هنا يمكن القول إنّ التقنية لها فضلٌ في تطوير العلوم الإنسانية عمومًا، وعلم التاريخ على وجه الخصوص؛ حيث الأخير يحتاجُ إلى الوثائق والمخطوطات والخرائط، ممّا يعني أنه لا بدّ من التكنولوجيا في البحث التاريخي.

وفي الأخير، يمكن القول في ظلّ هذه المتغيرات ذات الإيقاع السريع صار للتقنية الحديثة دورٌ أساسيّ في مواكبة الواقع البحثي في العالم حيث تمّ وضعُ خزّانات ومكتبات الجامعات بكتبها ومخطوطاتها رهنَ إشارة الباحثين عبرَ شبكة الإنترنت.

أيضًا، تمّ فهرست تقريبًا لكلّ ما كُتب من مؤلفات ومخطوطات، ووضعها في مواقعَ بهدف الاستفادة منها.

أيضًا، تمّ استغلالُ الحاسوب لإقامةِ مجموعةٍ من الندوات والمؤتمرات عبرَ تقنية الفيديو.

أيضًا، من أهدافها خلقُ تواصلٍ مع المؤرخين والباحثين في الحقل التّاريخي بكلّ الوسائل بما في ذلك شبكة الإنترنت.

وفي الأخير، نسأل الله- عزّ وجلّ- أنْ يرفع الوباء عن الانسانية جمعاء.

• • •

(٢) مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣ص ٩.